علي مولا

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

موعد مع الجريمة

VELOCITY

رواية

دين كونتز

DEAN KOONTZ

www.alexandra.ahlamontada.com منتدى مكتبة الاسكندرية

موعد
مع الجريمة

VELOCITY

موعد مع الجريمة

VELOCITY

رواية

تأليف

دين كونتز

Dean Koontz

ترجمة

تيا معوض

مراجعة وتحرير

مركز التعريب والبرمجة

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل

Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنكليزي
Velocity
حقوق الترجمة العربية مرخّص بها قانونياً من
Bantam
بمقتضى الاتفاق الخطي الموقّع بينه وبين الدار العربية للعلوم ناشرون، ش.م.ل.
Copyright © 2005 by Dean Koontz
All rights reserved
Arabic Copyright © 2010 by Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

الطبعة الأولى

1431 هـ - 2010 م

ردمك 978-614-01-0069-5

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (1-961+)
ص.ب: 5574-13 شوران - بيروت 2050-1102 - لبنان
فاكس: 786230 (1-961+) - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو الكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو بأية وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات، واسترجاعها من دون إذن خطي من الناشر.

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي **الدار العربية للعلوم ناشرون** ش.م.ل

التنضيد وفرز الألوان: **أبجد غرافيكس**، بيروت - هاتف 785107 (9611+)

الطباعة: **مطابع الدار العربية للعلوم**، بيروت - هاتف 786233 (9611+)

القسم الأول

الخيار خيارك

الفصل 1

مع شراب شعير وابتسامة، شرب نيد بيرسال نخب جاره الميت، هنري فريدل، الذي أسرّه موته كثيراً.

قُتل هنري بسبب تمثال في الحديقة، سقط عن سطح منزله المؤلف من طابقين، ووقع على ذلك التمثال المرح. كان التمثال مصنوعاً من الباطون، أما هنري فلا.

عنق مكسور، جمجمة متصدعة: فارق هنري الحياة على الفور.

حصلت الوفاة الناجمة عن التمثال قبل أربعة أعوام. لا يزال نيد بيرسال يشرب نخب موت هنري مرة على الأقل كل أسبوع.

الآن، عن كرسي قرب طاولة المشرب مصنوع من خشب الماهوغاني المصقول، شعر رجل غريب، وهو الزبون الوحيد الآخر في المشرب، بالفضول حيال حقد نيد المستمر.

"كم كان ذلك الرجل المسكين جاراً سيئاً لدرجة أنك لا تزال تحتفل بموته؟".

بطبيعة الحال، تجاهل نيد السؤال، فالسياح لا يفيدونه بقدر ما يفيده البسكويت المملح.

يقدم المشرب أوعية مجانية من البسكويت المملح لأنها رخيصة. يفضل نيد إشباع توقه الشديد بالفول السوداني المملح.

لكي يستمر نيد في منح البقشيش، يعطيه بيلي وايلز، نادل المشرب، كيساً من المكسرات بين الحين والآخر.

في معظـــم الأوقات، يتوجب على نيد دفع ثمن مكسراته، يلهب ذلك ضغينته لأنه لا يستطيع استيعاب الحقائق الاقتصادية لعمل المشرب أو لأنه يستمتع بالضغينة، وهذه هي الحال على الأرجح.

بالـــرغم من أنه يملك رأساً يذكّر بكرة المضرب وكتفين دائريتين كـــبيرتين مـــثل مصارع السومو، يعتبر نيد رجلاً رياضياً فقط في حال اعتبار ثرثرة المشرب، وتحمل الشكاوى بمثابة رياضة. في هذه الحالات، يعتبر بطلاً أولمبياً.

في مـــا يتعلق بهنري فريدل، يمكن أن يكون نيد ثرثاراً مع الغرباء بقـــدر مـــا هو مع السكان القدامى لفينيارد هيلز. الآن، بينما الزبون الوحـــيد الآخر غريب، وجد نيد الصمت أسوأ من الحديث مع شرير غريب.

لم يكـــن يوماً بيلي نفسه كثير الكلام، ولم يكن أبداً واحداً من أولئك النُدل الذين يعتبرون المشرب مسرحاً، إنه يحب الإصغاء.

قال نيد للغريب: "هنري فريدل كان حيواناً مقززاً".

يملـــك الغريب شعراً أسود مثل غبار الفحم ذا خصل رمادية عند الـــصدغين، وعينين رماديتين تشعان بمرح جاف، وصوتاً رناناً بهدوء.

"حيوان مقزز كلمة كبيرة".

"هـــل تعرف ماذا كان الغبـــي يفعل على سطحه؟ كان يحاول التبول على نوافذ غرفة الطعام في منـــزلي".

مـــسح بيلي وايلز طاولة المشرب، ولم ينظر حتى إلى السائح. لقد سمع هذه القصة مرات عدة بحيث يعرف كل رد فعل تجاهها.

شـــرح نـــيد: "فريدل، حيوان مقزز، تصوّر أن الارتفاع سيمنح دفقه مسافة أكبر".

قال الغريب: "هل كان مهندس طيران؟".

"كان أستاذ جامعة، درّس الأدب المعاصر".

قـــال الــــسائح: "قد تكون قراءة تلك الأشياء هي التي دفعته إلى الانتحار". ما جعله يبدو أكثر إثارة مما ظن بيلي في البداية.

قال نيد بتململ: "لا، لا. كان السقوط حادثاً".

"هل كان ثملاً؟".

تساءل نيد: "ولماذا تظن أنه كان ثملاً؟".

هزّ الغريب كتفه. "صعد إلى السطح للتبول على نوافذك".

شـــرح نـــيد، وهو ينقر بإصبعه على كأسه الفارغة للإشارة إلى رغبته في كأس أخرى: "كان رجلاً مريضاً".

سكب بيلي شراب الشعير من البرميل وقال: "كان هنري فريدل مشبعاً بالثأر".

بعـــد تبادل صامت مع شرابه، سأل السائح نيد بيرسال: "الثأر؟ هل قمت إذاً بالتبول أولاً على نوافذ فريدل؟".

حـــذّر نيد بنبرة خشنة نصحت الغريب بتفادي إصدار الأحكام: "لم يكن الشيء نفسه على الإطلاق".

قال بيلي: "لم يفعلها نيد من على سطحه".

"هـــذا صـــحيح. دخلت إلى منـــزله، مثل رجل، ووقفت على مرجه، ووجهت دفق البول إلى نوافذ غرفة طعامه".

قال بيلي: "كان هنري وزوجته يتناولان العشاء في ذلك الوقت".

قبل أن يعبّر السائح عن اشمئزازه لتوقيت الاعتداء، قال نيد: "كانا يتناولان طيور السمانى، أليس كذلك".

"أمطرت نوافذهما بالبول لأنهما كانا يتناولان طيور السمانى؟".

قال نيد بغضب: "لا، طبعاً لا. هل أبدو لك مجنوناً؟". برم عينيه أمام بيلي.

رفع بيلي حاجبيه كما لو أنه أراد القول *ماذا تتوقع من سائح؟*

أوضح نيد: "أحاول أن أقول لك كم كانا متبجحين، يتناولان دوماً طيور السمانى أو البزاق أو السلق".

قال السائح بسخرية خفيفة، لم يستطع نيد بيرسال كشفها لكن بيلي فعل: "حقيران متبجحان".

أكّد نيد: "بالضبط. كان هنري فريدل يقود سيارة جاغوار، وكذلك زوجته تقود سيارة – لن تصدق هذا – سيارة مصنوعة في السويد".

قال السائح: "كانت ديترويت شعبية جداً بالنسبة إليهما".

"بالضبط. كم يفترض أن تكون متبجحاً حتى تحضر سيارة من السويد؟".

قال السائح: "أراهن أنهما كانا خبيرين في الشراب الفرنسي".

"صحيح! هل كنت تعرفهما؟".

"أعرف هذا النوع من الأشخاص. يملكون الكثير من الكتب".

أعلن نيد: "أصبت. كانا يجلسان على المصطبة الأمامية، *يشمّان* الشراب الفرنسي، ويطالعان الكتب".

"أمام العموم. تخيل ذلك. لكن إذا لم تبوّل على نوافذ غرفة طعامهما لأنهما كانا متبجحين، إذاً لماذا فعلت ذلك؟".

طمأنه نيد: "لألف سبب وسبب، حادثة الظربان، حادثة سماد المرجة، نباتات البطونية الميتة".

أضاف بيلي فيما شطف الأكواب في حوض الغسيل في المشرب: "وتمثال الحديقة".

وافق نيد: "تمثال الحديقة كان القشة التي قصمت ظهر البعير".

قال السائح: "أفهم أن يعمد المرء إلى التبول العدائي بسبب طيور الفلامنغو البلاستيكية الوردية، ولكن لأكون صريحاً، لا أفهم أن يكون ذلك بسبب تمثال".

قطّب نيد وجهه، متذكراً الواجهة: "أريادن فعلتها".

"من هي أريادن؟"

"زوجة هنري فريدل. هل سمعت يوماً باسم أكثر تبجحاً؟".

"حسناً، اسم فريدل يجعله أكثر تواضعاً".

"كانـــت أستاذة للفنون في الجامعة نفسها. قامت بنحت التمثال، وصنعت القالب، وسكبت الإسمنت، ودهنته بنفسها".

"إن وجود تمثال مقولب على شكلك قد يكون مصدر فخر".

رغـــوة شـــراب الـــشعير على شفة نيد العلوية جعلته يبدو مثل المـــسعور فيما قال معارضاً: "كان *تمثالاً*، صديقي تمثال *ثمل*؛ كان الأنف أحمر مثل التفاحة، وكان يحمل قنينة شراب شعير في كل يد".

أضاف بيلي: "وكان سحاب سرواله مفتوحاً".

دمدم نيد: "شكراً جزيلاً على تذكيري، والأسوأ من ذلك، كان يتدلى من سرواله رأس وعنق إوزة ميتة".

قال السائح: "كم هذا مبدع".

"في البداية، لم أعرف ما معنى ذلك...".

"معنى رمزي، مجازي".

"نعم، نعم، عرفت، كل من كان يمرّ أمام منـــزلهما ويرى التمثال يضحك على حسابـــي".

قال السائح: "لا حاجة لرؤية التمثال لفعل ذلك".

إنـــه سوء تفاهم، وافقه نيد الرأي. "صحيح. بمجرد سماع ذلك، كان الناس يضحكون. لذا، حطمت التمثال بواسطة مطرقة كبيرة".

"وقاموا بمقاضاتك".

"أسوأ، صنعا تمثالاً آخر. تصوروا أنني اكتفيت بالأول، فقامت أريادن بقولبة وطلاء واحد ثان".

"ظننتُ أن الحياة جميلة هنا في الريف".

تابع نيد القول: "قالا لي حينها إنه إذا حطمت التمثال الثاني، سيصنعان تمثالاً ثالثاً على المرجة، وسيصنعان أيضاً مجموعة من التماثيل ويبيعانها بسعر الكلفة لأي شخص يرغب في الحصول على نسخة تمثال عن نيد بيرسال".

قال السائح: "يبدو هذا تهديداً فارغاً. هل سيكون هناك أشخاص يرغبون فعلاً في الحصول على مثل هذا الشيء؟".

طمأنه بيلي: "بالعشرات".

قال نيد بحزن: "أصبحت هذه البلدة مكاناً حقيراً منذ أن بدأت حشود الباتيه وجبنة البري تنتقل إلى هنا من سان فرانسيسكو".

"إذاً عندما لم تجرؤ على تحطيم التمثال الثاني بالمطرقة، لم يعد لديك خيار إلا التبول على نوافذهما".

"بالضبط. لكنني لم أفعل ذلك بصورة ارتجالية. فكرت في الوضع لمدة أسبوع. بعدها، قمت بالتبول عليهما".

"بعد ذلك، صعد هنري فريدل إلى سطحه مع مثانة ممتلئة بحثاً عن تحقيق العدالة".

"نعم. لكنه انتظر إلى أن أقمت حفلة ذكرى ميلاد أمي".

قال بيلي: "لا يمكن مسامحته على ذلك".

سأل نيد بسخط: "هل تهاجم المافيا الأعضاء الأبرياء لعائلة رجل؟".

بالرغم من أن السؤال بلاغي، شارك بيلي في اللعبة. "لا. المافيا *راقية*".

قـــال نيد: "وهذه كلمة لا يستطيع أولئك الأساتذة لفظها حتى. كانت أمي في السادسة والسبعين. كادت تصاب بنوبة قلبية".

قـــال الـــسائح: "إذاً، فـــيما كان يحاول التبول على نوافذ غرفة طعامـــك، سقط فريدل عن سطح منـــزله وكسر عنقه على تمثال نيد بيرسال. يا للسخرية".

أجاب نيد: "لا أعرف إذا كان مثيراً للسخرية. لكنه حتماً جميل".

ألحّ بيل: "أخبره بما قالته أمك".

بعدما ارتشف القليل من شراب الشعير، قال نيد: "قالت لي أمي: *حمداً لله حبيبـــي، ذلك نموذج للعدل*".

بعـــدما احتاج إلى برهة لاستيعاب هذه الكلمات، قال السائح: "تبدو امرأة ملتزمة دينياً".

"لم تكـــن كـــذلك على الدوام. لكن في عمر الثانية والسبعين، أصيبت بالتهاب في الرئتين".

"من الملائم تذكر الله في مثل هذا الوقت".

"اعـــتقدت أن الله ســـينقذها إن كانت إمراة صالحة وتضرعاتها مقبولة، وإن لم تكن كذلك فلن تخسر الكثير من الوقت".

قال السائح: "الوقت هو أهم شيء نملكه".

وافـــق نـــيد: "صحيح. لكن أمي لا تضيع الكثير من وقتها لأنها تستطيع التضرع في أثناء مشاهدة التلفاز".

قال السائح: "يا لها من قصة ملهمة". وطلب شراب شعير.

فتح بيلي قنينة شراب شعير فنلندية، وأحضر كأساً نظيفة باردة، وهمس: "هذه الكأس على حساب المشرب".

"هـــذا لطـــف منك. شكراً. كنت أفكر كم أنت هادئ ودمث بالنسبة إلى نادل مشرب، لكنني أفهم الآن السبب".

مـــن مكانـــه المنعزل في طرف المشرب، رفع نيد بيرسال كأسه لشرب النخب: "نخب أريادن. فلترقد بسلام".

بالرغم من أنه لم يشأ فعل ذلك ربما، عاد السائح إلى الانخراط في الحديث. سأل نيد: "مأساة تمثال أخرى؟".

"سرطان. بعد عامين من سقوط هنري عن السطح. أتمنى طبعاً لو لم يحصل ذلك".

ســـكب شراب الشعير الفنلندي من جانب كأسه المنحنية، وقال الغـــريب: "يملـــك الموت طريقة لوضع نـــزاعاتنا الصغيرة في منظورها الصحيح".

قال نيد: "أشتاق إليها".

ارتعش السائح.

تذكـــر نيد بطريقة حالمة تقريباً: "كانت تعمل في فناء المنـــزل أو تنـــزّه الكلب".

تحقق السائح من وجهه في مرآة المشرب، ليرى ربما إذا كان يبدو مرعوباً مثلما يشعر.

انـــزلق نيد عن كرسيه، وتوجه نحو حمام الرجال، وتوقف لبرهة أمـــام السائح. "حتى عندما أصابها السرطان، لم يتقلص ثدياها، كلما أصبحت أكثر نحولاً، بدا ثدياها أكبر حجماً، حتى النهاية تقريباً. يا لها من خسارة، أليس كذلك بيلي؟".

"يـــا لهـــا مـــن خسارة" ردد بيلي فيما تابع نيد طريقه إلى حمام الرجال.

بعد صمت متبادل، قال السائح: "أنت رجل مثير، بيلي وايلز".

"أنا؟ لم أتبول يوماً على نوافذ أحد".

"أنت مثل الإسفنجة، حسبما أظن. تمتص كل شيء".

رفــــع بيلي فوطة صحون، ولمّع بعض الأكواب الزجاجية التي تم غسلها وتجفيفها قبلاً.

قــــال الـــسائح: "لكنك مثل الحجر أيضاً، لأنه إذا تم عصرك، لا يخرج أي شيء منك".

تابع بيلي تلميع الأكواب الزجاجية.

العيـــنان الرماديتان الساطعتان بالمرح، سطعتا أكثر. "أنت رجل صاحب فلسفة، وهذا أمر غير اعتيادي هذه الأيام، إذ لا يعرف معظم الأشخاص من هم أو بماذا يعتقدون، أو لماذا".

هذا أيضاً أسلوب نادل مشرب كان بيلي معتاداً عليه، بالرغم من أنـــه لا يسمعه غالباً. مقارنة مع كلام نيد بيرسال الصاخب، قد تبدو مـــثل هذه الملاحظات الثملة واسعة المعرفة؛ لكنها مجرد تحاليل مرتكزة على شراب الشعير.

كـــان خائـــب الأمل. خلال فترة وجيزة، بدا السائح مختلفاً عن الرجال الاعتياديين الذين يقفون على أرضية المشرب.

ابتسم بيلي وهزّ رأسه وقال: "فلسفة. هذا إطراء كبير لي".

ارتشف السائح شراب الشعير الفنلندي.

بالـــرغم من أن بيلي لم يشأ قول المزيد، سمع نفسه يتابع القول: "ابقَ منخفضاً، ابقَ هادئاً، دع الأمور بسيطة، لا تتوقع الكثير، واستمتع بما لديك".

ابتـــسم الغريب. "كن مكتفياً ذاتياً، لا تتورط في المشاكل، ودع العالم يذهب إلى الجحيم إذا أراد ذلك".

اعترف بيلي: "ربما".

قال السائح: "صحيح أن هذا ليس كلام أفلاطون، لكنه فلسفة".

سأل بيلي: "هل تملك فلسفة خاصة بك؟".

"في الـــوقت الحاضر، أعتقد أن حياتي ستكون أفضل وأكثر معنى إذا استطعت تفادي المزيد من المحادثة مع نيد".

قال له بيلي: "ليست هذه فلسفة. إنها حقيقة".

* * *

عـــند الرابعة وعشر دقائق، جاءت آيفي إيلجين إلى العمل. إنها نادلة جيدة جداً ومصدر إغراء من دون منافس.

يستلطفها بيلي لكنه لا يتوق إليها. افتقاده إلى الرغبة جعله فريداً بين الرجال الذين يعملون أو يشربون في المشرب.

تملك آيفي شعراً بلون الماهوغاني، وعينين صافيتين خمريتي اللون، وجسماً أمضى هيوغ هيفنر كل حياته يبحث عنه.

بالـــرغم من أنها في الرابعة والعشرين، بدت غير مدركة أبداً أنها نـــزوة الرجل الأساسية بحدّ ذاتها. لم تلجأ يوماً إلى الإغراء، قد تكون مغناجة أحياناً، وإنما بطريقة مرحة.

جمالهـــا وشكّل جسمها كانا مزيجاً مثيراً جداً بحيث إن ابتسامتها وحدها كفيلة بتذويب قلب أي رجل.

قالت آيفي وهي تتوجه مباشرة إلى المشرب: "مرحبا بيلي. رأيت حـــيوان أبوسوم ميتاً على طريق أولد ميل، على مسافة ربع ميل تقريباً من كورنيل لاين".

سأل: "هل مات بصورة طبيعية أم قتل على الطريق؟".

"قتل على الطريق".

"ماذا يعني ذلك برأيك؟".

قالت وهي تعطيه حقيبة يدها ليضعها لها وراء المشرب: "لا شيء محدد بعد. إنه أول شيء ميت أراه منذ أسبوع، ولذلك يرتبط الأمر بما إذا كانت ستظهر جيف أخرى أم لا".

تعتقد آيفي أنها ضالعة. الضالعون، وهم فئة من متوقعي روما القديمة، يتوقعون المستقبل من أحشاء الحيوانات المقتولة في قرابين.

كانوا محترمين، لا بل مبجلين، من بقية الرومان، لكنهم لم يتلقوا على الأرجح الكثير من الدعوات إلى الحفلات.

لم تكن آيفي مروّعة، فالتوقع بالمستقبل لم يحتل مركز حياتها، نادراً ما تتحدث مع الزبائن بشأن ذلك، ولا تملك أيضاً جرأة للتفتيش بين الأحشاء. بالنسبة إلى ضالعة، تعتبر جبانة.

عوض ذلك، وجدت معنى في نوع الجيفة، في ظروف اكتشافها، في موقعها نسبة إلى نقاط البوصلة، وفي جوانب سرية أخرى من حالها.

نادراً ما صدقت توقعاتها، لكن آيفي مصرّة.

أخبرت بيلي فيما حملت دفتر الطلبات وقلم رصاص: "مهما تبين معنى ذلك، تبقى إشارة سيئة. فحيوان أبوسوم ميت لا يبشر أبداً بحظ جيد".

"لاحظت ذلك بنفسي".

"خصوصاً حين يكون أنفه متجهاً إلى الشمال وذيله متجهاً إلى الشرق".

دخل الرجال العطاشى عبر الباب وراء آيفي، كما لو أنها سراب واحة كانوا يبحثون عنه طوال اليوم، جلس عدد قليل منهم فقط أمام طاولة المشرب. استمر الآخرون في ملاحقتها من طاولة إلى أخرى.

بالرغم من أن زبائن الطبقة الوسطى للمشرب ليسوا أغنياء، فإن مدخول آيفي من البقشيش يتعدى ما كان يمكن أن تجنيه لو حصلت على شهادة دكتوراه في الاقتصاد.

بعد ساعة، أي عند تمام الخامسة، وصلت شيرلي تروبلاد، نادلة المساء الثانية، إلى العمل، هي طويلة وبدينة، تضع شيرلي عطر ياسمين

ولها حاشيتها الخاصة. بعض الرجال في المشارب يريدون دوماً مظهر الأم، وبعض النساء أيضاً.

غادر طاهي النهار، بين فيرنون، إلى منزله، ووصل طاهي المساء، رامون باديلو. يقدم المشرب وجبات سريعة فقط: تشيزبرغر، وبطاطا مقلية، وأجنحة بافلو، وكيساديلاس، وناتشوز...

لاحظ رامون أنه في الليالي التي تعمل فيها آيفي إيلجين، تباع الأطباق الغنية بالتوابل بأعداد أكبر من الليالي التي لا تعمل فيها. يطلب الرجال المزيد من الأطباق بصلصة الطماطم، ويسرفون في استعمال قناني التاباسكو، ويطلبون إضافة شرائح الفليفلة الحريفة إلى أطباق البرغر خاصتهم.

قال رامون ذات مرة لبيلي: "أظن أنهم يخزنون الحرارة في أجسامهم ليكونوا جاهزين إذا جاءت إليهم".

طمأنه بيلي: "لا يملك أي رجل في هذا المشرب فرصة مع آيفي".

قال رامون بخجل: "لا تعرف أبداً".

"لا تخبرني أنك تتناول الفليفلة أنت الآخر".

قال رامون: "تناولت الكثير منها لدرجة أنني أعاني من حرقة في المعدة أحياناً، لكنني جاهز".

وصل مع رامون، نادل مشرب المساء ستيف زيليس، الذي يتداخل دوامه مع دوام بيلي ساعة واحدة. عمره أربعة وعشرين عاماً، وهو أصغر من بيلي بعشرة أعوام وإنما أقل نضوجاً منه بعشرين عاماً.

بالنسبة إلى ستيف، المرح المتكلف، أي قصيدة فكاهية بذيئة كفاية لجعل الرجال الناضجين يتوردون خجلاً.

يستطيع ربط العقد في عنق حبة كرز بواسطة لسانه، وحشو منخره الأيمن بحبات الفول السوداني وإطلاقها بدقة في كأس زجاجية، ونفخ دخان السجائر من أذنه اليمنى.

كالعادة، قفز ستيف فوق البوابة الخلفية في المشرب بدل الدخول عبرها. "كيف الحال أيها الرفيق؟".

أجاب بيلي: "ساعة واحدة وأذهب، وأستعيد حياتي".

احتج ستيف: "هذه هي الحياة. مركز العمل".

مأساة ستيف زيليس هي أنه يقصد فعلاً ما قاله. بالنسبة إليه، يعتبر المشرب الشعبي مثل نادٍ ليلي فخم.

بعد ربط المئزر، أخذ ثلاث حبات زيتون من وعاء، ولعب بها بسرعة مذهلة، ثم أدخلها إلى فمه الواحدة تلو الأخرى.

حين صفق رجلان ثملان أمام المشرب بصوت عالٍ، استمتع ستيف بتصفيقهما كما لو أنه المغني النجم في أوبرا المتروبوليتان وحظي بتصفيق جمهور خبير وراقٍ.

بالرغم من بشاعة صحبة ستيف زيليس، مرّت الساعة الأخيرة من دوام بيلي بسرعة. كان المشرب مزدحم كفاية لإبقاء نادليّ المشرب مشغولين فيما تأخر زبائن بعد الظهر في العودة إلى منازلهم ووصل زبائن المساء.

أحب بيلي المكان خلال هذا الوقت الانتقالي بقدر ما استطاع، حيث يكون الزبائن في ذروة التناغم وأكثر سعادة مما يصبحون عليه لاحقاً، حين يدفع بهم الشراب نحو الكآبة.

.بما أن النوافذ متجهة إلى الشرق والشمس تغيب إلى الغرب، نجح ضوء النهار الخفيف في تلوين الألواح الزجاجية. كشفت ثريات السقف عن تألق نحاسي فوق الطاولات والكراسي المصنوعة من خشب الماهوغاني الأحمر.

كان الهواء مشبعاً بروائح خشب الأرضيات المبللة بشراب الشعير والشمع والتشيزبرغر وحلقات البصل المقلي.

إلا أن بيلي لا يحب المكان كفاية للبقاء فيه بعد انتهاء دوامه. غادر عند تمام السابعة.

لو كان ستيف زيليس، لأعدّ إخراجاً لمغادرته. إلا أنه رحل بدل ذلك بهدوء مثل الشبح الذي يغادر ملاذه.

في الخارج، بقي أقل من ساعتين من ضوء النهار. كانت السماء باللون الأزرق الكهربائي في الشرق، مع أزرق أكثر شحوباً في الغرب، حيث لا تزال الشمس موجودة.

فيما اقترب من سيارته الفورد إكسبلورر، لاحظ ورقة بيضاء مستطيلة تحت مساحة الزجاج الأمامي.

جلس وراء عجلة القيادة، وترك بابه مفتوحاً، وفتح الورقة، متوقعاً العثور على إعلان من نوع ما، لمغسل سيارة أو لمكتب خدم. إلا أنه اكتشف رسالة مطبوعة بترتيب على الآلة الكاتبة:

إذا لم تأخذ هذه الورقة إلى الشرطة وتورّطها، سأقتل معلمة مدرسة شقراء جميلة في مكان ما من منطقة نابا.
وإذا أخذت هذه الورقة إلى الشرطة، سأقتل بدل ذلك امرأة عجوز ناشطة في العمل الخيري.
أمامك ست ساعات لتقرر. الخيار خيارك.

لم يشعر بيلي في تلك اللحظة أن العالم ينهار حوله، لكنه كان ينهار فعلاً، لم يبدأ الغوص بعد، لكنه سيفعل قريباً.

الفصل 2

تلقى ميكي ماوس رصاصة في الحنجرة.

طقطـــق مسدس من عيار 9 ملم ثلاث مرات إضافية في تسلسل سريع، مفتتاً وجه دونالد داك.

يعـــيش لاني أولسن، القنّاص، في نهاية زقاق متصدع قرب هضبة صخرية حيث لا تنمو الكرمة أبداً. لا يستطيع رؤية وادي نابا.

تعويضاً عن العنوان غير اللائق، تم تظليل المكان بأشجار خوخ جميلة وأشجار شاهقة، بالإضافة إلى نباتات الأزاليا البرية. وكان مكاناً خاصاً.

فأقـــرب جـــار يعيش على مسافة بعيدة جداً بحيث يستطيع لاني إقامـــة الحفـــلات 7/24 من دون إزعاج أحد. لا يوفر ذلك أي فائدة بالنسبة إلى لاني لأنه يخلد عادة إلى السرير عند التاسعة والنصف. فكرته للحفلـــة هي عبارة عن كأس شراب شعير وكيس من رقاقات البطاطا المقلية ولعبة ورق.

إلا أن موقـــع منـــزله مثالي للتقنيص، إنه القناص الأكثر براعة في قسم الشريف.

عـــندما كـــان ولداً، أراد أن يكون رسّام صور متحركة، يملك الموهـــبة، صـــور ميكي ماوس ودونالد داك الرائعة المثبتة على الجدار الخلفي المغطى بالقش هي من أعمال لاني.

أخـــرج الرصاصات الفارغة من مسدسه، وقال: "كان يجدر بك التواجد هنا البارحة. أصبت اثني عشر رسماً لرود رانر دفعة واحدة، من دون تفويت أي هدف".

قــــال بيلي: "لن يتحمس وايل إي. كويوت لذلك. هل أطلقت النار يوماً على أهداف عادية؟".

"وأين المتعة في ذلك؟".

"هل أطلقت النار يوماً على رسوم سمبسون؟".

أجاب لاني: "هومر، بارت، الجميع باستثناء مارج. مارج أبداً".

أراد لاني الذهاب إلى كلية الفنون لو لم يصرّ والده المستبد أنسل، على أن يحذو ابنه حذوه في العمل على تطبيق القانون، تماماً مثلما حذا أنسل نفسه حذو والده.

كانـــت بيرل، والدة لاني، داعمة بقدر ما سمح لها مرضها. حين كـــان لاني في السادسة عشرة من عمره، تم تشخيص مرض بيرل على أنه ورم لمفاوي من غير فئة هودجكين.

قـــضى عليها علاج الأشعة والعقاقير، حتى في الفترات التي تمت خلالها السيطرة على الورم اللمفاوي، لم تستعد عافيتها تماماً.

خـــشي لاني ألا يهتم والده جيداً بأمه، فلم يذهب أبداً إلى كلية الفنون. بقي في المنـــزل، وانخرط في وظيفة تطبيق القانون، واعتنى بأمه.

إلا أن أنـــسل مـــات أولاً؛ أوقف درّاجاً بسبب السرعة الزائدة، وأوقفه الدرّاج برصاصة من عيار 0.38 ملم.

بما أنها أصيبت بالورم اللمفاوي في عمر صغير نسبياً، عاشت بيرل لـــوقت طـــويل، ماتت قبل عشرة أعوام، حين كان لاني في السادسة والثلاثين.

كان لا يزال شاباً كفاية لتبديل مهنته والذهاب إلى كلية الفنون، إلا أن الكسل كان أقوى من الرغبة في حياة جديدة.

ورث المنـــــزل، وهـــو منـــزل فيكتوري جميل مع ديكور دقيق ومـــصطبة محيطة به، حافظ على وضعه الأصلي، مع مهنة كانت بمثابة

فرض وليست شغفاً، ومن دون عائلة خاصة به، امتلك الكثير من وقت الفراغ ليخصصه للمنـــزل.

فـــيما أدخـــل لاني رصاصات جديدة إلى المسدس، أخرج بيلي الرسالة المطبوعة من جيبه. "ما رأيك في هذا؟".

قـــرأ لاني الفقرتين فيما عادت الطيور السوداء إلى أعالي أغصان الأشجار الشاهقة.

لم ترسم الرسالة ابتسامة ولا تقطيباً على وجه لاني، بالرغم من أن بيلي توقع أحد الأمرين. "من أين لك هذه؟".

"تركها أحد تحت مساحة الزجاج الأمامي لسيارتي".

"أين ركنت سيارتك؟".

"أمام المشرب".

"مع مغلف؟".

"لا".

"هـــل راقـــبك أحد؟ أقصد، حين نـــزعت الورقة عن المسّاحة وقرأتها".

"لا أحد".

"ماذا ستفعل بها؟".

ذكّره بيلي: "أوجه هذا السؤال إليك".

"مزحة. نكتة مقرفة".

حدّق بيلي إلى السطور المطبوعة وقال: "في البداية، كان هذا رد فعلي، لكن...".

تنحـــى لاني جانباً ليحاذي نفسه مع رسوم جديدة لإيلمر فاد وبـــاغس بـــاني معلقـــة علـــى الجدار. "لكنك سألت نفسك بعدها *ماذا لو...؟*"

"ألا تفعل ذلك أنت؟".

"طـــبعاً. كل شرطي يفعل ذلك، طوال الوقت، وإلا لانتهى ميتاً قبل الوقت المحدد، أو يطلق النار حين لا يجدر به ذلك".

قـــبل زمن غير بعيد، جرح لاني رجلاً ثملاً ظن أنه مسلّح، لكن بدل المسدس، كان الرجل يحمل هاتفاً خلوياً.

تابـــع القـــول: "لكن لا يمكنك الاستمرار في القول ماذا لو إلى الأبـــد. علـــيك التماشي مع الفطرة. وفطرتك مثل فطرتي، إنها نكتة، بالإضافة إلى ذلك، تعرف من خلال حدسك من فعلها".

قال بيلي: "ستيف زيليس".

"هدف".

اتخـــذ لاني وقفـــة تقنيص؛ أرجع الساق اليمنى قليلاً إلى الخلف للـــتوازن، وثنى الركبة اليسرى، ووضع يديه على المسدس. أخذ نفساً عمـــيقاً، وأطلـــق النار على إيلمر خمس مرات فيما هربت مجموعة من الطيور السوداء من الأشجار الباسقة وحلقت عالياً في السماء.

أصـــاب أربع إصابات قاتلة وجرحاً واحداً، قال بيلي: "المشكلة هي... لا يبدو ذلك من فعل ستيف- أو يمكن أن يفعله".

"و لم لا؟".

"إنـــه رجـــل يحمل مثانة مطاطية صغيرة في جيبه بحيث يستطيع إصدار صوت عالٍ حين يظن أن الأمر قد يكون مضحكاً".

"ما معنى ذلك؟".

طوى بيلي الورقة المطبوعة، وأعادها إلى جيب قميصه. "يبدو هذا معقداً جداً بالنسبة إلى ستيف، دقيقاً جداً".

وافقه لاني الرأي بالقول: "الشاب ستيف دقيق بقدر بذاءة التفاح الخضراء".

استعاد لاني وقفته، وأطلق النصف الثاني من الرصاصات على باغس باني، وسجل خمس إصابات قاتلة.

سأل بيلي: "ماذا لو كان التهديد حقيقياً؟".

"ليس حقيقياً".

"لكن ماذا لو كان كذلك؟".

"وحدهم المجانين المحبون للقتل يلعبون مثل هذه اللعب في الأفلام السينمائية. في الحياة الحقيقية، يكتفي القتلة بالقتل، القوة هي ما يمثلونه، القوة وأحياناً الجنس العنيف، من دون المزاح معك بالأحجيات والألغاز".

وقعت الرصاصات الفارغة على العشب. عكست الشمس المتجهة غرباً أشعتها على أنابيب النحاس فجعلتها تشع باللون الذهبي المحمر.

أدرك لاني أنه لم يزل شك بيلي فتابع القول: "حتى لو كان التهديد حقيقياً- وهو ليس كذلك- ما الذي يمكن فعله بهذه الورقة؟".

"معلمات المدارس الشقراوات والنساء المتقدمات بالسن".

"في مكان ما من مقاطعة نابا".

"نعم".

قال لاني: "مقاطعة نابا ليست سان فرانسيسكو، لكنها ليست أيضاً أرضاً مهجورة. هناك الكثير من الأشخاص في الكثير من البلدات. قسم الشريف، إضافة إلى كل قوى الشرطة في المقاطعة، لن تملك ما يكفي من الرجال لتغطية كل تلك القواعد".

"ليست بحاجة إلى تغطيتها كلها. إنه يحدد أهدافه؛ معلمة مدرسة شقراء *جميلة*".

عارض لاني: "هذا حكم نسبي. فمعلمة المدرسة الشقراء التي تجدها جميلة قد تكون بشعة بالنسبة إليّ".

"لم أكن أعرف أنك تفرض مثل هذه المعايير العالية عند النساء".

ابتسم لاني. "أنا نيّق".

"على كل حال، هناك أيضاً المرأة الكبيرة بالسن *الناشطة في العمل الخيري*".

أدخـل لاني رصاصة ثالثة في المسدس، وقال: "الكثير من النساء المـتقدمات بالسن ناشطات في العمل الخيري، إنهن يتحدرن من جيل كان يهتم بجيرانه".

"إذاً لن تفعل أي شيء؟".

"ما الذي تريدني أن أفعله؟".

لا يملـك بيلي اقتراحاً، وإنما فقط ملاحظة: "يبدو وكأنه يجدر بنا فعل شيء ما".

"في الأساس، تكون الشرطة تفاعلية وليست سباقة للتفاعل".

"إذاً عليه أن يقتل شخصاً أولاً؟".

"لن يقتل أحداً".

عارض بيلي: "يقول إنه سيفعل".

"إنهـا مـزحة. تخـرج ستيف زيليس أخيراً من مدرسة الفكاهة السخيفة".

أومأ بيلي برأسه. "ربما أنت على حق".

"أنا حتماً على حق". أشار لاني إلى بقية الرسوم الملونة المثبتة على الجدار السميك وأضاف: "والآن، قبل أن يفسد الشفق هدفي، أريد قتل صورة *شريك*".

"كنت أظن أنه فيلم جميل".

قـال لاني بتململ: "لست ناقداً، لكنني مجرد رجل يستمتع قليلاً ويحسّن مهارات عمله".

"حـــسناً، لا بأس، سأذهب من هنا. أراك يوم الجمعة خلال لعبة الورق".

قال لاني: "أحضر معك شيئاً".

"مثل ماذا؟".

"سيحضر جو يخنة الأرز واللحم، وسيحضر لوروي خمسة أنواع من الصلصة والكثير من رقاقات الذرة. لماذا لا تحضر فطيرة الطامال؟".

فـــيما تحـــدث لاني، جفل بيلي. "نبدو مثل مجموعة من العوانس اللواتي يخططن لحفلة تطريز".

قال لاني: "نحن مرضى لكننا لم نمت بعد".

"كيف نعرف؟".

قـــال لاني: "لو كنت ميتاً وفي الجحيم، لما سمحوا لي بالاستمتاع برسم الصور المتحركة، وهذه ليست نقيض الجحيم حتماً".

حـــين وصل بيلي إلى سيارة الإكسبلورر، بدأ لاني أولسن يطلق النار على شريك، والأميرة فيونا، والحمار دانكي، وغيرها من الرسوم.

أصبحت السماء شرقاً ياقوتية اللون. عند الجهة الغربية، بدأ اللون الأزرق يختفي ليظهر مكانه لون ذهبـــي، مع لمسة حمراء تحت الظلال الذهبية.

وقـــف بيلـــي قرب سيارته الرباعية الدفع تحت الظلال الطويلة، وراقـــب لاني وهـــو يصقل مهاراته في الرماية ويحاول، للمرة الألف، القضاء على حلمه غير المشبع في أن يكون رسام صور متحركة.

الفصل 3

لا يمكـــن لأمـــيرة مسحورة، نائمة في برج عالٍ، تحلم لسنوات طـــويلة أن تـــوقظها قبلة، أن تكون أجمل من باربارة ماندل النائمة في وايسبرينغ بايـنـــز.

تحـــت ضـــوء المـــصباح الخفيف، انتشر شعرها الذهبـــي على الوسادة، وكان لامعاً مثل السبيكة الذهبية المسكوبة من المصهر.

واقفـــاً قرب سريرها، لم يشاهد بيلي وايلز أبداً دمية خزفية لها بشرة شـــاحبة أو خالية من العيوب بقدر بشرة باربارة. بدت بشرتها شفافة، كما لو أن الضوء تغلغل عبر السطح ثم أشرق وجهها من الداخل.

لو أزاح جانباً البطانية الرقيقة والشرشف، لكشف عن إهانة غير موجـــودة عند الأميرات المسحورات. فقد تم إدخال أنبوب للتغذية إلى معدتها بواسطة عملية جراحية.

أمر الطبيب بالتغذية البطيئة المستمرة. خرخرت مضخة القطرات بهدوء فيما زودت غذاء متواصلاً.

إنها في غيبوبة منذ أربعة أعوام تقريباً.

غيبوبـــتها ليست من النوع الأكثر وخامة. فهي تتثاءب أحياناً، وتتنهد، وتحرك يدها اليمنى إلى وجهها، وحنجرتها، وثديها.

بـــين الحين والآخر، تتحدث، ولكن ليس أكثر من بضع كلمات غامضة، غير موجهة إلى أحد في الغرفة وإنما إلى شبح معين في عقلها.

لكـــن حتى عندما تتحدث أو تحرك يدها، تبقى غير مدركة لكل شيء حولها. إنها فاقدة الوعي، وغير مستجيبة للتحفيز الخارجي.

في الــوقت الحاضر، استلقت بهدوء تام، من دون حتى أن تتحرك عيناها تحت جفنيها، فيما انفرجت شفتاها قليلاً عن بعضهما. لا يتنفس الشبح بهدوء أكبر.

أخـــرج بيلي من جيب سترته دفتراً صغيراً مع قلم صغير الحجم مثبت عليه، وضعهما على المنضدة الصغيرة.

كانـــت الغـــرفة صغيرة مفروشة بأثاث بسيط: سرير مستشفى واحـــد، منضدة واحدة، وكرسي واحد. أضاف بيلي قبل فترة طويلة كرســـياً مـــن دون مـــسند يسمح له بالجلوس على علو كافٍ لمراقبة باربارة.

يوفر دار الرعاية وايسبرينغ باينـــز عناية جيدة وإنما بيئة متقشفة. نصف المرضى يتماثلون إلى الشفاء، فيما يعتبر النصف الآخر مخزنين فيه تقريباً.

جلس على الكرسي العالي قرب السرير، وأخبرها عن نهاره، بدأ بوصـــف شروق الشمس وانتهى بجلسة تقنيص لاري الرسوم الكرتونية الشهيرة.

بالرغم من أنها لم تستجب أبداً لأي شيء قاله، شك بيلي في أن تـــتمكن باربـــارة مـــن سماعه خلال نومها العميق، يريد التصديق أن حضوره، وصوته وعاطفته قادرة على مواساتها.

حـــين لم يعد لديه المزيد لقوله، تابع التحديق إليها، لا يراها دوماً مـــثلما هـــي الآن، رآهـــا مثلما كانت قبلاً- مليئة بالحياة والحيوية - ومثلما كان يفترض أن تكون اليوم لو كان القدر أكثر لطفاً.

بعد برهة، أخرج الرسالة المطوية من جيب قميصه، وقرأها مجدداً.

انتهـــى للتو من القراءة حين تحدثت باربارة همساً بسرعة أكبر مما تستطيع الأذن سماعها. "أريد أن أعرف ماذا يقول..."

شعر بيلي بالذعر ونهض عن الكرسي. انحنى فوق درابزون السرير للتحديق إليها عن كثب أكبر.

لم تقل أبداً قبلاً، خلال غيبوبتها، أي شيء بدا مرتبطاً بشيء قاله أو فعله هو في أثناء الزيارة. "باربارة؟".

بقيت ساكنة، مع عينين مغمضتين، وشفتين مبتعدتين عن بعضهما، و لم تكن أكثر حيوية من جثة هامدة في تابوت.

"هل يمكنك سماعي؟".

لمس وجهها بأطراف أصابعه المرتعشة، فلم تستجب.

أخبرها قبلاً ما أفادت به الرسالة الغريبة، لكنه قرأها الآن مجدداً في حال كانت كلماتها المتمتمة تشير إليها.

حين انتهى، لم تتفاعل، لفظ اسمها من دون تأثير.

جلس على الكرسي العالي مرة جديدة، ورفع الدفتر الصغير عن المنضدة، دوّن بالقلم الصغير كلماتها السبع وتاريخ لفظها لها.

يملك دفتراً لكل سنة من سنوات نومها غير الطبيعي. وبالرغم من أن كل دفتر يحتوي فقط على مئة صفحة صغيرة، لم يمتلئ أي منها، لأنها لا تتحدث في أثناء كل زيارة- أو حتى في معظم الزيارات.

أريد أن أعرف ماذا يقول.

بعد تأريخ الجملة المكتملة على غير عادة، قلّب الصفحات، وتصفح الدفتر مجدداً، و لم يقرأ التواريخ وإنما فقط بعض كلماتها.

الخراف لا تسامح

أولاد يوجوه أبقار

لساني الصغير

سلطة شاهده

بابا، بطاطا، دجاج، خوخ، منشور

موسم الظلمة

يتورم إلى الأمام

ارتفاع عظيم

كل الومضات بعيدة

ثلاثة وعشرون، ثلاثة وعشرون

في كلماتهـــا، لم يستطع بيلي العثور على تناسق أو تلميح في أي منها.

بـــين الـــوقت والآخر خلال الأسابيع، والأشهر، تبتسم ابتسامة خفيفة. ضحكت بهدوء مرتين فقط.

لكـــن في مناسبات أخرى، همس كلمات تبعث فيه الاضطراب، وأحياناً القشعريرة.

ممزق، مرضوض، لاهث، نازف

دم ونار

فؤوس، سكاكين، حراب

أحمر في عيونهم، عيونهم المسعورة

لم تُلفـــظ هذه الكلمات المرعبة بنبرة حزينة، بل جاءت بالتمتمة نفسها التي تَلفظ فيها الكلمات الأخرى الأقل إزعاجاً.

إلا أنها أقلقت بيلي، خشي أن تكون في أعماق غيبوبتها، موجودة في مكان مظلم ومخيف، تشعر فيه أنها عالقة ومهددة ووحيدة.

قطّبت الآن حاجبيها وتحدثت مجدداً. "البحر..."

حين دوّن ذلك، قالت المزيد: "ما هو..."

أصبح السكون في الغرفة أكثر عمقاً، كما لو أن ذرات لا متناهية مـــن الجـــو الكثيف سحبت كل التيارات من الهواء بحيث يصل صوتها الناعم إلى بيلي.

رفعت يدها اليمنى إلى شفتيها كما لو أنها أرادت تحسس كلماتها.

"ما الذي يستمر في قوله".

إنها الجملة الأكثر تناسقاً والتي لفظتها في أثناء غيبوبتها، ونادراً ما قالت هذا القدر من الكلمات في زيارة واحدة.

"باربارة؟".

"أريد أن أعرف ماذا يقول... البحر".

أخفضت يدها إلى ثديها، واختفى التقطيب عن حاجبيها، عادت عيناها اللتان تحركتا تحت الجفنين فيما تحدثت، إلى الجمود مرة جديدة.

ثـبّت بيلي القلم فوق الورقة، وانتظر، لكن باربارة تناغمت مع صمت الغرفة. وازداد الصمت عمقاً، والسكون، إلى أن شعر بضرورة الـذهاب أو ملاقاة مصير مماثل لمصير ذبابة مما قبل التاريخ محفوظة في عنبر.

تبقى في هذا السكون لساعات أو لأيام، أو للأبد.

قـبّلها ولكـن ليس على فمها، سيبدو ذلك مثل اعتداء، كانت وجنتها ناعمة وباردة على شفتيه.

ثلاثة أعوام، وعشرة أشهر وأربعة أيام مضت على غيبوبتها، التي سقطت فيها بعد شهر واحد فقط من قبولها خاتم الخطوبة من بيلي.

الفصل 4

لا يملـــك بيلي العزلة التي يستمتع بها لاني، لكنه يعيش في أرض محاطـــة بالأشجار الحرجية وأشجار الأرز، على طول ممر فيه عدد قليل من المنازل.

لا يعرف جيرانه، ما كان ليعرفهم حتى لو عاشوا أقرب، إنه ممتن للامبالاتهم.

تفـــاوض المالك الأساسي للمنـــزل مع المهندس المعماري لجعل المنـــــزل هجيناً، نصف بنغالو ونصف كوخ مرتب. التصميم الإجمالي هـــو تـــصميم بنغالو، لكن الواجهة المصنوعة من خشب الأرز، والتي أصـــبحت بيـــضاء بفعل عوامل الطقس، هي واجهة كوخ، تماماً مثل المصطبة الأمامية مع الأعمدة الكبيرة الداعمة للسقف.

على عكس معظم المنازل الثنائية القطبين، بدا هذا المنـــزل حميماً. بالفعل، تبدو النوافذ المصنوعة من الزجاج المشطوب والألواح الماسية - بـــنغالو صرف - مثل الجواهر المتلألئة عند إشعال الأنوار. في النهار، تـــبرم دوّارة الطقـــس على السطح برشاقة كسولة حتى في عزّ ثورات الرياح.

أمـــا المرأب المنفصل، المشتمل أيضاً على مشغل لنحت الخشب، فموجود وراء المنـــزل.

بعدما ركن بيلي سيارة الإكسبلورر، وأغلق البوابة الكبيرة وراءه، مـــشى عـــبر الفناء الخلفي متوجهاً إلى المنـــزل، فيما ناحت بومة من مكان جثومها على سطح المرأب.

لم تجـــب البومات الأخرى. لكن بيلي ظن أنه سمع صوت فئران، واســـتطاع تقريباً الإحساس بها وهي ترتجف بين الشجيرات، تواقة إلى العشب الطويل وراء الفناء.

شعر بتلبد في عقله وتشوش في أفكاره. توقف لبرهة وأخذ نفساً عميقاً، مستنشقاً الهواء المليء برائحة اللحاء العطرة وإبر أشجار الأرز، نجحت الرائحة المطهرة في تنقية رأسه.

لكـــن بدا أن الوضوح غير مرغوب فيه الآن. لا يشرب الكثير في العادة، لكنه أراد الآن شرب شراب الشعير والشراب الاسكتلندي.

بـــدت النجوم قاسية. إنها ساطعة أيضاً في السماء الصافية، لكنه تلقى منها إحساساً بالقساوة.

لم يصدر صوت طقطقة من الدرجات الخلفية أو من ألواح الأرضية في المصطبة. لديه الكثير من الوقت لإبقاء المكان في حال جيدة ومرتبة.

بعـــدما أتلـــف الجزء الداخلي من المطبخ، تولى شخصياً صناعة الخزانات، إنها مصنوعة من خشب الكرز الداكن.

ركّـــب بنفسه الأرضية المصنوعة من مربعات الغرانيت الأسود. تطابقت ألواح الغرانيت في المجلى مع الأرضية.

نظـــيف وبسيط، أراد جعل المنـــزل كله على هذا الشكل، لكنه أضاع طريقه بعد ذلك.

ســـكب قنينة باردة من مشروب غينيس في كوب وأضاف إليها القليل من الشراب الاسكتلندي. حين يشرب، يرغب في الحصول على قوة في التركيبة والمذاق في الوقت نفسه.

كان يحضر سندويش بسطرما حين رنّ الهاتف. "آلو؟".

لم يجب المتصل حتى عندما قال بيلي آلو مجدداً.

في العادة، كان ليظن أن الخط انقطع. لكن ليس هذه الليلة.

أصغى جيداً، وأخرج الرسالة المطبوعة من جيبه، فتحها وسطحها على رف الغرانيت الأسود.

كان الخط المفتوح فارغاً مثل جرس، وإنما جرس من دون لسان، ولم يسمع أزيز السكون، لم يستطع بيلي سماع المتصل وهو يشهق أو يزفر، كما لو أن المتصل مات وتوقف عن التنفس.

سواء أكان مازحاً أو قاتلاً، غرض الرجل هو التخويف والترهيب. لم يرضه بيلي بقول آلو ثالثة.

أصغيا إلى صمت بعضهما بعضاً، كما لو أنه يمكن معرفة شيء ما من اللاشيء.

بعد دقيقة كاملة ربما، بدأ بيلي يتساءل إذا كان يتخيل حضوراً في الطرف الآخر من الخط.

إذا كان على اتصال حالياً مع كاتب الورقة، فإن إقفال الخط أولاً سيكون خطأ، سيتم اعتبار قطعه للاتصال بمثابة علامة خوف أو ضعف على الأقل.

لقد علّمته الحياة الصبر، بالإضافة إلى ذلك، انطوت صورته الذاتية على احتمال أن يكون أحمق، ولذلك لم يقلق في أن يبدو مغفلاً. انتظر.

حين أقفل المتصل الخط، أثبت صوت انقطاع الخط أنه كان موجوداً هناك، ثم جاء صوت الخط.

قبل أن يتابع إعداد السندويش، دخل بيلي إلى الغرف الأربع والحمام. أسدل الستائر فوق كل النوافذ.

أمام طاولة الطعام في المطبخ، تناول السندويش مع قطعتين من الشبث المخلل. شرب كأساً أخرى، ولكن هذه المرة من دون إضافة الشراب الاسكتلندي.

لا يملك تلفازاً، فبرامج التسلية تضجره، ولا يحتاج إلى الأخبار.

أفكاره كانت صحبته الوحيدة خلال العشاء. لم يتأخر في تناول سندويش البسطرما.

* * *

اصـــطفت الكتب على جدار واحد في غرفة الجلوس من الأرض إلى السقف. لطالما كان بيلي مطالعاً نهماً في معظم حياته.

فقـــد الاهتمام في المطالعة قبل ثلاثة أعوام، وعشرة أشهر وأربعة أيام. فالحب المشترك للكتب، للخيال بكل أنواعه، جمعه وباربارة معاً.

ثمـــة مجموعة من كتب ديكنـــز ذات أغلفة متناسقة موضوعة على رف واحد، أهدته إياها باربارة لمناسبة الميلاد، كانت تحب ديكنـــز كثيراً.

هـــذه الأيام، يحتاج إلى إبقاء نفسه مشغولاً فبمجرد الجلوس على كرسي مع كتاب يجعله يشعر بالتململ، يشعر بالضعف نوعاً ما.

بالإضـــافة إلى ذلـــك، احتوت بعض الكتب على أفكار مقلقة، تجعلـــك تفكر في أمور تريد نسيانها، وبالرغم من أن أفكارك تصبح لا تحتمل، لا يمكنك دفعها إلى الراحة.

كان السقف المزخرف لغرفة الجلوس نتيجة حاجته إلى إبقاء نفسه مشغولاً، فقد تم إعداد كل زخرفة غائرة بقالب خاص. كشف وسط كـــل زخرفة عن مجموعة من أوراق الأقنثا المنحوتة باليد من السنديان الأبيض، والملونة بلون مطابق للون الماهوغاني المحيط.

لا يعتـــبر أسلوب هذا السقف ملائماً لكوخ ولا لبنغالو، لكنه لا يبالي، فالمشروع أبقاه مشغولاً لأشهر عدة.

في مكتـــبه، كـــان السقف المزخرف أكثر تعقيداً من السقف في غرفة الجلوس.

لم يـــتوجه إلى المكتب، حيث الكمبيوتر غير المستعمل يضجره، جلس بدل ذلك أمام طاولة عليها أدوات النحت خاصته.

هنا أيضاً توجد كدسات من كتل السنديان الأبيض، تفوح منها رائحة خشب حلوة. هذه الكتل هي المواد الأولية للزخرفات التي ستزين سقف الحمام الذي هو حالياً من الجص العاري.

على الطاولة يوجد مشغّل للأقراص الموسيقية ومكبران صغيران للصوت. كان مشغل الأقراص محملاً بموسيقى زيديكو، فأدار المشغّل.

نحت الخشب إلى أن آلمته يداه، وارتجت رؤيته، أطفأ حينها الموسيقى، وذهب إلى السرير.

استلقى على ظهره في الظلمة، وحدّق إلى السقف الذي لم يستطع رؤيته، وانتظر حتى تغمض عيناه، انتظر.

سمع شيئاً على السطح، شيئاً يخربش على ألواح الخشب، إنها البومة بلا شك، لم تنعب البومة، إنه ربما حيوان راكون، أو شيء ما.

ألقى نظرة على الساعة الرقمية الموضوعة على المنضدة، مرّت عشرون دقيقة بعد منتصف الليل.

لديك ست ساعات لتفرر. الخيار خيارك.

سيكون كل شيء بخير عند الصباح. لطالما كان كل شيء بخير. حسناً، ليس تماماً، وإنما جيد كفاية لتشجيع المثابرة.

أريد أن أعرف ماذا يقول البحر. ما الذي يستمر في قوله.

أغمض عينيه بضع مرات، لكن هذا لم ينفع، يجب أن تغمض العينان وحدهما حتى يأتي النوم، نظر إلى الساعة وهي تتبدل من 12:59 إلى 1:00.

كانت الورقة تحت مسّاحة الزجاج الأمامي حين خرج من المشرب عند السابعة مساء. مرّت ست ساعات.

تم قتل أحدهم، أو لا. طبعاً لا.

تحت المخالب المخربشة للبومة، إذا كانت بومة، نام.

الفصل 5

لا يملك المشرب اسماً، أو بالأحرى وظيفته هي اسمه. اللافتة على أعلـــى العمود، عندما تنعطف من الطريق السريع إلى مرأب السيارات المحاط بشجر البقّ، تشير إلى مشرب فقط.

جاكـــي أوهـــارا هو صاحب المكان، إنه بدين، مليء بالنمش، لطيف، وهو مع الجميع بمثابة صديق أو عم حنون.

لا يرغب في رؤية اسمه على اللافتة.

حـــين كان ولداً، أراد جاكي أن يكون رجل دين، أراد مساعدة الناس، أراد إرشادهم إلى طريق الله.

علّمـــه الـــوقت أنه قد لا يتمكن من ضبط شهواته، فيما كان لا يـــزال شـــاباً، استنتج أنه سيكون رجل دين سيئ، وليست هذه طبيعة حلمه.

وجد الاحترام الذاتي في إدارة مشرب نظيف وودود، لكن بدا له أن الرضى البسيط في إنجازاته سيتحول إلى غرور إذا أسمى المشرب تيمناً به.

برأي بيلي وايلز، كان جاكي ليصبح رجل دين جيداً، فكل كائن بشري يملك شهوات تصعب السيطرة عليها، لكن عدداً قليلاً من الناس يملكون التواضع، والرقة، والإدراك لمواطن الضعف.

مـــشرب فينيارد هيلز، مشرب أشجار البق المظللة، مشرب ضوء الـــشموع، مـــشرب جانـــب الطريق، يقدم بانتظام الزبائن الدائمون اقتراحات لتسمية المكان، وجد جاكي اقتراحاتهم غريبة أو غير ملائمة.

حـــين وصـــل بيلـــي عند الحادية عشرة إلا ربع من صباح يوم الـــثلاثاء، قبل خمس عشرة دقيقة من افتتاح المشرب، كانت السيارات الوحيدة الموجودة في مرأب السيارات سيارة جاكي وسيارة بين فيرنون طاهي النهار.

وقف قرب سيارته الإكسبلورر، وتأمل سلسلة الهضاب المنخفضة في البعيد، في الطرف البعيد من الطريق السريع، إنها هضاب باللون البني الـــداكن حيث كشطتها الجرافات، وباللون البني الشاحب حيث ذبل العشب البري نتيجة حرارة الصيف القوية.

كانـــت شركة بيرلس بروبرتيز، وهي شركة دولية، تشيّد منتجعاً ســـياحياً عالمياً، سيطلق عليه اسم **فاينلاند**، على مساحة تسعمئة أكر. بالإضـــافة إلى فـــندق وملعـــب غولـــف، وثلاثـــة أحواض سباحة، ونادي تنس، ومرافق تسلية أخرى، اشتمل المشروع على منازل بقيمة 190 ملـــيون دولار لبـــيعها لأولئك الذين يأخذون التسلية على محمل الجد.

بدأ العمل بالأساسات في بداية الربيع. والجدران ترتفع الآن.

على مسافة أقرب من التشييدات الضخمة على الهضاب العلوية، وعلـــى مـــسافة أقل من مئة قدم من الطريق السريع، ثمة لوحة جدارية هائلة شارفت على الانتهاء إلى مرج. ارتفاعها سبعون قدماً، وعرضها 150 قـــدماً، هي ثلاثية الأبعاد، مصنوعة من الخشب ومطلية بالرمادي مع ظلال سوداء.

في تقالـــيد الفـــنون، تمـــثل اللوحة الجدارية صورة أنيقة للآليات القـــوية، بمـــا في ذلك عجلات القيادة وقضبان الوصل في الآلية. هناك أيـــضاً ناقلات حركة عملاقة، ودروع غريبة، ومجموعة من الأشكال الميكانيكية التي ليس لها علاقة بقطار.

ثمة صورة عملاقة وأنيقة لرجل بملابس العمل موضوعة في القسم الموحـــي بآلية، الجسم مزوّى من اليسار إلى اليمين كما لو أنه ينحني أمام رياح قوية، بدا كأنه يدفع إحدى عجلات القيادة العملاقة، كما لـــو أنها عالقة في الآلية، ويضغط إلى الأمام بخوف وتصميم كبيرين، كمـــا لـــو أنه إذا ارتاح لبرهة ستخرج الآلية عن مسارها وتتحطم قطعاً.

لا يعمـــل أي مـــن الأقسام المتحركة في اللوحة الجدارية، إلا أنها تعطي صورة مقنعة للحركة، والسرعة.

تولى فنان شهير له اسم واحد- فاليس- تصميم اللوحة وتنفيذها مع فريق عمل من ستة عشر شخصاً.

اللوحة الجدارية ترمز إلى الوتيرة المحمومة للحياة العصرية، والفرد المنهك من قوى المجتمع.

يـــوم يـــتم افتتاح المنتجع لبدء العمل به، سيقوم فاليس شخصياً بإشـــعال النار في الجدارية وإحراقها لتجسيد التحرر من السرعة المجنونة للحياة التي يمثلها المنتجع الجديد.

معظم السكان المحليين في فينيارد هيلز والمنطقة المحيطة سخروا من الجدارية، وحين يطلقون عليها اسم *فن*، يقولون فن بين قوسين.

أحـــب بيلـــي اللـــوحة الجدارية، لكنه وجد إحراقها أمراً غير منطقي.

قـــام الفنان نفسه بتثبيت عشرين ألف بالون أحمر معبأة بالهليوم علـــى جسر في أستراليا، بحيث بدا الجسر مدعوماً بها، وبواسطة جهاز تحكم عن بعد، فجر العشرين ألف بالون دفعة واحدة.

في تلك الحال، لم يفهم بيلي الفن أو كما يقولون الفن بين قوسين أو الجدوى من تفجيره.

بالـــرغم مـــن أنه ليس ناقداً، شعر أن هذه الجدارية فن وضيع أو حـــرفة يدويـــة بارعة، وإحراقها ليس منطقياً بالنسبة إليه أكثر من قيام متحف برمي لوحات رامبراند الفنية في النار.

هـــناك الكـــثير من الأمور في المجتمع المعاصر التي ترعبه بحيث لن يـــستغرب هـــذه المسألة الصغيرة. لكن ليلة الإحراق، لن يأتي لمشاهدة النار.

دخل إلى المشرب.

حمل الهواء رائحة غنية بدت وكأن فيها نكهة. بين فيرنون يطهو يخنة من الفليفلة الحريفة.

وراء المـــشرب، كـــان جاكـــي أوهـــارا يقـــوم بجردة لمخزون المشروبات. "بيلي، هل رأيت ذلك البرنامج الخاص على القناة السادسة الليلة الماضية؟".

"لا".

"لم تـــشاهد ذلـــك التقرير الخاص عن الصحون الطائرة وخطف الكائنات الغريبة؟".

"كنت أنحت على وقع موسيقى زيديكو".

"قـــال هـــذا الـــرجل إنه تم أخذه إلى مركبة فضائية تدور حول الأرض".

"وما الجديد في ذلك؟ تسمع هذه الأمور طوال الوقت".

"يقول إنه خضع لامتحان بروتوكول من قبل مجموعة من كائنات الفضاء الغريبة".

دفع بيلي بوابة المشرب. "هذا ما يقولونه جميعاً".

"أعـــرف، أنت محق، لكنني لا أفهم". قطّب جاكي وجهه. "لماذا يجـــتاز عِـــرق من الكائنات الغريبة المتفوقة، أذكى منا بآلاف المرات،

مـــسافة ملايـــين الأميال عبر الكون لمجرد النظر إلينا؟ ما هي قصتها- منحرفة؟"

طمأنه بيلي: "لم يأتوا أبداً إليّ. وأشك في أنهم أتوا أصلاً إلى ذلك الرجل أيضاً".

"لديه الكثير من المصداقية، إنه مؤلف كتب. أقصد، حتى قبل هذا الكتاب، نشر مجموعة من الكتب الأخرى".

أخرج بيلي مئزراً من الدرج، وربطه، وقال: "مجرد نشر كتاب لا يعطي أحداً مصداقية. هتلر نشر كتباً".

سأل جاكي: "حقاً؟".

"نعم".

"هتلر؟".

"حسناً، لم يكن بوب هتلر".

"أنت تتلاعب بأعصابـــي".

"اسأل عن ذلك".

"ماذا كتب- قصصاً جاسوسية أو ما شابه؟".

أجاب بيلي: "ما شابه".

"كتب هذا الرجل علماً خيالياً".

"مفاجأة".

شـــدد جاكي: "علم خيالي. كان البرنامج مقلقاً فعلاً". رفع طبقاً أبـــيض صغيراً عن سطح العمل، وأصدر صوت تململ وقرف. "كيف سأبدأ بحرمان ستيف من التوابل؟".

في الطـــبق هناك من خمس عشرة إلى عشرين حبة كرز. تم ربط كل واحد منها في عقدة.

قال بيلي: "يجده الزبائن ممتعاً".

"لأنهم نصف مجانين. على كل حال، يزعم أنه رجل مضحك، لكنه ليس كذلك".

"يملك كل واحد فكرته الخاصة عما هو مضحك".

"لا، أقصد أنه يزعم أنه خفيف الظل ومرح، لكنه ليس كذلك".

قال بيلي: "لم أره يوماً إلا بهذه الطريقة".

"إسأل سيليا رينولدز".

"من هي؟".

"جارة ستيف".

اقترح بيلي: "قد يملك الجيران أحقاداً. لا يمكن دوماً تصديق ما يقولونه".

"تقول سيليا إنه يكشف عن نوبات غضب في الفناء الخلفي".

"ماذا يعني ذلك - نوبات غضب؟".

"تقول إنه يصبح مثل المجنون، يفرم الأغراض".

"أي أغراض؟".

"مثل كرسي طاولة الطعام".

"التي تخص من؟".

"هو. فرمها حتى لم يبقَ منها شيء إلا الفتات".

"لماذا؟".

"يشتم ويغضب حين يكون في النوبة، يبدو وكأنه يخرج الغضب من داخله".

"في كرسي".

"نعم. ويقطع البطيخ بفأس".

قال بيلي: "ربما يحب البطيخ".

"لا يأكلـــه. يعمـــد فقـــط إلى تقطيعه وتقطيعه حتى لا يبقى منه شيء".

"مع الشتم طوال الوقت".

"هـــذا صحيح. شتائم وتمتمة وعويل مثل الحيوان، رؤوس بطيخ كاملة، قام مرتين بتقطيع تماثيل".

"أي تماثيل؟".

"تلك التي يضعونها في متاجر النساء".

"العارضات؟".

"نعم. حطمها بالفأس والمطرقة".

"من أين حصل على العارضات؟".

"لا أعرف".

"لا يبدو هذا صحيحاً".

"تحدث إلى سيليا. ستخبرك".

"هل سألت ستيف لماذا يفعل ذلك؟".

"لا. تخاف".

"هل تصدقها؟".

"سيليا لا تكذب".

سأل بيلي: "هل تظن أن ستيف خطر؟".

"ربما لا، لكن من يعرف".

"ربما، يجدر بك طرده".

رفع حاكي حاجبيه. "ثم يتبين أنه واحد من أولئك الرجال الذين تراهم في الأخبار؟ يأتي إلى *هنا* مع فأس؟".

قـــال بيلـــي: "على كل حال، لا يبدو هذا صحيحاً. لا تصدق الأمر أنت".

"بلى أصدقه. تذهب سيليا إلى الاحتفال الديني ثلاث مرات أسبوعياً".

"جاكي، أنت تمزح مع ستيف، أنت مرتاح معه".

"لكنني حذر قليلاً على الدوام".

" لم ألاحظ ذلك أبداً".

"حسناً، أنا كذلك. لكنني لا أريد أن أكون غير منصف معه".

"غير منصف؟".

"إنــــه نــــادل جيد، وينجز عمله". طغى تعبير الخجل على وجه جاكـــي، احمرّت وجنتاه الممتلئتان. "لم يكن يجدر بـــي التحدث عنه هكذا. كل ذلك بسبب أعناق حبات الكرز. أزعجني ذلك قليلاً".

قال بيلي: "عشرون حبة كرز. ما هي كلفتها؟".

"لــــيس للأمر علاقة بالمال، وإنما لتلك الخدعة بلسانه؛ الأمر شبه فاحش".

" لم أسمــــع أبــــداً أي شـــخص يتذمر من ذلك. تحب الكثير من الزبونات مراقبته وهو يفعل ذلك".

قـــال جاكـــي: "والــــشاذون. لا أريد أن يتحول هذا المشرب للعازبين، أو الشاذين، أو المستقيمين. أريده مشرباً *عائليًا*".

"هل يوجد شيء اسمه مشرب عائلي؟".

"طـــبعاً". بـــدا جاكي متألماً. بالرغم من اسمه العمومي، لم يكن مـــشرباً سيئ السمعة. "نحن نقدم حصصاً من البطاطا المقلية وحلقات البصل للأولاد، أليس كذلك؟".

قـــبل أن يتمكن بيلي من الإجابة، دخل أول زبون لليوم عبر الباب. إنها الساعة 11:04. أراد الرجل فطوراً: بلادي ماري مع كرفس.

يديـــر جاكي وبيلي المشرب معاً خلال زحمة وقت الغداء، يقدم جاكي الطعام على الطاولات فيما يسكبه بين في الأطباق.

كـــان الازدحام أكثر من المعتاد لأن الثلاثاء هو يوم الفليفلة الحريفة، لكنهم لا يحتاجون بالرغم من ذلك إلى نادلة في الدوام الأول. يتناول ثلث الـــزبائن غداءهم في كؤوس، ويرضى ثلث آخر بالفول السوداني أو النقانق من الصحون الموضوعة على المشرب، أو بالبسكويت المملح المجاني.

فيما خلط بيلي وايلز المشروبات، وسكب شراب الشعير، أقلقته صورة دائمة في عقله: ستيف زيليس يفرم عارضة إلى قطع، يفرم ويفرم ويفرم.

فـــيما مرّت ساعات دوامه، و لم يتفوه أحد بكلمة عن قتل معلمة مدرســـة أو امـــرأة عجوز محبة لعمل الخير، هدأت أعصاب بيلي. في منطقة فينيارد هيلز الوديعة، وفي وداي نابا الهادئ، تنتشر أخبار الجريمة المروّعة بسرعة، لا بد أن الورقة كانت مزحة.

بعد فترة بطيئة بعد الظهر، وصلت آيفي إيلجين إلى العمل في تمام الـــساعة الرابعة، ولحق بها الرجال العطاشى على حال تجعلهم يلوّحون بذيولهم لو أنهم يملكون ذيولاً.

ســـألها بيلي: "هل من شيء سيئ اليوم؟" ووجد نفسه يجفل من السؤال.

قالـــت آيفي: "السرعوف يتضرع على مصطبتي الخلفية، مباشرة أمام عتبة منـــزلي".

"ماذا يعني ذلك برأيك؟".

"ما كان يتضرع له مات".

"لم أفهم".

"ما زلت أحاول التصور".

وصلت شيرلي تروبلاد في تمام الخامسة، وهي ترتدي بذلة باللون الأصفر الشاحب مع ياقة وكمين أبيضين.

بعـــدها وصـــل رامون باديلو، الذي شمّ رائحة الفليفلة الحريفة وتمتم: "يجب إضافة رشة من الكمون".

حين وصل ستيف زيليس عند السادسة، وفاحت منه رائحة عطر مـــا بعد الحلاقة وغسول الفم برائحة النعناع، قال: "كيف حالكم أيها الرفاق؟".

سأل بيلي: "هل اتصلت بـــي الليلة الماضية؟".

"من أنا؟ ولماذا أفعل؟".

"لا أعـــرف. تلقيت اتصالاً، اتصالاً سيئاً، لكني ظننت أنك أنت المتصل ربما".

"هل عاودت الاتصال بـــي؟".

"لا. بالكاد استطعت سماع الصوت، ظننت فقط أنك أنت ربما".

اخـــتار ثلاث حبات زيتون ممتلئة من الوعاء، قال ستيف: "على كل حال، كنت خارج المنـــزل الليلة الماضية مع صديق".

"غادرت العمل عند الثانية بعد منتصف الليل، ثم خرجت؟".

ابتسم ستيف ابتسامة عريضة وغمز بعينه. "كان هناك قمر، وأنا كلب".

"إذا غـــادرت العمل عند الثانية بعد منتصف الليل، أخلد مباشرة إلى السرير".

"ليـــست إهانة يا رجل، لكنك لا ترن الجرس جيداً وفق مقياس زنغ".

"ماذا يعني ذلك؟".

هزّ ستيف كتفه، ثم بدأ يقذف حبات الزيتون في الهواء ببراعة فائقة.

"يتساءل الناس لماذا يعيش شاب وسيم مثلك مثل عانس عجوز".

راقب بيلي الزبائن وقال: "أي ناس؟".

"الكـــثير مـــن الناس". التقط ستيف أول حبة زيتون في فمه، ثم الثانية، ثم الثالثة، ومضغها بقوة للحصول على تصفيق الجمهور المتفرج.

خلال الساعة الأخيرة من دوامه، حرص بيلي على مراقبة ستيف زيليس أكثر من المعتاد. إلا أنه لم يلاحظ أي شيء مثير للريبة.

إمـــا الرجل ليس صاحب المزحة أو أنه أكثر ذكاء ودهاء مما يبدو ظاهرياً.

حـــسناً، لا يهـــم، لم يـــتم قتل أحد، تلك الورقة كانت مزحة. وستعرف النتيجة عاجلاً أم آجلاً.

فـــيما كان بيلي يغادر المشرب عند السابعة مساء، جاءت إليه آيفي إيلجين، كابحة الحماسة في عينيها الملونتين. "سيموت أحد في دار العبادة".

"كيف عرفت؟".

"ما كان يتضرع له السرعوف مات".

سأل: "أي دار عبادة؟"

"علينا أن ننتظر لنرى".

"لن يكون في دار العبادة ربما. قد يموت رجل دين محلي".

تـــسمّرت عيناها الساحرتان في عينيه. "لا أظن ذلك. قد تكون محقاً. لكن أين هو دور حيوان الأبوسوم؟".

"ليست لديّ فكرة آيفي. لا أملك موهبة التوقع، مثلك أنت".

"أعرف، لكنك لطيف، أنت دوماً مهتم، ولا تسخر مني أبداً".

بالرغم من أنه يعمل مع آيفي خمسة أيام في الأسبوع، يجعله تأثير جمالهـــا المذهل وجاذبيتها الفائقة ينسى أحياناً أنها نوعاً ما فتاة أكثر مما هي امرأة، لطيفة وبريئة، خالية من العيوب إن لم تكن نقية.

قـــال بيلـــي: "سأفكر في حيوان الأبوسوم، لديّ ربما القليل من القدرة على التوقع لا أزال أجهلها"

تـــستطيع ابتـــسامتها سلبك كل التوازن. "شكراً بيلي. في بعض الأحيان، تكون هذه الهدية... عبئاً، أستعمل بعض المساعدة معها".

في الخارج، كان هواء الأمسية الصيفية باللون الأصفر الليموني مع أشـــعة الشمس المائلة، وكانت ظلال أشجار البق الزاحفة شرقاً بلون أرجواني واحد مائل إلى الأسود.

فيما اقترب من سيارة الفورد إكسبلورر، رأى ورقة تحت مساحة الزجاج الأمامي.

الفصل 6

بالـــرغم مـــن عدم الإبلاغ عن جثة شقراء أو امرأة عجوز ميتة، توقـــف بيلي فجأة أمام سيارة الإكسبلورر، متردداً في المتابعة، رافضاً قراءة هذه الرسالة الثانية.

لا يريد شيئاً أكثر من الجلوس مع باربارة لبعض الوقت، ومن ثم العودة إلى المنـــزل. لا يراها سبع مرات في الأسبوع، لكنه يزورها في معظم الأيام.

زياراتـــه إلى وايسبرينغ باينـــز كانت من الركائز الأساسية في حياته البسيطة. يتطلع إليها بشوق مثلما يتطلع إلى وقت ترك العمل والنحت.

إلا أنه ليس رجلاً غبياً، ولا حتى ذكياً بمستوى متوسط، عرف أن حياته الانعزالية قد تغرقه بسهولة في الوحدة.

ثمة خط رفيع يفصل بين المنعزل المنهك والناسك الخائف، ويصبح الخط أرفع بين الناسك والمريض المبغض للبشر.

إن رفـــع الورقة من تحت المسّاحة، والإطباق عليها في قبضة يده ووضـــعها جانباً ستسهم حتماً في تجاوز الخط الأول من تلك الخطوط، ولن تكون هناك عودة ربما.

لا يملك الكثير مما أراده في الحياة. لكنه بطبيعته حذر كفاية لمعرفة أنـــه إذا رمى الورقة، فإنه سيرمي أيضاً كل شيء يعيله الآن. لن تكون حياته مختلفة فقط، وإنما أسوأ.

بينما كان يحاول اتخاذ قراره، لم يسمع سيارة الشرطة تدخل إلى المـــرأب، فـــيما رفع الورقة من تحت المسّاحة، تفاجأ بالظهور المفاجئ للاني أولسن قربه، في بذلته العسكرية.

أعلـــن لاني: "ورقـــة أخـــرى". كما لو أنه كان يتوقع الورقة الثانية.

كـــشف صـــوته عن نبرة مكسورة، كان وجهه مليئاً بالخوف، وعيناه نافذتين على مكان مسكون بالأشباح.

قدر بيلي أن يعيش في زمن ينكر وجود الأشياء المقيتة جداً، يعطي كلمة رعب لكل شيء مقيت، ويعيد تحديد كل رعب على أنه جريمة، وكل جريمة على أنها إهانة، وكل إهانة على أنها إزعاج عادي. إلا أن الاشمئزاز نشأ داخله قبل أن يعرف بالضبط سبب مجيء لاني أولسن إلى هنا.

"بيلي. الله، بيلي".

"ماذا؟".

"أنا أتعرق. أنظر إليّ وأنا أتعرّق".

"ماذا؟ ما الأمر؟".

"لا أستطيع التوقف عن التعرق. ليس الجو حاراً بهذا القدر".

فجأة شعر بيلي بالخوف. مرر يداً عبر وجهه ثم نظر إلى راحة يده متوقعاً رؤية العرق، إلا أن اليد بدت نظيفة للعين المجردة.

قـــال لاني: "أحتاج إلى كأس شراب شعير. إلى اثنتين، أحتاج إلى الجلوس، أحتاج إلى التفكير".

"أنظر إليّ".

لم ينظر لاني إلى عينيه. كان انتباهه مركزاً على الورقة التي في يد بيلي.

بقيت تلك الورقة مطوية، لكن شيئاً فتح في أحشاء بيلي، وتفتح مثل الزهرة الدبقة والمتعددة البتلات. الغثيان الناجم عن الحدس.

السؤال الصحيح ليس *ماذا*. السؤال صحيح هو *مَن*، وطرحه بيلي.

لعق لاني شفتيه. "جيزيل وينسلو".
"لا أعرفها".
"ولا أنا".
"أين؟".
"إنها تدرّس الإنكليزية في نابا".
"شقراء؟".
"نعم".
أضاف بيلي: "وجميلة؟".
"كانت جميلة، ضربها أحدهم حتى الموت تقريباً، تشوهت كثيراً على يد شخص عرف كيف يقضي على جمالها ويجعل التشويه دائماً.
"حتى الموت *تقريبًا*".
"انتهى بخنقها بسروالها الداخلي".
شعر بيلي بضعف في ساقيه، اتكأ على سيارة الإكسبلورر، لا يستطيع التكلم.
"عثرت عليها أختها قبل ساعتين".
بقي نظر لاني محدقاً إلى الورقة المطوية في يد بيلي.
تابع لاري: "لا يملك مكتب الشريف حق التدخل هناك. ولذلك فإن المسألة في عهدة شرطة نابا، هذا شيء، على كل حال، يمنحني مساحة للتنفس".
وجد بيلي صوته، لكنه كان خشناً وليس مثلما اعتاد عليه. "أفادت الورقة أنه سيقتل معلمة مدرسة إذا لم أذهب إلى الشرطة، لكني ذهبت إليك".
"قال إنه سيقتلها إذا لم تذهب إلى الشرطة *وتورطها*".
"لكنني ذهبت إليك. جربت. بالله. حاولت، أليس كذلك؟".

نظر لاني أخيراً في عينيه. "جئت إليّ بطريقة غير رسمية. لم تذهب فعلياً إلى الشرطة. ذهبت إلى صديق صودف أنه شرطي".

احـــتج بيلي "لكنني ذهبت إليك". وانكمش خوفاً من الإنكار في صوته، من التبرير الذاتي.

زحـــف الغثيان على جدران معدته، لكنه أطبق أسنانه، وحاول السيطرة على نفسه.

قال لاني: "لم تفح منها رائحة الحقيقة".

"ممَّ؟".

"مـــن الورقة الأولى، كانت مزحة، كانت مزحة سخيفة، ما من شرطي حيّ يملك الفطرة لشمّ الحقيقة من تلك الورقة".

سأل بيلي: "هل كانت متزوجة؟".

دخلـــت سيارة تويوتا إلى مرأب السيارات، وركنت على مسافة سبعين أو ثمانين قدماً من الإكسبلورر.

راقبا بصمت السائق وهو يخرج من السيارة ويدخل إلى المشرب. لا يمكن سماع حديثهما من تلك المسافة. إلا أنهما توخيا الحذر.

صـــدحت الموسيقى الريفية من المشرب فيما كان الباب مفتوحاً. كان آلان جاكسون ينشد أغنية عن القلب المحطم.

سأل بيلي مجدداً: "هل كانت متزوجة؟".

"من؟".

"المرأة، معلمة المدرسة، جيزيل وينسلو".

"لا أظـــن ذلـــك، لا. على الأقل لا يوجد زوج في الصورة في الوقت الحاضر. دعني أرى الورقة".

احتفظ بيلي بالورقة المطوية وقال: "هل لديها أولاد؟".

"وهل يهم ذلك؟".

قال بيلي: "هذا يهم".

أدرك أن يـــده الفارغة تحولت إلى قبضة محكمة، إنه صديق الذي يقف أمامه، مثلما يسمح لنفسه بالأصدقاء، إلا أنه أرخى قبضته بجهد.

"الأمر مهم بالنسبة إليّ لاني".

"أولاد؟ لا أعـــرف. ربما. حسبما سمعت، كانت تعيش وحدها على الأرجح".

مـــرّت مجموعـــتان مـــن السيارات على الطريق السريع: هدير محركات، صوت الهواء المتحرك.

في الهـــدوء الـــذي تلا ذلك، قال لاني: "اسمع بيلي. أنا في ورطة ربما".

"ربمـــا؟" وجد هذا الاختيار للكلمات مضحكاً، ولكن ليس من النوع الذي يجعله يضحك.

"مـــا من أحد آخر في القسم كان سيأخذ تلك الورقة على محمل الجد. لكنهم سيقولون إنه كان يجدر بـــي فعل ذلك".

قال بيلي: "أنا من كان يجدر به فعل ذلك ربما".

بـــدا لاني مضطرباً وقال: "هذا إدراك مؤخر، هراء، لا تتحدث هكذا، نحتاج إلى دفاع متبادل".

"دفاع ضد ماذا؟".

"أي شيء، اسمع بيلي، أنا لا أملك بطاقة مثالية".

"أي بطاقة؟".

"بطاقـــة ســـجلي في الخدمـــة، ملف أدائي، حصلت على بعض التقارير السلبية".

"ماذا فعلت؟".

جفلت عينا لاني حين سمع السؤال. "اللعنة، لست شرطياً فاسداً".

"لم أقل إنك هكذا".

"أنـــا في السادسة والأربعين، لم أحصل يوماً على قرش من المال الفاسد، ولن أفعل ذلك أبداً".

"حسناً. لا بأس".

"لم أفعل أي شيء".

قد يكون كلام لاني مجرد ادعاء، لا يستطيع تحمله، أو أن صورة حزينة ربما تخيفه ولذلك اتسعت عيناه، فضم شفته السفلية كما لو أنه يقضم فكرة مقلقة أراد القضاء عليها، وعدم التفكير فيها أبداً مجدداً.

بالرغم من أنه نظر إلى ساعة يده، انتظر بيلي.

قـــال لاني: "ما هو صحيح كفاية هو أنني شرطي كسول أحياناً، بسبب الضجر، تعرف، وربما لأني... لم أرغب يوماً في هذه الحياة".

طمأنه بيلي: "لا تدين لي بأي شرح".

"أعرف. لكن القصة هي... سواء أكنت أريد هذه الحياة أم لا، فإنهـــا مـــا أملكـــه في الـــوقت الحاضر. إنها كل ما لديّ، أريد فرصة للاحـــتفاظ بها، أريد قراءة هذه الورقة الجديدة، بيلي، أرجوك أعطني الورقة".

شـــعر بيلي بالتعاطف لكنه لم يشأ تسليم الورقة، التي باتت الآن رطبة بفعل عرقه، ففتحها وقرأها.

إذا لـــم تذهب إلى الشرطة وتورطها، سأقتل رجلاً غير متزوج لن يشتاق إليه العالم كثيراً.
وإذا ذهبت إلى الشرطة، سأقتل أماً شابة لطفلين.
أمامك خمس ساعات لتقرر. الخيار خيارك.

عـــند قـــراءتها في أول مرة، استوعب بيل كل تفصيل مرعب في الورقة، لكنه قرأها مجدداً. ثم تخلى عنها.

القلـــق، صدأ الحياة، أكل وجه لاني أولسن فيما تصفح السطور.

"إنه ابن ساقطة حقيقي".

"عليّ الذهاب إلى نابا".

"لماذا؟".

"لإعطاء الورقتين إلى الشرطة".

قـــال لاني: "انتظـــر، انتظر، انتظر. لا تعرف أن الضحية الثانية ستكون في نابا. قد تكون في سانت هيلينا أو روثفورد...".

قاطعه بيلي: "أو في أنغوين أو كاليستوغا".

أراد لاني التـــشديد علـــى النقطة، فقال: "أو يونتفيل أو سيركل أوكس، أو أوكفيل. لا تعرف أين. لا تعرف أي شيء".

قال بيلي: "أعرف بعض الأشياء. أعرف ما هو صحيح".

نظـــر لاني إلى الـــورقة، ومسح العرق عن أهدابه، وقال: "القتلة الحقيقيون لا يلعبون هذه الألعاب".

"لكن هذا يفعل".

طـــوى لاني الـــورقة، ووضعها في جيب قميص بذلته العسكرية وقال: "دعني أفكر لفترة وجيزة".

أخرج بيلي الورقة فوراً من جيب لاني وقال: "فكر في ما تريده. أنا ذاهب إلى نابا".

"أوه، أيها الرجل، هذا سيئ، هذا خطأ، لا تكن سخيفاً".

"إنها نهاية لعبته إذا لم ألعبها".

"ستقتل إذاً أماً لطفلين. هكذا، أليس كذلك؟".

"سأزعم أنك لم تقل هذا".

"إذاً سأقولها مجدداً. ستقتل أماً لطفلين".

هزّ بيلي رأسه. "لن أقتل أحداً".

قال لاني: "الخيار خيارك. هل ستختار جعل ولدين يتيمين؟".

ما رآه بيلي الآن على وجه صديقه، في عينيه، لم يكن شيئاً رآه قبلاً، على طاولة ورق اللعب أو في أي مكان آخر، بدا وكأنه أمام غريب.

كرر لاني: "الخيار خيارك".

لم يشأ بيلي إحداث هوة بينهما، فهو يعيش على الجانب الأنيس مـــن الخط الفاصل بين العزلة والتنسك، ولا يريد أن يجد نفسه يتجاوز ذلك الخط الفاصل.

أحـــسّ لاني ربما بقلق صديقه، فاعتمد نبرة ألطف: "كل ما أطلبه هو منحي فرصة، أنا في مأزق هنا".

"بالله عليك لاني".

"أعرف، هذا مقرف، لا مجال أبداً لإنكار ذلك".

"لا تحاول التلاعب بـــي هكذا مجدداً. لا تضغط عليّ".

"لن أفعل. أنا آسف. المشكلة هي أن الشريف يملك رأساً صلباً. أنـــت تعـــرف ذلك. ومع ملف أدائي، هذا كل ما يحتاج إليه لنـــزع الشارة مني، ولا يزال أمامي ست سنوات من العمل الفعلي".

حـــين نظر إلى عينيّ لاني رأى اليأس فيهما، ورأى شيئاً أسوأ من الـــيأس لا يريد تسميته، لم يستطع التوصل إلى تفاهم معه. اضطر إلى النظر بعيداً والادعاء أنه يتحدث إلى لاني الذي عرفه قبل هذا اللقاء.

"ماذا تريدني أن أفعل؟".

فهـــم المغزى من السؤال، فتحدث لاني بصوت أكثر هدوءاً. "لن تندم على هذا بيلي، سيكون كل شيء على ما يرام".

" لم أقل إنني سأفعل ما تريده، أريد فقط أن أعرف ما هو".

"أفهم، أقدّر ذلك، أنت صديق حقيقي، كل ما أسأله هو ساعة، ساعة واحدة *للتفكير*".

أزاح بيلي نظره عن المشرب إلى الزفت الأسود المتشقق عند قدميه، وقال: "لا يوجد الكثير من الوقت، في الرسالة الأولى، كانت هناك ست ساعات. والآن، خمس ساعات".

"أنا أطلب فقط ساعة واحدة، ساعة واحدة".

"يعرف بلا شك أنني أترك العمل عند السابعة، وفي هذا الوقت تبدأ عقارب الساعة بالتكتكة على الأرجح، منتصف الليل، سيقتل قبل الفجر هذا أو تلك، وأكون اتخذت خياراً بتصرفي أو عدم تصرفي، سيفعل ما يفعله، لكنني لا أريد التفكير أنني قررت له".

وعد لاني: "ساعة واحدة، ثم أذهب إلى الشريف بالمر، أريد فقط تصور الطريقة، الزاوية التي ستنقذني".

صراخ مألوف، وإنما نادر سماعه في هذه المنطقة، رفع انتباه بيلي عن زفت الطريق إلى السماء.

حلقت ثلاثة طيور نورس، بيضاء وزرقاء، في الناحية الشرقية، نادراً ما تصل إلى هذه المسافة شمالاً من خليج سان بابلو.

"بيلي، أحتاج إلى هاتين الورقتين للشريف بالمر".

راقب بيلي طيور النورس وقال: "أفضل الاحتفاظ بهما".

قال لاني بتوسل: "هاتان الورقتان هما دليل، ذلك اللعين بالمر سيقضي عليّ إذا لم أحصل على الأدلة وأحميها".

فيما اتجهت الأمسية الصيفية إلى الظلمة التي تدفع دوماً طيور النورس نحو المساكن قرب البحر، بدت هذه الطيور الثلاثة خارج مكانها وكأنها تنذر بشيء ما.

أحدث صراخها القوي والبارد قشعريرة في عنق بيلي.

قال: "أملك فقط الورقة التي وجدتها للتو".

سأل لاني: "أين هي الورقة الأولى؟".

"تركتها في مطبخي، قرب الهاتف".

فكّر بيلي في دخول المشرب لسؤال آيفي إيلجين عن معنى الطيور.

قال لاني: "حسناً. لا بأس. أعطني فقط الورقة التي لديك، سيأتي بالمر حتماً للتحدث إليك، يمكننا الحصول على الورقة الأولى عندئذ".

المشكلة هي أن آيفي تزعم قدرتها على توقع المستقبل فقط عبر تفاصيل الأشياء *الميتة*.

حين تردد بيلي، ازداد لاني إصراراً. "بالله عليك، انظر إليّ. ما المشكلة مع الطيور؟".

أجاب بيلي: "لا أعرف".

"لا تعرف ماذا؟".

"لا أعرف ما المشكلة مع الطيور". أخرج بيلي الورقة من جيبه على مضض وأعطاها إلى لاني. "ساعة واحدة".

"هذا كل ما أحتاج إليه، سأتصل بك".

فيما استدار لاني، وضع بيلي يداً على كتفه لإيقافه. "ماذا تقصد بأنك ستتصل؟ قلت إنك ستحضر بالمر".

"سأتصل بك أولاً، ما إن أعرف كيف أحول القصة لحماية نفسي".

قال بيلي وهو ينفر من الكلمة: "محزن".

ساد الصمت، وابتعدت طيور النورس في اتجاه الغرب نحو مغيب الشمس.

قال لاني: "حين أتصل، سأخبرك بما سأقوله لبالمر، بحيث نكون على الموجة نفسها، *بعدها* أذهب إليه".

تمنى بيلي لو أنه لم يسلّم الورقة أبداً، لكنها دليل، ويقول المنطق أن يحصل لاني عليها.

"أين ستكون خلال ساعة؛ في وايسبرينغ باينـــز؟".

هــــزّ بيلـــي رأسه. "سأمر إلى هناك، وإنما فقط لخمس عشرة دقيقة، سأعود بعدها إلى المنـــزل، اتصل بـــي في منـــزلي، لكن ثمة أمراً آخر".

قال لاني بتململ: "منتصف الليل، بيلي. تذكر؟".

"كيف يعرف هذا المهووس الخيار الذي اتخذته؟ كيف يعرف أنني ذهبت إليك وليس إلى الشرطة؟ كيف يعرف ماذا سأفعل خلال الأربع ساعات ونصف الساعة التالية؟".

لم يعطِ لاني جواباً وإنما قطّب وجهه.

قال بيلي: "إلا إذا كان يراقبني".

راقب لاني السيارات في المرأب، والمشرب، وأشجار البق المتعانقة، وقال: "كان كل شيء هادئاً".

"حقاً؟".

"مثل هر. والآن هذه المشكلة".

"دوماً مشكلة".

قال لاني: "هذا صحيح كفاية". ومشى بعيداً نحو سيارة الشرطة.

بدا الابن الوحيد للأم أولسن مهزوماً، مترهلاً ومنهك القوى.

أراد بيلي سؤاله إذا كان كل شيء على ما يرام بينهما، لكن هذا السؤال صريح جداً، لم يستطع التفكير في طريقة أخرى لطرح السؤال.

ثم سمع نفسه يقول: "ثمة أمر لم أخبرك به أبداً ويجب أن تعرفه".

توقف لاني، ونظر إلى الخلف وراقبه بإنهاك.

"كـــل تلك السنوات التي كانت أمك خلالها مريضة، اعتنيت بها وتخليت عما تريده... يتطلب ذلك شجاعة أكبر من عمل الشرطي".

كمـــا لو أنه شعر بالإحراج، نظر لاني إلى الأشجار مجدداً، وقال بإحباط: "شكراً بيلي". بدا متأثراً فعلاً لسماع الاعتراف بتضحيته.

بعـــدها، كما لو أن شعوراً بالخجل أجبره على كبت فضيلته، إن لم يكـــن الـــسخرية منها، أضاف لاني: "لكن كل ذلك لا يتركني مع راتب تقاعد".

راقبه بيلي يدخل إلى السيارة، وينطلق بعيد.

بصمت طيور النورس المختفية، مضى النهار منقطع الأنفاس، فيما تظللت الهضاب والمروج الخضراء والأشجار أكثر فأكثر.

في الجانـــب البعـــيد من الطريق السريع، كافح الرجل الخشبـــي الـــبالغ ارتفاعه أربعين قدماً لإنقاذ نفسه من عجلات الصناعة الساحقة أو الإيديولوجيا الفظة، أو الفن العصري.

الفصل 7

كـــان وجه باربارة على الوسادة بمثابة يأس بيلي وأمله، خسارته وتوقعه.

إنها مرساة بمعنيين، الأول مفيد، فرؤيتها تجعل بيلي ثابتاً ومستقراً مهمـــا كانت تيارات النهار، لكن بطريقة أقل رحمة، تعتبر كل ذكرى مـــنها من الوقت الذي كانت فيه في عزّ الحياة، ومليئة بالحيوية، بمثابة سلـــسال يطـــوقه. لو انتقلت من الغيبوبة إلى النوم التام، سيخنقه هذا السلسال وسيغوص معها في أعماق الظلمة.

لا يـــأتي إلى هنا فقط للبقاء بصحبتها على أمل أن تدرك وجوده حـــتى في سجنها الداخلي، وإنما يأتي أيضاً ليتعلم كيف يهتم ولا يهتم، كيف يجلس ساكناً، وربما يعثر على السلام المحيّر.

هذا المساء، بدا السلام محيراً أكثر من المعتاد.

نقل انتباهه من وجهها إلى ساعته، وإلى النافذة التي تحوّل وراءها النهار الأصفر الحمضي إلى شفق خفيف.

حمل دفتره الصغير. تصفحه، وقرأ الكلمات الغامضة التي لفظتها.

كلما وجد عبارة تحيّره، قرأها بصوت عالٍ:

"*- رذاذ أسود ناعم-*"

"*- موت الشمس-*"

"*- فزاعة بذلة -*"

"*-أكباد إوزات بدينة -*"

"*- شارع ضيق، منازل عالية -*"

"- *حوض لا احتواء الضباب* -"

"- *أشكال غريبة... حركة شبحية* -"

"- *أجراس واضحة* -"

أمله هو حين تسمع كلامها الغريب الذي قالته في غيبوبتها، تشعر بـرغبة في الـتحدث، والتوسع ربما في هذه العبارات وجعلها مفهومة أكثر.

في ليالٍ أخرى، يستمد أداؤه جواباً منها. إلا أنها لا توضح أبداً ما قالته قبلاً، تعطي بدل ذلك تسلسلاً جديداً ومختلفاً من كلمات أخرى غير مفهومة.

هـذا المساء استجابت بصمت، وبين الحين والآخر بتنهيدة غير مـصبوغة بعاطفة، كما لو أنها آلة تتنفس بإيقاع خفيف مع زفير أعلى ناجم عن دفع طاقة عشوائي.

بعد قراءة عبارتين بصوت عالٍ، أعاد بيلي الدفتر إلى جيبه.

كـان مـضطرباً، فقرأ كلماتها بالكثير من القوة، والكثير من العجلـة، في مـرحلة ما، سمع نفسه وشعر أنه غاضب، وهذا لا يفيد باربارة أبداً.

مشى بسرعة في الغرفة. جذبته النافذة.

كـان دار وايـسبرينغ باينـز محاذياً لكرمة منحينة برفق، وراء النافذة، اصطفت الكروم بأوراقها الخضراء الزمردية التي تصبح قرمزية في الخـريف، فـيما تدلت منها عناقيد عنب صغيرة لا تزال تحتاج إلى أسابيع عدة للنضوج.

الممرات الضيقة بين صفوف الكروم كانت مرقطة بالأسود مع ظـلال آخـر ساعة من النهار، وبالأرجواني من ثفل العنب الذي تم بسطه سماداً.

علـــى مسافة سبعين أو ثمانين قدماً من النافذة، وقف رجل وحده في أحد تلك الممرات، لا يحمل أدوات ولا يبدو كأنه يعمل.

إذا كـــان مزارعاً خرج للقيام بنــزهة، لا يفترض أن يكون على عجلـــة، وقف في مكان واحد، وأبعد قدميه عن بعضهما، ووضع يديه في جيبيّ سرواله.

بدا وكأنه يتأمل دار الرعاية.

مـــن هذه المسافة وفي هذا الضوء، لا يمكن تمييز أي تفاصيل من شكل الرجل. وقف في الممر بين الكروم، وأدار ظهره للشمس الغائبة، فلم تظهر منه إلا صورة ظلية.

مصغياً إلى صوت أقدام متسارعة على درج أجوف، وهو في الواقع صوت خفقان قلبه، حذّر بيلي نفسه من الرهاب، مهما كانت الورطة التي قد تحصل، فإنه يحتاج إلى أعصاب هادئة وعقل صافٍ للتفكير.

استدار بعيداً عن النافذة، وتوجه إلى السرير.

تحـــركت عينا باربارة تحت جفنيها. قال الاختصاصيون إن هذا يشير إلى حال حلم.

علـــى اعتبار أن أي غيبوبة هي نوم أعمق كثيراً من النوم نفسه، تـــساءل بيلي إذا كانت غيبوبتها أكثر كثافة من الأحلام العادية؛ مليئة بالعمل المحموم، وغنية بالصوت، ومشبعة بالألوان.

خشي أن تكون أحلامها كوابيس، حيوية ومستمرة.

حين قبّل جبينها، تمتمت: "الرياح هي في الشرق..."

انتظـــر، لكنها لم تقل المزيد، بالرغم من أن عينيها برمتا من شبح إلى شبح تحت جفنيها المغمضين.

بما أن هذه الكلمات لم تنطوِ على تهديد ولأنه لم يظهر في صوتها إحساس بالخطر، قرر الاعتقاد أن حلمها الحالي حميد على الأقل.

بالرغم من أنه لم يشأ ذلك، أخذ عن المنضدة مغلفاً قشدياً صغيراً كُتب عليه اسمه بأحرف كبيرة. وضعه في جيبه، من دون قراءته، لأنه عرف أن طبيب باربارة، جوردان فيرييه، تركه له.

حين تبرز الحاجة إلى مناقشة مسائل طبية مهمة، يستخدم الطبيب الهاتف دوماً، يلجأ فقط إلى الرسائل المكتوبة حين ينتقل من الطب إلى عمل أخرق.

توجه إلى النافذة مجدداً، واكتشف بيلي أن المراقب في الكرمة اختفى.

بعد لحظات، حين غادر وايسبرينغ باينز، توقع جزئياً رؤية ملاحظة ثالثة على زجاج سيارته. إلا أنه أعفي من هذا الاكتشاف.

لقد كان الرجل الواقف بين الكروم رجلاً عادياً على الأرجح منخرطاً في عمل نظيف، لا شيء أكثر، ولا شيء أقل.

توجه بيلي مباشرة إلى المنزل، ركن السيارة في المكان المنفصل، وصعد درجات المصطبة الخلفية، وجد باب مطبخه مفتوحاً على غير عادة.

الفصل 8

لم يتعــرض بيلــي للتهديد في أي من الورقتين، فالخطر المحدق به ليس خطراً على حياته، كان *يفضل* الخطر الجسدي على الخطر المعنوي الذي يواجهه.

لكــن عــندما وجــد الــباب الخلفــي للمنــــزل مفتوحاً، فكّــر في الانــتظار في الفــناء الخلفي إلى أن يصل لاني مع الشريف بالمر.

شــغل هذا الخيار باله لبرهة فقط. لا يبالي إذا قال عنه لاني وبالمر إنه جبان، لكنه لا يريد قول ذلك عن نفسه.

دخل المنــزل، لا أحد ينتظر في المطبخ.

بلــل ضــوء النهار الخفيف النوافذ أكثر مما دخل عبرها. أشعل الأضواء بحذر فيما دخل عبر الباب.

لم يعثــر على أحد في أي غرفة أو خزانة، واللافت أنه لم يلاحظ أي علامات اعتداء أيضاً.

عندما عاد إلى المطبخ، بدأ يتساءل إذا كان أخفق في إغلاق الباب وإقفاله عندما غادر المنــزل في وقت باكر من النهار.

إلا أنه حذف هذا الاحتمال عندما وجد المفتاح الاحتياطي على رف المطــبخ، قرب الهاتف. كان ملصقاً على قعر واحدة من عشرين علبة من طلاء الخشب الموضوعة على رف في المرأب.

اســتخدم بيلــي المفتاح الاحتياطي قبل خمسة أو ستة أشهر، لا يحتمل أنه كان تحت المراقبة طوال كل هذه الفترة.

شـــكّ في وجود مفتاح، فرأى القاتل أن المرأب هو المكان الأكثر احتمالاً لتخبئته.

يحـــتل محترف بيلي المجهز مهنياً ثلثيّ تلك المساحة، ويشتمل على العديـــد من الأدراج والخزانات والرفوف حيث يمكن إخفاء مثل هذا الغرض الصغير. لذا، فإن البحث عنه قد يستغرق ساعات.

إذا أراد القاتل، بعد زيارة المنـــزل، إعلان دخوله عبر ترك المفتاح الاحتياطـــي في المطـــبخ، يقول المنطق إنه وفر على نفسه عناء البحث ومـــشقته. وإلا، لماذا لم يكسر أحد الألواح الزجاجية الأربعة في الباب الخلفي؟

فـــيما احتار بيلي في هذه المسألة، أدرك فجأة أن المفتاح موضوع في المكان نفسه على رف الغرانيت الأسود حيث ترك أول رسالة تهديد من القاتل، لقد اختفت.

اســـتدار دورة كاملة، ولم يرَ الورقة على الأرض ولا على رف آخر. فتح الأدراج القريبة، لكنها ليست في هذا أو ذاك أو ذاك...

أدرك فجـــأة أن قاتـــل جيـــزيل وينسلو لم يكن هنا في النهاية. فالمتطفل هو لاني أولسن.

يعـــرف لاني مكـــان المفـــتاح الاحتياطي، حين سأل عن الورقة الأولى، بمثابة دليل، أخبره بيلي أنها موجودة هنا، في المطبخ.

ســـأله لاني أيضاً أين يمكنه العثور عليه خلال ساعة، وما إذا كان ذاهباً مباشرة إلى المنـــزل أو إلى وايسبرينغ باينـــز.

طغى إحساس عميق بالريبة على بيلي، وبدأ الشك وعدم الارتياح يزعزعان ثقته.

إذا نـــوى لاني أساســـاً المجـــيء إلى هنا وأخذ الورقة بمثابة دليل أساسي، ليس لاحقاً مع الشريف بالمر وإنما في الحال، كان يجدر به قول

ذلــك. أوحت خيبة أمله أنه ليس في مزاج للخدمة وحماية الناس، أو حتى لدعم صديق، وإنما ركّز أساساً على إنقاذ نفسه.

لم يشأ بيلي تصديق ذلك، بحث عن أعذار للاني.

بعدما ابتعد ربما عن المشرب في سيارة الشرطة، قرر في النهاية أنه يجـــدر به امتلاك الورقتين قبل التحدث مع الشريف بالمر. وربما لم يشأ الاتـــصال بدار وايسبرينغ باينـــز لأنه يعرف مدى أهمية هذه الزيارات بالنسبة إلى بيلي.

لكن في تلك الحال، كان ليكتب شرحاً وجيزاً لتركه مكان رسالة القاتل حين أخذها.

إلا... إذا كانـــت نيـــته إتلاف الورقتين بدل الذهاب إلى بالمر، والادعـــاء لاحقاً أن بيلي لم يأتِ أبداً إليه قبل جريمة وينسلو، لأن هذه الورقة تكون دليلاً لدحضه.

لطالمـــا بـــدا لاني أولسن رجلاً طيباً، غير خالٍ من العيوب، وإنما كان جيداً وعادلاً ومحترماً. لقد ضحى بأحلامه للبقاء قرب أمه المريضة طوال أعوام عدة.

وضـــع بيلـــي المفتاح الاحتياطي في جيب سرواله. لأنه لا ينوي لصقه مجدداً على كعب علبة في محترفه.

تساءل عن عدد التقارير السيئة الموجودة في ملف أداء لاني، وكم كان كسولاً بالضبط.

في المقابـــل، سمع بيلي إحباطاً كبيراً في صوت صديقه لم يسمعه عنده من قبل:

لم أرغب يوماً في هذه الحياة... لكن المشكلة هي... سواء أأردتها أو لا، فإنهـــا كـــل مـــا أملكـــه الآن. إنها كل ما لديّ. أريد فرصة للاحتفاظ بها.

حتى أفضل الرجال يملكون نقطة ضعف، كان بيلي أقرب إلى نقطة ضعفه مما ظن بيلي.

ساعة الجدار أشارت إلى 8:09.

في أقل من أربع ساعات، بغض النظر عن الخيار الذي يتخذه بيلي، سيموت شخص، أراد إزاحة هذه المسؤولية عن كتفيه.

يفترض أن يتصل به لاني عند الساعة 8:30.

لا ينوي بيلي الانتظار، رفع السماعة عن هاتف الجدار، وطلب رقم الهاتف الخلوي الخاص بلاني.

بعد خمس رنات، جاء صوت البريد الصوتي: "هذا أنا بيلي. أنا في المنزل. ما الأمر؟ ماذا فعلت؟ اتصل بي *الآن*".

شعر بفطرته بعدم محاولة الاتصال بلاني في مكتب الشريف. سيترك أثراً قد تكون له عواقب لا يستطيع توقعها.

خيانة صديقه، إذا كانت هذه الحقيقة، جعلت بيلي يجري حسابات الرجل المذنب، بالرغم من أنه لم يرتكب أي ذنب.

من الطبيعي الشعور ببعض الألم والغضب، إلا أن الاستياء تعاظم بقوة داخله، وبسرعة كبيرة بحيث أحس بضيق في صدره ووجد صعوبة في الابتلاع.

إتلاف الورقتين والكذب بشأنهما قد يحولان دون طرد لاني من الخدمة، لكن وضع بيلي سيصبح أسوأ، فمع الافتقاد إلى الأدلة، سيجد صعوبة أكبر في إقناع السلطات بأن قصته صحيحة وأنها قد تلقي الضوء على نفسية القاتل.

إذا ذهب الآن إلى الشرطة، قد يبدو مثل من يسعى وراء الشهرة أو مثل نادل بدد الكثير من بضاعته، أو مثل مشتبه به.

راودته تلك الفكرة، فوقف ساكناً لدقيقة، متأملاً، مشتبه *به*.

أصبح فمه جافاً، التصق لسانه بسقف حلقه.

ذهــب إلى حوض غسل الصحون في المطبخ، وسكب كوباً من المـــاء البارد من الصنبور. في البداية، بالكاد استطاع ابتلاع الماء، لكنه شرب الكوب بعد ذلك في ثلاث رشفات طويلة

كان الماء بارداً جداً، شربه بسرعة كبيرة جداً، فسبب له ألماً حاداً في صـــدره مـــع غثـــيان في أحشائه، وضع الكوب في حوض غسل الصحون، انحنى فوقه إلى أن اختفى الانـــزعاج.

غسل وجهه الشاحب بالماء البارد، وغسل يديه بالماء الساخن.

مـــشى في المطـــبخ، جلس لبرهة أمام الطاولة، ثم مشى مجدداً في المطبخ.

عند الساعة 8:30، وقف أمام الهاتف، وحدق إليه، بالرغم من أنه يملك كل الأسباب للاعتقاد بأنه لن يرنّ.

عـــند الساعة 8:40، استخدم هاتفه الخلوي للاتصال برقم هاتف لاني الخلوي، تاركاً هاتف المنـــزل مفتوحاً. سمع البريد الصوتي مجدداً.

كان المطبخ دافئاً جداً. شعر بالاختناق.

عـــند الساعة 8:45، خرج بيلي إلى المصطبة الخلفية، احتاج إلى هواء منعش.

ترك الباب مفتوحاً خلفه، بحيث يستطيع سماع الهاتف إذا رنّ.

كانـــت السماء كحلية اللون في الشرق، فيما ارتعشت فوقه وإلى الغرب القليل من الذبذبات القزحية للغروب البرتقالي والأخضر.

الغابـــات المحـــيطة المظلمة أصلاً، أصبحت أكثر ظلاماً. إذا اتخذ مراقب عدائي موقعاً له في تلك الأشجار، جالساً القرفصاء بين الخنشار والنـــباتات، لـــن يعرف أحد بوجوده هناك إلا كلب صاحب حاسة شم قوية.

بدأت مئات الضفادع، وكلها غير مرئية، تصدر أصواتاً في العتمة، لكن الصمت المطبق ساد في المطبخ، وراء الباب المفتوح.

احتاج لاني ربما إلى المزيد من الوقت الإضافي للعثور على طريقة لتحريف الحقيقة.

لا شك في أنه يهتم لشيء أكثر من نفسه، لا يمكن أن يتحول بهذه الشمولية، وبهذه السرعة، إلى الأنانية المطلقة.

لا يزال شرطياً، سواء أكان كسولاً أو لا، يائساً أو لا. سيدرك عاجلاً وليس آجلاً أنه لا يستطيع الاستمرار هكذا إذا كانت عرقلته للتحقيق ستسهم في المزيد من الوفيات.

اللون الكحلي الطاغي شرقاً أشبع السماء فوق رأسه، فيما بقي اللون في الغرب أحمر مثل النار والدم.

الفصل 9

عند الساعة 9:00، غادر بيلي المصطبة الخلفية، وعاد إلى الداخل. أغلق الباب خلفه وأقفله.

خـــلال ثلاث ساعات فقط، سيتقرر مصير، ويصدر أمر بوفاة، وإذا اتبع القاتل نمطاً، سيتم قتل شخص قبل الفجر.

كان مفتاح السيارة الرباعية الدفع على طاولة الطعام. رفعه بيلي.

فكّـــر في الخروج بحثاً عن لاني أولسن. ما ظن أنه استياء، قبلاً، كان غضباً حقيقياً، شعر الآن باستياء حقيقي، وباكتئاب كبير ومرير، بالكاد أراد المواجهة.

احمني من العدو الذي يملك شيئاً لكسبه، ومن الصديق الذي يملك شيئاً لخسارته.

عمل لاني خلال النهار، إنه خارج الدوام الآن.

ســيكون علــى الأرجــح موجوداً في منــزله. إذا لم يكن في المنــــزل، هـــناك فقـــط عدد ضئيل من المطاعم والمشارب ومنازل الأصدقاء التي قد يتواجد فيها.

ثمـــة حـــسّ بالمسؤولية ونوع غريب من الأمل أبقيا بيلي سجين مطبخه، قرب هاتفه، لم يعد يتوقع اتصال لاني، لكن القاتل قد يتصل.

المـــستمع الـــصامت على الخط في الليلة الفائتة كان قاتل جيزيل وينسلو. لا يملك بيلي دليلاً، ولا أي شك أيضاً.

قـــد يتـــصل هذه الليلة أيضاً، إذا استطاع بيلي التحدث إليه، قد يحصل شيء ما، يتم تعلم شيء ما.

لم يـــتوهم بيلي أبداً أن الوحش قد يتحول إلى كائن وديع، وأنه يمكن التغلب على مهووس بالقتل، أو إقناعه بإنقاذ حياة.

لكن سماع الرجل يتحدث بضع كلمات قد يكون مفيداً. بالفعل، يمكـــن اســـتنتاج العرق، والدين، والتربية، والعمر التقريبـــي، والمزيد بمجرد سماع الصوت.

إذا حالفه الحظ، قد يكشف القاتل أيضاً عن غير قصد عن حقيقة مهمة بشأنه. يمكن لتلميح واحد، لجزء صغير من المعلومات تجلى بفعل التحليل الجيد أن يمنح بيلي شيئاً موثوقاً لأخذه إلى الشرطة.

قـــد تكون مواجهة لاني أولسن مرضية عاطفياً، لكنها لن تخرج بيلي من الورطة التي وضعه فيها القاتل.

علّق مفتاح سيارته الرباعية الدفع على لوحة خشبية.

مساء البارحة، وفي لحظة عصبية، أسدل الستائر فوق كل النوافذ، هـــذا الصباح، قبل الفطور، رفع فقط ستائر المطبخ. عاد الآن، وأسدلها مجدداً.

وقف وسط المطبخ.

ألقى نظرة على الهاتف.

أراد الجلـــوس أمـــام الطاولة، فوضع يده اليمنى على متن كرسي لكنه لم يحركه.

وقـــف هـــناك، متأملاً أرضية الغرانيت السوداء اللماعة تحت قدميه.

يبقي منـــزله نظيفاً دوماً، الغرانيت لامع وخالٍ من البقع.

بـــدا وكأن السواد تحت عينيه لا يملك مادة، كما كان واقفاً في الهـــواء، عالـــياً في الليل، مع خمسة أميال من الجو المتثائب تحته، من دون أجنحة.

سحب الكرسي من تحت الطاولة، جلس، مرّت أقل من دقيقة قبل أن يقف على قدميه.

في هذه الظروف، لا يملك بيلي فكرة عن كيفية التصرف، عما يجب فعله. المهمة البسيطة لتمرير الوقت تغلبت عليه، بالرغم من أنه لم يفعل شيئاً آخر طوال أعوام.

بما أنه لم يتناول العشاء، ذهب إلى البراد، لا يملك شهية، لم يرق له أي شيء موجود على تلك الرفوف الباردة.

ألقى نظرة على مفتاح سيارته المعلق على اللوحة الخشبية.

ذهب إلى الهاتف، ووقف يحدّق إليه.

جلس أمام الطاولة.

علّمنا أن نهتم ولا نهتم. علمنا أن نجلس بسكون.

بعد برهة، ذهب إلى غرفة الجلوس، حيث يمضي ليالٍ عدة وهو ينحت زخرفات هندسية على طاولة في الزاوية.

أحضر مجموعة من الأدوات وكتلة من خشب السنديان الأبيض التي حفر فيها فقط نصف مجموعة من الأوراق الشائكة. عاد معها إلى المطبخ.

ثمة هاتف في غرفة الجلوس، لكن بيلي فضل المطبخ هذا المساء. ثمة أريكة مريحة أيضاً في غرفة الجلوس، قلق أن يميل إلى الاستلقاء عليها ويخلد إلى النوم ولا يوقظه اتصال القاتل، أو أي شيء.

سواء أكان هذا القلق واقعياً أم لا، جلس أمام طاولة المطبخ مع كتلة الخشب والأدوات.

من دون ملزمة النحت، يستطيع العمل فقط على التفاصيل الدقيقة في الأوراق، وهذا عمل يتطلب إتقاناً وبراعة. أصدرت الشفرة صوت كشط فارغ من السنديان، كما لو أنه عظم وليس خشباً.

عند العاشرة وعشر دقائق، قبل أقل من ساعتين على الموعد النهائي المحدد، قرر فجأة أن يذهب إلى الشريف.

ليس منزله في أي منطقة. يملك الشريف صلاحية هنا. يقع المشرب في فينيارد هيلز، لكن القرية صغيرة جداً لتملك قوتها الخاصة من الشرطة. لذا، يعتبر الشريف بالمر مسؤولاً عن القانون هناك أيضاً.

أخذ بيلي المفتاح عن اللوحة الخشبية، وفتح الباب، وخرج إلى المصطبة الخلفية، ثم توقف.

إذا ذهبت إلى الشرطة، سأقتل أمًا شابة لطفلين.

لا يريد الاختيار. لا يريد أن يموت *أي كان*.

في كل مقاطعة نابا، قد تكون هناك عشرات الأمهات الشابات مع طفلين، ربما مئة، مع مئتين، أو أكثر.

حتى خلال خمس ساعات، لا يمكن التعرف إليهن جميعاً وإنذارهن. لا بد من استعمال الإعلام لإنذار الناس، وقد يستغرق ذلك أياماً.

الآن، مع أقل من ساعتين، لا يمكن فعل أي شيء مهم، قد تستغرق الشرطة وقتاً أطول في استجواب بيلي.

الأم الشابة، التي انتقاها القاتل قبلاً بلا شك، سيتم قتلها.

ماذا لو استيقظ الولدان؟ قد تتم تصفيتهما لأنهما شاهدان.

لم يعد الرجل المجنون بقتل الأم *فقط*.

في هواء الليل الرطب، فاحت رائحة عطرة من الطبقات الغنية لثمار البلوط على أرض الغابة وانتقلت من الأشجار إلى المصطبة.

عاد بيلي إلى المطبخ وأغلق الباب.

لاحقاً، وخز إبهامه وهو ينحت تفاصيل الورقة، لم يحضر ضمادة، مكان الوخز صغير، سيختم بسرعة.

حين جرح مفصل إصبعه، بقي منهمكاً كثيراً في النحت بحيث لم يــزعج نفــسه للاهتمام بالجرح. عمل بصورة أسرع، ولم ينتبه حين تعرض لجرح ثالث.

بالنــسبة إلى مراقب، لو كان هناك واحد، لأمكن القول إن بيلي *أراد* النــزف.

ولأن يديــه بقيتا مشغولتين، استمرت الجروح في النــزف. تبلل الخشب بالدم.

مــع الــوقت، أدرك أن لون السنديان تبدل تماماً، وضع المنحوتة جانباً وكذلك الشفرة.

جلس لبرهة، محدقاً إلى يديه، متنفساً بصعوبة من دون سبب، مع الــوقت، توقف النــزف ولم يبدأ مجدداً حين غسل يديه فوق حوض غسل الصحون.

عــند الــساعة 11:45، بعدما جفف يديه بفوطة مطبخ، أحضر قنيــنة شــراب شعير باردة، وشربها مباشرة من القنينة، أنهاها بسرعة كبيرة.

بعــد خمــس دقائق من القنينة الأولى، فتح قنينة ثانية، سكبها في كأس لتشجيع نفسه على ارتشافها وإطالة الوقت في شربها.

وقف مع شراب الشعير أمام ساعة الجدار.

الحادية عشرة وخمسون دقيقة، العد العكسي.

بقــدر ما أراد بيلي الكذب على نفسه، لم يستطع الضحك على نفسه، لقد اتخذ خياراً، لا بأس، *الخيار خيارك*. حتى عدم التصرف هو خيار.

الأم الــشابة لطفلــين لــن تموت الليلة. إذا وفى القاتل المهووس بوعده، ستنام الأم الليلة، وتشهد على انبلاج الفجر.

أصبح بيلي جزءاً من ذلك الآن، يستطيع الإنكار، يستطيع الهروب، يستطيع ترك ستائر نوافذه مسدلة لبقية حياته وتجاوز الخط الفاصل بين الانعزال والتنسك، لكنه لا يستطيع الهروب من الحقيقة الأساسية التي تقول إنه جزء من ذلك.

لقد عرض عليه القاتل شراكة، لا يريد أي شيء منها، لكن تبين الآن أنها مثل واحدة من صفقات العمل، واحدة من عروض السمسرة العدائية التي يقول عنها الكتّاب في الصفحات الاقتصادية إنها *استيلاء عدائي*.

أنهى القنينة الثانية فيما أشارت الساعة إلى منتصف الليل. أراد قنينة ثالثة، ورابعة.

قال لنفسه إنه يحتاج إلى إبقاء رأسه صافياً. سأل نفسه عن السبب، ولم يعثر على جواب منطقي.

لقد انتهت حصته من العمل الليلة، لقد اتخذ الخيار، سينجز المهووس عمله.

لن يحصل شيء إضافي الليلة، سوى أنه لولا شراب الشعير، لما استطاع بيلي النوم، قد يجد نفسه ينحت مجدداً.

آلمته يداه، ليس من الجروح الثلاثة البسيطة. وإنما من إمساك الأدوات بإحكام كبير، من إمساك كتلة السنديان بقبضة مميتة.

من دون نوم، لن يكون مستعداً لليوم التالي. ستأتي في الصباح أخبار جثة أخرى، سيعرف من تم اختياره للموت.

وضع بيلي كأسه في حوض غسل الصحون، لم يعد بحاجة إلى الكأس لأنه لم يعد يهتم لإطالة أمد شرب شراب الشعير، كل قنينة بمثابة لكمة، ولا يريد شيئاً أكثر من لكم نفسه.

أخذ قنينة ثالثة إلى غرفة الجلوس، وجلس على الكرسي الهزاز، شرب في الظلمة.

قد يكون التعب النفسي منهكاً بقدر الإرهاق الجسدي، اختفت منه كل القوة.

عند الساعة 1:44، أيقظه الهاتف، نهض بسرعة عن الكرسي كما لو أن صاروخاً قذفه، فتدحرجت قنينة شراب الشعير الفارغة على الأرض.

أمل في سماع صوت لاني، فرفع السماعة عن هاتف المطبخ بعد الرنة الرابعة، لم تصدر كلمة "آلو" عن أي جواب.

إنه المستمع، المهووس.

عرف بيلي من التجربة أن استراتيجية الصمت لن توصله إلى أي مكان. "ماذا تريد مني؟ لماذا أنا؟".

لم يجب المتصل.

قال بيلي "لن ألعب لعبتك". لكن هذا هراء لأنهما عرفا كلاهما أنه لعب أصلاً اللعبة.

كان سيسرّ لو أن القاتل أجاب حتى بضحكة سخرية خفيفة، لكنه لم يحصل على شيء.

"أنت مقرف، أنت منحرف". وعندما لم يحصل على جواب، أضاف بيلي: "أنت حثالة بشرية".

ظن أنه بدا ضعيفاً وغير فعّال، وفي الزمن الذي يعيش فيه، ليست الإهانات مؤذية أبداً. ثمة فرقة روك موسيقية تطلق على نفسها اسم **مقرفة ومنحرفة** ولا شك في أنه توجد فرقة أخرى اسمها **حثالة بشرية**.

لم يكترث المهووس، أقفل الخط.

أقفل بيلي الخط، وأدرك أن يديه ترتجفان، كانت راحتا يديه رطبتين أيضاً، فجففهما بقميصه.

صعقته فكرة كان يجب أن تخطر له في المرة الأولى التي اتصل فيها القاتـــل به الليلة الماضية. عاد إلى الهاتف، ورفع السماعة، وأصغى إلى صوت الخط لبرهة، ثم ضغط على *69، لمعاودة الاتصال تلقائياً.

في الطرف الآخر من الخط، رنّ الهاتف ورنّ ورنّ، ولكن أحداً لم يجب.

إلا أن الـــرقم علـــى الشاشة الرقمية في هاتف بيلي كان مألوفاً بالنسبة إليه؛ إنه رقم لاني.

الفصل 10

بـــدت دار العبادة جميلة تحت ضوء النجوم مع أشجار السنديان، وانتصبت قرب الطريق السريع الرئيسي، على مسافة ربع ميل تقريباً من المنعطف المؤدي إلى منـــزل لاني أولسن.

توجه بيلي إلى الزاوية الجنوبية الغربية من مرأب السيارات، تحت شـــجرة سنديان كبيرة عملاقة، أطفأ أنوار سيارته، وأوقف المحرك عن العمل.

ارتفعـــت جـــدران من الجص الأبيض الطبشوري مع دعامات زخرفية وصولاً إلى السقوف القرميدية البرتقالية، في الزاوية، ثمة تمثال.

يحمل بيلي مسدساً طبعاً.

بالـــرغم من أنه سلاح قديم، وليس واحداً حديثاً، لا يزال صالحاً للاستعمال، نظفه وحفظه كما يجب.

خبأ مع المسدس علبة من رصاصات من عيار 0.38 ملم لا توجد علامات تآكل عليها.

عندما أخرج السلاح من علبته، شعر أنه أثقل مما يذكره. والآن، فيما رفعه عن مقعد الراكب قرب السائق، شعر أنه ثقيل أيضاً.

هـــذا المـــسدس تحديـــداً من ماركة سميث وويسون، وزنه ستة وثلاثون أونصة فقط، لكن الوزن الإضافي الذي شعر به هو تاريخه.

خرج من سيارة الإكسبلورر، وأقفل الأبواب.

مـــرّت سيارة على الطريق السريع، بقي طيف المصابيح الأمامية على مسافة ثلاثين ياردا على الأقل من بيلي.

منـــــزل رجل الدين في الجهة الأخرى من دار العبادة. حتى لو كان رجل الدين مصاباً بالأرق، لن يسمع سيارة بيلي.

مـــشى بيلـــي تحت السنديانة، وخرج من تحت ظلها ووصل إلى مرج. ارتفع العشب البري إلى ركبتيه.

في الـــربيع، تنتشر صفوف من الخشخاش في هذا الحقل المنحني، وتكـــون حمـــراء-برتقالية مثل الحمم البركانية. إنها يابسة الآن، وغير موجودة.

توقـــف ليجعل عينيه تعتادان على الظلمة التامة المفتقدة إلى ضوء القمر.

أصـــغى من دون أي حركة، الهواء ساكن، لم تتحرك أي سيارة علـــى الطـــريق السريع البعيد، وجوده أسكت الصراصير والضفادع، استطاع تقريباً سماع النجوم.

واثقـــاً من رؤيته المتكيفة مع الظلمة ولكن غير واثق من أي شيء آخـــر، مشى في المرج المرتفع قليلاً، المنحني نحو الطريق متشقق الزفت المؤدي إلى منـــزل لاني أولسن.

قلـــق بـــشأن الأفاعي، ففي ليالي الصيف الدافئة مثل هذه الليلة، تـــصطاد الأفاعـــي فئران الحقول والأرانب الصغيرة. وصل إلى طريق الـــزفت من دون أن تلدغه أفعى، واستدار صعوداً، متجاوزاً منـــزلين مظلمين وصامتين.

في المنـــزل الثاني، ركض كلب طليق في الفناء المسيّج، لم ينبح، وإنما تحرك جيئة وذهاباً على طول الأوتاد المرتفعة، محاولاً لفت انتباه بيلي.

يقع منـــزل لاني على بعد مسافة ثلث ميل من المنـــزل الذي فيه الكلـــب، عـــند كـــل نافذة، أشعل ضوء من نوع أو آخر الزجاج أو زخرف الستائر.

في الفـــناء، ربض بيلي قرب شجرة خوخ. استطاع رؤية الواجهة الغربية للمنـــزل، التي كانت الواجهة الأمامية، والجناح الشمالي.

ثمـــة احتمال أن تكون هذه المسألة كلها مجرد خدعة وأن يكون لاني الخادع.

لم يـــتأكد بيلي فعلياً من أنه تم قتل معلمة مدرسة شقراء في مدينة نابا، لقد صدق ما قاله لاني.

لم يـــرَ تقريـــراً عن الجريمة في الصحيفة، يفترض أنه تم اكتشاف جـــريمة القـــتل في وقت متأخر من النهار ليتم ذكر المسألة في الإصدار الحديث، بالإضافة إلى ذلك، نادراً ما يقرأ الصحيفة.

كمـــا أنـــه لا يشاهد التلفاز أبداً. يستمع بين الحين والآخر إلى نـــشرات الطقـــس على الراديو، خلال القيادة، لكنه يعتمد خصوصاً علـــى مـــشغل أقراص موسيقية يصدح بموسيقى زيديكو أو بألحان غربية.

مـــن المتوقع أن يكون رسام الصور المتحركة محتالاً أيضاً، لقد تم قمع الجانب المضحك عند لاني لوقت طويل، بحيث تحول هذا الجانب إلى خيط رفيع، إنه يوفر صحبة جيدة، لكنه ليس مشبعاً بالضحك.

لا ينوي بيلي المراهنة بحياته - أو بأي شيء - لأن لاني خدعه.

تذكـــر كم كان صديقه متعرقاً وقلقاً وحزيناً في مرأب سيارات المـــشرب، اللـــيلة الماضية، برأي لاني، ما رآه هو الحقيقة، لو أراد أن يكـــون ممـــثلاً بـــدل رسام صور متحركة، ولو لم تصب أمه بمرض السرطان، لكان انتهى أيضاً كشرطي مع ملف أداء مليء بالمشاكل.

بعـــد تأمل المكان، والتأكد من عدم قيام أحد بمراقبته من نافذة، عـــبر بيلي المرج، ومرّ أمام المصطبة الأمامية، وألقى نظرة على الواجهة الجنوبية للمنـــزل. هناك أيضاً، توهج ضوء خفيف من كل نافذة.

انتقل إلى الجهة الخلفية، وبقي على مسافة، ورأى أن الباب الخلفي مفتوح، انبسط شعاع من الضوء مثل سجادة على أرض المصطبة الداكنة، مرحباً بالزوار عند عتبة المطبخ.

أوحت مثل هذه الدعوة الجريئة بفخ.

توقع بيلي العثور على لاني أولسن ميتاً في الداخل.

إذا لم تذهب إلى الشرطة وتورطها، سأقتل رجلاً غير متزوج لن يشتاق إليه العالم كثيراً.

لن يحضر دفن لاني ألف شخص، ولا حتى ربما مئات الأشخاص، بالرغم من أن بعض الأشخاص سيشتاقون إليه، ليس العالم، ولكن بعض الناس.

عندما اتخذ بيلي خياره بإنقاذ أم الطفلين، لم يدرك أنه حكم على لاني.

لو عرف، لاتخذ ربما خياراً مختلفاً، اختيار موت صديق سيكون أصعب من اختيار موت شخص غريب مجهول، حتى لو كان هذا الغريب أماً لطفلين.

لا يريد التفكير في ذلك.

قرابة نهاية الفناء الخلفي، ثمة جذع سنديانة تم قطعها قبل زمن طويل. عرضه أربع أقدام وارتفاعه قدمان.

في الجهة الشرقية من الجذع، ثمة فجوة تالفة نتيجة الطقس والعفن، تم وضع كيس بلاستيكي داخل الفجوة، يحتوي هذا الكيس على مفتاح احتياطي للمنزل.

بعدما سحب المفتاح، انتقل بيلي بحذر إلى الجهة الأمامية للمنزل، عاد للاختباء تحت شجرة الخوخ.

لم يطفأ أحد أي أنوار، لا يمكن رؤية أي وجه وراء أي نافذة، ولم تتحرك أي من الستائر بطريقة مشبوهة.

لمـــة جزء منه أراد الاتصال بالرقم 911، وطلب المساعدة بسرعة إلى هنا، وسرد القصة. لكنه شك في أن يكون هذا التصرف متهوراً.

لم يفهـــم قواعد هذه اللعبة الغريبة ولا يعرف كيف يحدد القاتل *الفوز*، يجد المهووس متعة ربما في توريط نادل بريء في كلتا الجريمتين.

نجا بيلي من أن يكون مشتبهاً به ذات مرة، لقد أثرت فيه التجربة بعمق.

سيقاوم التعرض للتجربة نفسها مجدداً. لقد خسر الكثير من نفسه في المرة الأولى. ابتعد عن شجرة الخوخ، صعد بهدوء درجات المصطبة الأمامية، وذهب مباشرة إلى الباب.

بـــرم المفـــتاح، لم يطقطق الباب، و لم تصدر المفصلات أصوات صرير، فتح الباب بصمت.

الفصل 11

لهذا المنـــزل الفيكتوري ردهة فيكتورية مع أرضية خشبية داكنة، ويقـــود ممر مرصوف بألواح خشبية نحو الجهة الخلفية للمنـــزل، فيما تؤدي سلالم إلى الأعلى.

علـــى أحد الجدران، تم لصق ورقة ثمانية بعشرة رُسمت عليها يد. بـــدت مـــثل يد ميكي ماوس: إبهام ممتلئ، ثلاثة أصابع، وبرمة معصم توحي بقفاز.

ثمـــة إصبعان مطويان على راحة اليد. الإبهام والسبابة على شكل مسدس يشير إلى السلالم.

حسناً، فهم بيلي الرسالة، لكنه قرر تجاهلها في الوقت الحاضر.

ترك الباب الأمامي مفتوحاً في حال احتاج إلى الهروب بسرعة.

أمـــسك بالمـــسدس بحـــيث كان موجهاً إلى السقف، ومشى تحت القناطـــر إلى يسار الردهة. بدت غرفة الجلوس مثلما كانت عندما كانت السيدة أولسن على قيد الحياة، قبل عشرة أعوام، لا يستخدمها لاني كثيراً.

يـــصح الشيء نفسه على غرفة الطعام، يتناول لاني معظم وجباته في المطبخ أو في غرفة الجلوس خلال مشاهدة التلفاز.

في الممر، ثمة يد أخرى من الكرتون، ملصقة على الجدار، تشير إلى الردهة والسلالم، في الاتجاه المعاكس للذي يسلكه.

بالرغم من أن التلفاز كان مطفأ في غرفة الجلوس، احترقت اللهب في المـــوقد العامل بالغاز، وفي مهد من الرماد الزائف، تلألأت الجمرات الزائفة كما لو أنها حقيقية.

علـــى طاولـــة المطـــبخ، هناك قنينة، وقنينة بلاستيكية كبيرة من الكـــوكا كولا، ودلو ثلج. على طبق قرب قنينة الكوكا، لمعت سكين صـــغيرة ذات شفرة متعرجة وحبة ليمون حامض تم قطع بضع شرائح منها.

قـــرب الطبق، ثمة كأس طويلة متعرقة مليئة حتى النصف بمشروب داكـــن، طفـــت شريحة من الليمون الحامض على سطح الكأس وبضع رقاقات من الثلج الذائب.

بعـــد سرقة ورقة القاتل الأولى من مطبخ بيلي وإتلافها مع الثانية لإنقـــاذ وظيفته وأمله في معاش تقاعد، حاول لاني التخفيف عن ذنبه بسلسلة من كؤوس الكولا والمشروب.

إذا كانت قنينة الكوكا كولا وقنينة الباكاردي ممتلئتين حين جلس أمـــام الطاولة، يعني ذلك أنه وصل إلى مرحلة متقدمة من الثمالة كافية لتشويش الذاكرة وتخدير الضمير حتى الصباح.

كان باب خزانة المؤونة مغلقاً، بالرغم من شك بيلي في أن يكون القاتـــل مختبئاً هناك بين المعلبات، لم يرتح لفكرة تجاهل المسألة إلى أن يتحقق.

وضع ذراعه اليمنى قرب جانبه، ووجه مسدسه أمامه، برم المقبض بسرعة، وفتح الباب بيده اليسرى. لا يوجد أحد في خزانة المؤونة.

من دُرج في المطبخ، أخرج بيلي فوطة نظيفة، بعدما مسح المقبض المعدني للدُرج ومقبض باب خزانة المؤونة، أقحم طرفاً من الفوطة تحت حزامه وتركها تتدلى على جانبه كما يفعل النادل.

علـــى رف قـــرب الفرن، كانت محفظة لاني، ومفاتيح السيارة، ونقود معدنية، وهاتف خلوي، كان هناك أيضاً مسدس الخدمة خاصته عيار 9 ملم مع قراب ويلسون كومبات الذي يحمله فيه.

رفع بيلي الهاتف الخلوي، وأداره، وطلب البريد الصوتي، الرسالة الوحيدة المخبأة في الذاكرة كانت تلك التي تركها بنفسه للاني في وقت سابق من المساء.

"هذا أنا بيلي. أنا في المنـــزل. ما الأمر؟ ماذا فعلت؟ اتصل بـــي الآن".

بعد الاستماع إلى صوته، حذف الرسالة.

هذا خطأ ربما، لكنه لم يرَ أي طريقة يمكن أن تثبت براءته، على العكـــس، ستثبت الرسالة أنه كان يتوقع رؤية لاني خلال المساء وأنه كان غاضباً منه.

وسيجعله ذلك مشتبهاً به.

فكـــر في الـــبريد الصوتي خلال توجهه إلى مرأب سيارات دار العـــبادة وخلال المشي في المرج. بدا له أن حذف الرسالة الصوتية هو أفضل طريقة إذا وجد ما كان يتوقعه في الطابق الثاني.

أقفـــل الهاتـــف الخلوي واستخدم فوطة المطبخ لمسح البصمات، أعاده إلى الرف حيث وجده.

إذا كان أحد يراقبه، سيظن أن بيلي هادئ وبارد. لكنه في الحقيقة نصف مشبع بالخوف والقلق.

قد يظن المراقب أيضاً أن بيلي، نسبة إلى انتباهه الدقيق للتفاصيل، قـــام بتغطـــية جـــرائم قبلاً. ليست هذه حقيقة، لكن التجربة القوية شحذت خياله وعلمته مخاطر الأدلة الظرفية.

قـــبل ســـاعة واحـــدة، عند 1:44، اتصل القاتل ببيلي من هذا المنـــزل. تملك شركة الهاتف سجلاً لهذا الاتصال الوجيز.

ســـتظن الـــشرطة ربما أن هذا يثبت عدم وجود بيلي هنا خلال حصول الجريمة.

ستظن الشرطة على الأرجح أن بيلي نفسه طلب من شريك له في الجريمة الاتصال بالمنزل في محاولة لتأكيد تواجده في مكان آخر لحظة وقوع الجريمة.

يشك رجال الشرط دوماً في الأسوأ. علمتهم تجربتهم فعل ذلك.

في الوقت الحاضر، لم يستطع التفكير في أي شيء يمكن فعله في سجلات شركات الهاتف، أخرج المسألة من رأسه.

ثمة أمور أكثر إلحاحاً تستلزم انتباهه، مثل العثور على الجثة، إذا كانت موجودة.

لا يظن أنه يجدر به تبديد الوقت في البحث عن ورقتيّ القاتل، إذا كانتا لا تزالان على حالهما، سيجدهما على الأرجح على الطاولة حيث كان يشرب لاني أو على رف المطبخ مع المحفظة والنقود المعدنية والهاتف الخلوي.

اللهب في موقد غرفة الجلوس، وفي هذه الليلة الصيفية الدافئة، يقود إلى استنتاج منطقي بشأن الورقتين.

على جانب خزانة مطبخ، تم لصق يد كرتونية تشير إلى الباب المتأرجح وإلى السلالم المؤدية إلى الأسفل.

في النهاية، أراد بيلي سلوك هذا الاتجاه لكن خوفاً كبيراً جمّده.

إن امتلاك سلاح والرغبة في استعماله لم يعطياه الشجاعة الكافية للمضي قدماً، لم يتوقع مصادفة القاتل، بطريقة ما، سيكون القاتل مرعباً أقل مما يتوقعه.

أغرته قنينة شراب، لم يشعر بتأثير قناني شراب الشعير الثلاث، كان قلبه يخفق بقوة منذ أكثر من ساعة، ويتسابق أيضه بسرعة.

بالنسبة إلى رجل لا يحتسي الشراب كثيراً، توجب عليه أخيراً تذكير نفسه بهذه الحقيقة مراراً ما يوحي أن سكيراً يعيش داخله، يتوق إلى الحرية.

شجاعة المضي قدماً نجمت عن خوف من *الإخفاق* بالمضي قدماً ومن إدراك حاد بعواقب تسليم هذه الحقائق إلى القاتل.

ترك المطبخ، ومشى في الممر المؤدي إلى الردهة. على الأقل، ليست السلالم مظلمة. ثمة ضوء هناك في الأسفل، عند منبسط الدرج، وفي الأعلى.

صعد و لم يزعج نفسه بمناداة اسم لاني، عرف أنه لن يتلقى أي جواب، وشك في أن يصدر صوته منه على كل حال.

الفصل 12

في الطابق العلوي، هناك ثلاث غرف نوم، وحمام وخزانة. أربعة أبواب من الخمسة كانت مغلقة.

على جانبيّ المدخل المؤدي إلى غرفة النوم الرئيسة، ثمة أيدٍ كرتونية تشير إلى ذلك الباب المفتوح.

رافضاً الانسياق، مفكراً في الحيوانات التي يتم سوقها إلى المذبح، غـــادر بيلـــي غرفة النوم الرئيسة أخيراً. تحقق أولاً من الحمام في الممر. وبعـــدها من الخزانة وغرفتيّ النوم الأخريين اللتين يضع لاني في واحدة منهما طاولة رسم.

باستخدام فوطة المطبخ، مسح كل مقابض الأبواب بعد لمسها.

لم يـــبقَ إلا مكـــان واحـــد لتفتيشه، فوقف في الممر، مصغياً، لا صوت على الإطلاق.

ثمة شيء علق في حنجرته، و لم يستطع ابتلاعه، لا يستطيع ابتلاعه لأنه ليس حقيقياً أكثر من الجليد المنـــزلق في ظهره.

دخل إلى غرفة النوم الرئيسة حيث توهج مصباحان.

ورق الجدران المطبع بالورود الذي اختارته والدة لاني لم تتم إزالته بعد وفاتها، ولا حتى بعد أعوام قليلة، عندما انتقل لاني من غرفته القديمة إلى هـــذه الغـــرفة. أدّى الزمن إلى جعل الخلفية داكنة بظلّ شبيه ببقعة الشاي الفاتحة.

غطـــاء السرير كان أحد الأغطية المفضلة عند بيرل أولسن: لونه الإجمالي وردي، مع أزهار مطرزة على الحواف.

خــلال مرض السيدة أولسن، وبعد جلسات العلاج الكيميائي، وبعـــد علاجـــات الأشعة المنهكة، جلس معها بيلي في هذه الغرفة. في بعض الأحيان، اكتفى بالتحدث إليها أو مراقبتها وهي تنام، وفي أغلب الأحيان، قرأ لها.

أحـــبت قـــصص المغامرات المتفاخرة المتهورة، قصصاً تم إعدادها خلال الراج في الهند، قصصاً مع فتيات جايشا وساموراي وأمراء حرب صينيين وقراصنة كاريبيين.

لقد رحلت بيرل، وكذلك الآن لاني، مرتدياً بذلته الرسمية، جلس في كرسي ذي ذراعين، وأنـــزل ساقيه على مُتَكَأ، لكنه رحل إلى العالم الآخر.

تعرض لرصاصة في الجبين.

لا يـــريد بيلي رؤية هذا، خشي أن تبقى هذه الصورة في ذاكرته، أراد المغادرة.

إلا أن الركض ليس خياراً، لم يكن يوماً خياراً، لا قبل عشرين عاماً ولا الآن، ولا في أي وقت بينهما، إذا ركض، ستتم مطاردته وتدميره.

الـــصيد مـــستمر، ولأســـباب لا يفهمها، لا يزال هو الفريسة الأساســـية، ســـرعة الهروب لن تنقذه، فالسرعة لم تنقذ الثعلب أبداً، للهـــروب من الصيادين، يحتاج الثعلب إلى الدهاء وحسّ المخاطرة، لا يشعر بيلي أنه ثعلب، بل يشعر أنه أرنب، لكنه لن يركض مثله.

قلـــة الـــدم علـــى وجه لاني، وقلة النـــزف من الجرح توحيان بأمرين: أن الموت كان فورياً وأن الجهة الخلفية من جمجمته انفجرت.

ما من بقع دم أو فتات دماغ تلطخ ورق الجدران وراء الكرسي، لم يـــتم قتل لاني فيما كان جالساً هناك، ولم يتم قتله في أي مكان في هذه الغرفة.

بمـــا أن بيلي لم يعثر على الدم في مكان آخر في المنـــزل، افترض أن القتل حصل خارجاً.

نهـــض لاني ربما عن طاولة المطبخ، بعدما انتهى من شرب الكولا والـــشراب، وكان نصف ثمل أو ثملاً، فاحتاج إلى الهواء المنعش وخرج مـــن المنـــــزل، أدرك ربمـــا أن هدفه لن يكون نظيفاً كفاية للحمام، ولذلك ذهب إلى الفناء الخلفي للتخفيف عن نفسه.

لا بـــد أن القاتل استخدم كيساً بلاستيكياً أو شيئاً ما لنقل الجثة عبر المنـــزل من دون إحداث فوضى.

حتى لو كان القاتل قوياً، فإن نقل الرجل الميت من الفناء الخلفي إلى غرفة النوم الرئيسة، مع وجود السلالم، هو مهمة صعبة. صعبة وغير ضرورية على ما يبدو.

لكـــن لفعل ذلك، لا بد أن القاتل يملك سبباً مهماً. كانت عينا لاني مفتوحـــتين، هما عينان ناتئتان قليلاً في محجريهما، العين اليسرى كانت منحرفة، كما لو أنه أراد إلقاء نظرة على الحياة.

ضـــغط، في اللحظة التي دخلت فيها الرصاصة إلى الدماغ، ارتفع الضغط داخل الجمجمة قبل أن ينفجر.

ثمة رواية صغيرة موضوعة في حضن لاني، نسخة أصغر وأرخص من الإصدار المرتب للعنوان نفسه المتوافر في المكتبات، هناك مئتا كتاب مماثل على الأقل على أحد الرفوف في غرفة النوم.

اســـتطاع بيلـــي رؤيـــة العنوان، واسم المؤلف، وصورة الغلاف الخارجـــي، تـــتحدث الرواية عن بحث عن كنـــز وحب حقيقي في جنوب المحيط الهادئ.

قـــبل زمن بعيد، قرأ هذه الرواية إلى بيرل أولسن. أحبتها، لكنها أحبت كل الروايات بعدها.

ارتاحـــت يد لاني اليمنى على الكتاب، بدا وكأنه حدد الصفحة التي وصل إليها بصورة فوتوغرافية، فنتأ جزء صغير منها بين الصفحات.

لقد رتّب المهووس النفسي كل ذلك. أرضاه المشهد وكشف عن معنى عاطفي له، أو أنه رسالة – ترهيب، تخويف.

قبل العبث في المشهد، تأمله بيلي. ما من شيء فيه يبدو مكرهاً أو ذكـــياً، مـــا من شيء فيه أثار القاتل كفاية لتحفيزه إلى بذل مثل هذا الجهد في ابتكاره.

ندب بيلي لاني، ولكن بشغف أكبر، كره فكرة أن لاني لم يحصل علـــى وقار حتى في موته، لقد جرّه القاتل وحركه كما لو أنه عارضة بلاستيكية، دمية، كما لو أنه وجد فقط من أجل متعة القاتل وألاعيبه.

لقـــد خان لاني بيلي، لكن هذا لم يعد مهماً، على حافة الظلمة، على حافة الفراغ، ثمة عدد قليل من الإهانات الممكن تذكرها. الأشياء الوحيدة التي تستحق التذكر هي لحظات الصداقة والضحك.

إذا اختلفا في اليوم الأخير من حياة لاني، أصبحا في الفريق نفسه الآن، مع نفس العدو الوحيد.

ظن بيلي أنه سمع ضجيجاً في الردهة.

مـــن دون تـــردد، ممسكاً بالمسدس بكلتا يديه، ترك غرفة النوم الرئيـــسة، وخــــرج مــــن الباب بسرعة، محركاً المسدس من اليسار إلى اليمين، باحثاً عن هدف. لا أحد.

الحمام، الخزانة، وأبواب غرف النوم الأخرى كانت مغلقة، مثلما تركها.

لم يشعر بحاجة ملحة إلى تفتيش هذه الغرف مجدداً، لم يسمع ربما شيئاً سوى ضجيج عادي فيما احتج المنـــزل القديم على ثقل الوقت، لكنه لم يكن حتماً صوت باب يفتح أو يغلق.

مـــسح راحة يده اليسرى الرطبة بقميصه، ونقل المسدس إليها، ثم جفف يده اليمنى، وأعاد المسدس إليها، وذهب إلى منبسط السلالم.

مـــن الطابق السفلي، من المصطبة وراء الباب الأمامي المفتوح، لم يصدر أي شيء سوى صمت ليلة صيفية.

الفصل 13

فـــيما وقف أمام أعلى السلالم، مصغياً، بدأ الألم يخفق في صدغيّ بيلـــي. أدرك أن أســـنانه مطـــبقة على بعضها بإحكام أكبر من فكّي كماشة.

حـــاول الاســـترخاء والتنفس عبر فمه. برم رأسه من جانب إلى آخر، محركاً العضلات المتصلبة في عنقه.

قد يكون التوتر مفيداً إذا استخدمته للبقاء مركزاً ويقظاً، الخوف قد يشلّ، لكنه يشحذ أيضاً غريزة البقاء.

عاد إلى غرفة النوم الرئيسة.

اقتـــرب من الباب، وظن فجأة أن الجثة والكتاب اختفيا. إلا أن لاني لا يزال جالساً على الكرسي.

أخذ بيلي منديلين ورقيين من علبة المناديل الموضوعة على منضدة ليلية. استخدمهما بمثابة قفاز ارتجالي وأبعد يد الرجل الميت عن الكتاب.

تـــرك الكتاب في حضن الجثة، وفتحه على الصفحة التي وضعت فيها الصورة الفوتوغرافية.

توقع رؤية عبارات أو فقرات محددة بطريقة معينة: رسالة إضافية، إلا أن النص كان على حاله.

اســـتخدم المنديلين الورقيين لرفع الصورة الفوتوغرافية فتبين أنها صورة لامرأة.

كانت شابة وجميلة وأنيقة، ما من شيء في الصورة يوحي بمهنتها، لكن بيلي عرف أنها كانت مدرّسة.

لا بد أن قاتلها عثر على هذه الصورة في منـــزلها، في نابا. قبل أو بعد العثور عليها، قضى بوحشية على جمالها.

لا شك في أن القاتل ترك الصورة الفوتوغرافية في الكتاب للتأكيد للـــسلطات أن الجـــريمتين هما من صنع الرجل نفسه، إنه يتباهى، أراد المديح الذي يستحقه.

الحكمة الوحيدة التي نستطيع الأمل بها هي الحصول على حكمة التواضع...

لم يـــتعلم القاتل هذا الدرس، إخفاقه في تعلمه قد يفضي ربما إلى سقوطه.

إذا كـــان من الممكن الشعور فعلاً بتحطم القلب على مصير شخص غـــريب، فـــإن صورة هذه المرأة الشابة فعلت فعلها فيما حدّق إليها بيلي لوقت طويل. أعاد الصورة إلى الكتاب، وأغلق الصفحات المصفرّة.

بعـــد وضع يد الرجل الميت فوق الكتاب، مثلما كانت، سحق المنديلين في قبضة يده. دخل الحمام الموجود داخل غرفة النوم الرئيسة، وضغط على السيفون بالمنديلين الورقيين، ثم رماهما في دورة المياه داخل كرسي المرحاض.

في غرفة النوم، وقف قرب الكرسي، غير واثق مما يجب فعله.

لا يـــستحق لاني أن يبقـــى هنا وحيداً من دون فائدة الدعاء أو العدالة، إذا لم يكن صديقاً *قريباً*، يبقى صديقاً، بالإضافة إلى ذلك، إنه ابن بيرل أولسن، ويستحق ذلك الكثير.

إلا أن الاتـــصال بمكـــتب الشريف، ولو بطريقة مجهولة الهوية، والإبـــلاغ عن الجريمة قد يكون خطأ. سيطلبون شرحاً للاتصال الذي جـــرى من هذا المنـــزل بمنـــزل بيلي بعد فترة وجيزة من القتل، ولم يقرر بعد ماذا سيقول لهم.

ثمة مسائل أخرى، أمور لا يعرف بشأنها، قد تلقي بأصابع الاتهام نحوه، أدلة ظرفية.

قد تكون النية القصوى للقاتل توريط بيلي في هاتين الجريمتين وجرائم أخرى.

لا شك في أن القاتل يعتبر ذلك بمثابة لعبة، حيث القواعد، إذا كانت موجودة، معروفة فقط من قبله.

بطريقة مماثلة، مفهوم *النصر* معروف فقط له. الفوز بالمال، إلقاء القبض على الملك، تسجيل الهدف النهائي قد يعني، في هذه الحالة إرسال بيلي إلى السجن مدى الحياة ليس لسبب منطقي، وليس ليتمكن القاتل نفسه من الفرار من العدالة، وإنما لمجرد *المتعة* في ذلك.

على اعتبار أنه لا يستطيع حتى تحديد شكل إطار اللعب، لم يتحمس بيلي لفكرة استجوابه من قبل الشريف جون بالمر.

يحتاج إلى الوقت للتفكير، بضع ساعات على الأقل، حتى الفجر.

قال للاني: "أنا آسف".

أطفأ أحد المصباحين قرب السرير، ومن ثم الآخر.

إذا توهج المنزل مثل قالب كيك خلال الليل، قد يلاحظ أحد، ويتساءل، يعرف الجميع أن لاني أولسن يخلد باكراً إلى النوم.

يقع المنزل في منطقة عالية وبعيدة في آخر الطريق. لا يأتي مبدئياً أحد إلى هنا إلا إذا كان قادماً لرؤية لاني، ومن المستبعد أن يأتي أحد للزيارة خلال الثماني إلى العشر ساعات التالية.

نقل منتصف الليل الثلاثاء إلى الأربعاء، والأربعاء والخميس هما يوما الإجازة عند لاني، لن يسأل أحد عنه في العمل قبل يوم الجمعة.

إلا أن بيلي عاد إلى الغرف الأخرى في الطابق العلوي، وأطفأ الأنوار فيها أيضاً.

أطفأ أنوار الردهة ونزل السلالم، وهو يشعر بعدم الارتياح للظلمة وراءه.

في المطبخ، أغلق الباب المؤدي إلى المصطبة، وأقفله.

أراد أخذ المفتاح الاحتياطي للاني معه.

فيما تجول مرة جديدة في الطابق الأول، أطفأ كل الأنوار، بما في ذلك جمرات السيراميك العاملة بالغاز في الموقد، مستخدماً كعب المسدس للضغط على أزرار الكهرباء.

وقف على المصطبة الأمامية، وأقفل ذلك الباب أيضاً، ومسح المقبض.

شعر أنه مراقب فيما نزل الدرج. راقب المرج، والأشجار، وألقى نظرة على المنزل.

كانت كل النوافذ سوداء، والليل أسود، وابتعد بيلي عن تلك الظلمة المغلقة إلى ظلمة مفتوحة تحت سماء كحلية تلألأت فيها النجوم كما لو أنها ترتجف.

الفصل 14

نـــــزل الهـــضبة بـــسرعة بمحاذاة الطريق، مستعداً للاختباء بين الشجيرات الموجودة على جانب الطريق إذا ظهرت أضواء سيارة.

ألقـــى بين الحين والآخر نظرة إلى الخلف، لا أحد يتبعه، حسبما لاحظ.

كــان اللـــيل مفـــتقداً إلى ضوء القمر مما يشجع على المطاردة الخلسة. يفترض أن يشجع بيلي أيضاً، لكنه شعر أنه مكشوف كثيراً بالنجوم.

أمـــام المنـــزل المحاط بسياج عالٍ، تحرك الكلب مرة جديدة جيئة وذهاباً على طول السياج، متوسلاً بيلي بأنين، بدا يائساً.

تعاطـــف بيلي مع الحيوان وفهم وضعه. إلا أن مأزقه وحاجته إلى التخطيط لا يتركان له الوقت للتوقف ومواساة الحيوان.

بالإضـــافة إلى ذلك، يكشف كل تعبير لصداقة مرغوبة عن لدغة محتملة، تكشف كل ابتسامة عن الأسنان.

لـــذا، تابع سيره، ونظر إلى الخلف، وأمسك المسدس بإحكام، ثم استدار إلى اليسار نحو المرج حيث مشى بين الأعشاب وسط خوف من الأفاعي.

ثمة سؤال راوده أكثر من أسئلة أخرى: هل القاتل شخص يعرفه أو أنه غريب؟

إذا كـــان القاتـــل موجوداً في حياة بيلي قبل الورقة الأولى، وهو مـــريض اجتماعـــي سري لم يعد في وسعه كبت رغباته في القتل، فإن

التعـــرف إليه لن يكون صعباً وبل ممكناً، فتحليل العلاقات والبحث في الذاكرة عن أي شذوذ يمكن أن يكشفا عن تلميحات، يحتمل أن يفضي التفكير المنطقي والخيال إلى رسم وجه، أو معرفة حافز.

إذا كان القاتل غريباً اختار بيلي بصورة عشوائية لتعذيبه ومن ثم تـــدميره، فـــإن عمل التحري سيكون أكثر صعوبة. بالفعل، لن يسهل تخيل وجه لم يصادفه أبداً والبحث عن حافز في الفراغ المطلق.

قـــبل زمـــن غير بعيد في تاريخ العالم، لطالما كان العنف اليومي الـــروتيني - باســـتثناء تخـــريب الدول في الحرب - شخصياً بطبيعته؛ فالأحقاد، وتحصيل الشرف، والزنى، والنـــزاعات على المال كلها أمور حفزت الدافع إلى القتل.

في العـــالم المعاصـــر، أو بالأحـــرى في العـــالم ما بعد المعاصر، وخصوصاً العالم ما بعد بعد المعاصر، أصبح معظم العنف غير شخصي، فالإرهابـــيون، وعصابات الشوارع، والمرضى الاجتماعيون الوحيدون، والمرضى الاجتماعيون في مجموعات والساعون وراء رؤية وهمية يقتلون أشخاصاً لا يعرفونهم، لا يملكون ضدهم أي شكوى واقعية، وإنما لمجرد لفت الانتباه، أو التعبير عن شيء ما، أو الترهيب، أو حتى لمجرد الإثارة في ذلك.

القاتـــل، سواء أكان معروفاً أو غير معروف بالنسبة إلى بيلي، هو عدو مروّع، استناداً إلى كل الأدلة، يمكن القول إنه جريء ولكنه ليس مـــتهوراً، مريض نفسي وإنما مسيطر على نفسه، ذكي، مبدع، ماكر، مع عقل معقد وميكيافيلي.

في المقابل، شق بيلي وايلز طريقه في العالم بأكبر بساطة وصراحة ممكنـــتين، لم يكن عقله معقداً، رغباته غير معقدة، أمل فقط في العيش، وعاش بأمل حذر.

مشى مسرعاً عبر العشب الطويل الشاحب الذي وصل إلى ساقيه، وأصدر همسات تآمرية عند احتكاكه ببعضه، فشعر أنه أقرب إلى فأرة حقول مما إلى بومة ذات منقار مستدق.

شجرة السنديان الكبيرة كانت ضخمة فعلاً، فيما مرّ بيلي تحتها، تحركت كائنات غير منظورة فوق رأسه، لكنها لم تحلق أبداً.

وراء سيارة الفورد إكسبلورر، بدت دار العبادة مثل منحوتة جليدية مصنوعة من الماء مع لمسة فوسفورية.

اقترب من السيارة، وفتح قفلها بجهاز التحكم عن بعد، وسمع صوتين إلكترونيين مع وميض مزدوج لأضواء السيارة.

دخل السيارة، وأغلق الباب، وأقفل الأبواب مجدداً. وضع المسدس على المقعد قربه، عندما حاول إدخال المفتاح في موضعه، لفته شيء ما، تم تثبيت ورقة مطوية على قضيب عجلة القيادة بواسطة شريط لاصق صغير.

ورقة.

الورقة الثالثة.

لا بد أن القاتل ركن سيارته على الطريق السريع، مراقباً المنعطف المؤدي إلى منزل لاني أولسن، لمعرفة إذا كان بيلي سيقع في الطعم. لقد لاحظ على الأرجح سيارة الإكسبلورر تدخل إلى هذا المرأب.

كانت السيارة مقفلة، لا يستطيع القاتل دخولها إلا عبر كسر نافذة. لكن ما من نافذة مكسورة، لم يتم تحفيز جهاز إنذار السيارة.

لغاية الآن، تبدو كل لحظة من هذا الكابوس حقيقية تماماً، حقيقية بقدر النار أمام يد الاختبار، إلا أن اكتشاف هذه الورقة الثالثة بدا وكأنه نقل بيلي من العالم الحقيقي إلى العالم الخيالي.

بخوف شبيه بالحلم، نزع بيلي الورقة عن عمود عجلة القيادة. فتحها.

الأنوار الداخلية، التي عملت بصورة تلقائية حين دخل السيارة، لا تــزال مضاءة لأنه أغلق الباب وأقفله قبل فترة وجيزة جداً، الرسالة - سؤال - واضحة ومقتضبة.

هل أنت مستعد لجرحك الأول؟

الفصل 15

هل أنت مستعد لجرحك الأول؟

كما لو أن زراً آينشتاينياً جعل الوقت يتحرك بسرعة بطيئة، انزلقت الورقة من بين أصابعه وطارت، طارت مثل ريشة ووقعت في حضنه، انطفأت الأنوار.

في لحظة رعب، مدّ يده اليمنى لسحب المسدس عن المقعد الذي قرب السائق، واستدار بيلي إلى اليمين أيضاً، رغبة منه في النظر فوق كتفه نحو المقعد الخلفي المظلم.

لا توجد فسحة كبيرة ليختبئ فيها رجل. لكن بيلي صعد إلى سيارة الإكسبلورر بسرعة وعلى عجل.

بحث عن المسدس الضائع، وتلمست أطراف أصابعه قبضة السلاح؛ وانفجرت نافذة باب السائق.

انهار الزجاج قطعاً صغيرة فوق صدره وفخذيه، وأفلت المسدس من قبضة يده ووقع على الأرض.

بالرغم من أن الزجاج كان لا يزال يتناثر، وقبل أن يدير بيلي وجهه للمعتدي، دخل القاتل إلى السيارة وأمسك بشعره، عند أعلى رأسه، وبرمه وشدّه بقوة.

علق بيلي بين عجلة القيادة ولوح عدادات السيارة، وكان مشدوداً بقوة من شعره، عاجزاً عن التمدد نحو المقعد الذي قرب السائق والبحث عن المسدس، فأدخل أظفاره في اليد التي أمسكته، ولكن من دون جدوى لأن قفازاً جلدياً حمى تلك اليد.

كان القاتل قوياً خبيثاً وبلا رحمة.

يفترض أن يكون شعر بيلي قد اقتلع من جذوره، فالألم قوي جداً، تشوشت رؤيته.

أراد القاتل شدّه من رأسه أولاً وإلى الخلف عبر النافذة المكسورة.

زحفت الجهة الخلفية لجمجمة بيلي نحو إطار النافذة، ثمة ضربة أخرى قوية أصابت أسنانه فأطلق صرخة قوية منه.

تشبث بعجلة القيادة بيده اليسرى، وأمسك بمتكأ الرأس لمقعد السائق بيده اليمنى، محاولاً المقاومة، سيقتلع الشعر بكمية كبيرة، سيقتلع الشعر ويصبح طليقاً.

إلا أن الشعر لم يقتلع ولم يصبح طليقاً، وفكّر في الزمور، إذا ضغط على الزمور، وصدر الصوت عالياً، ستأتي المساعدة وسيهرب القاتل.

إلا أنه أدرك أن رجل الدين وحده سيسمع، وإذا جاء رجل الدين، لن يهرب القاتل، لا، سيطلق النار على وجه رجل الدين تماماً مثلما فعل مع لاني.

مرّت عشر ثوانٍ تقريباً على تحطم النافذة، وكانت الجهة الخلفية لرأس بيلي تزحف بعنادٍ على إطار النافذة.

أصبح الألم قوياً جداً بسرعة كبيرة بحيث بدا وكأن جذور شعره امتدت عبر لحم وجهه - إذ آلمه وجهه أيضاً وأحرقه كما لو أن ناراً أضرمت به - وامتدت أيضاً عبر كتفيه وذراعيه، بحيث تحررت القوة من تلك العضلات عندما تحررت الجذور العنيدة من فروة الرأس.

آلمه عنقه بشدة عند الاحتكاك بإطار النافذة. تغلغل حطام الزجاج المكسور في لحمه.

أصبح رأسه محنياً إلى الخلف الآن، يمكن لحنجرته المكشوفة أن تشقّ بسرعة، ويمكن لعموده الفقري أن ينكسر بسهولة.

أفلت عجلة القيادة. تمدد وراء ظهره، بحثاً عن مقبض الباب.

إذا استطاع فتح الباب ودفعه بقوة كافية، قد يوقع الخلل في توازن المعـــتدي عليه ويطرحه أرضاً، فيكسر قبضة يده أو يطلق سراح الشعر أخيراً.

للإمـــساك بالمقـــبض- الزلق بين أصابعه المبللة بالعرق- عليه برم ذراعه وراء نفسه بعذاب شديد وحني يده في زاوية قوية لكنه لا يملك نطاق الحركة لفعل ذلك.

كما لو أن المعتدي أحسّ بنية بيلي، ألقى بكل ثقله على الباب.

أصـــبح رأس بيلي بمعظمه خارج السيارة الآن، وظهر فجأة وجه فوقه، مقلوباً رأساً على عقب نسبة إلى وجهه، وجه من دون قسمات. شبح مقنّع بقلنسوة.

ومض عينيه لتوضيح رؤيته.

ليست قلنسوة. إنه قناع تزلج داكن اللون.

بالرغم من هذا الضوء الخفيف، استطاع بيلي رؤية النظرة المحمومة الخارجة من تلك العينين.

ثمـــة رذاذ أطلـــق على النصف السفلي من وجهه، من الأنف إلى الأسفل. رذاذ رطب، بارد، لاذع وإنما حلو.

شـــهق مصدوماً، ثم حاول حبس أنفاسه، لكن الشهقة الوحيدة كانـــت كافـــية للتأثير فيه، احترق دخان قابض في منخريه، امتلأ فمه باللعاب.

بـــدا وكأن الوجه المقنّع انخفض نحو وجهه، مثل قمر مظلم يهبط بفوهاته.

الفصل 16

اختفـــى مفعول المسكّن، أعاد الألم تدريجياً بيلي من الغيبوبة إلى الوعي مثل رافعة تدير أسطوانة.

المذاق في فمه كما لو أنه شرب قطر الحلوى، ومن ثم غسل فمه بالمبيّض، مذاق حلو ومرّ، الحياة بحدّ ذاتها.

لبرهة، لم يعرف أين هو، لا يبالي أساساً، خارجاً من بحر رعب، شعر أنه مشبع بنوم غير طبيعي وتاق بشدة للعودة إليه.

في الـــنهاية، أجـــبره الألم الكـــبير على المبالاة، على إبقاء عينيه مفتوحـــتين، علـــى تحليل الإحساس وتوجيه نفسه. كان مستلقياً على ظهره على سطح صلب؛ مرأب سيارات دار العبادة.

استطاع شم الروائح الخفيفة للزفت، والزيت، والبنـــزين، الرائحة الخفـــيفة والغامـــضة لشجرة السنديان المنتشرة في الظلمة، رائحة عرقه الخاص.

لعق شفتيه فتذوق الدم.

عندما مسح وجهه، وجده بيلي زلقاً بمادة دبقة هي على الأرجح مزيج من العرق والدم، في الظلمة، لم يستطع رؤية ما انتقل إلى يده.

تركـــز الألم خصوصاً في فروة رأسه، افترض في البداية أنه نتيجة اقتلاع شعره تقريباً.

ثمـــة ألم بطيء ونابض، مصحوب بسلسلة من الضربات الأقوى، امـــتدّ عـــبر رأسه، ولكن ليس من الجمجمة حيث تم شدّ شعره بقوة كبيرة، وإنما من حاجبه.

عندما رفع يداً، وتحسس المصدر بتردد، وجد شيئاً قاسياً ومنتصباً في جبينه، على مسافة إنش واحد تحت حدّ الشعر، بالرغم من أن لمسته كانت رقيقة، ولّدت ألماً أكثر حدة جعله يصرخ عالياً.

هل أنت مستعد لجرحك الأول؟

تـــرك استكشاف الجرح إلى وقت لاحق، إلى أن يتمكن من رؤية الضرر.

ليس الجرح مميتاً. لم يشأ المعتدي قتله، وإنما أراد فقط إيذاءه، لترك ندبة فيه ربما.

ازداد احتـــرام بيلي لعدوه إلى درجة أنه لم يتوقع ارتكاب الرجل لأخطاء، على الأقل لأخطاء كبيرة.

جلس بيلي، امتدّ الألم عبر حاجبه، ومرة جديدة حين نهض على قدميه.

وقـــف مـــتمايلاً، مراقباً مرأب السيارات. لقد رحل من اعتدى عليه.

عالـــياً في الـــسماء، ثمة مجموعة من النجوم المتحركة، مع أضواء طائـــرة متجهة إلى الغرب. إنها ربما طائرة عسكرية متوجهة إلى منطقة حربية، منطقة حربية أخرى مختلفة عن تلك الموجودة هنا في الأسفل.

فتح باب السائق في سيارة الإكسبلورر.

انتـــشر الـــزجاج المحطم على المقعد. رفع علبة مناديل عن لوحة السيارة واستخدمها لكشط فتات الزجاج عن المقعد.

فتش عن الورقة التي تم لصقها بقضيب عجلة القيادة. لا شك في أن القاتل أخذها.

عثـــر على المفتاح تحت دواسة المكابح. رفع المسدس عن الأرضية أمام المقعد الذي قرب السائق.

تم الـــسماح لـــه بالاحتفاظ بالمسدس للعبة القادمة، لم يخف منه المعتدي.

كشفت المادة التي تم رشها على وجه بيلي- كلوروفورم أو مادة مخـــدرة أخـــرى - عن تأثير مستمر. فقد شعر بالدوار عندما انحنى إلى الأمام.

وراء عجلة القيادة، فيما الباب مغلق، ومحرك السيارة قيد العمل، خشي ألا يتمكن من القيادة.

شغّل مكيف الهواء، ووجه الهواء البارد إلى وجهه.

فـــيما قـــيّم حال دواره السريع الزوال، انطفأت الأنوار الداخلية بصورة تلقائية، أعاد بيلي تشغيلها مرة جديدة.

أحـــنى المرآة الخلفية لفحص وجهه، بدا مثل شرير مرسوم: أحمر داكـــن، لكن الأسنان ساطعة، أحمر داكن، وبياض العينين أبيض على نحو غير طبيعي.

عندما عدّل وضعية المرآة مجدداً، رأى مرة جديدة مصدر الألم.

رؤية الجرح لا تعني فوراً تصديقه، فضل الاعتقاد أن الدوار الناجم عن المخدّر قد يكون مصحوباً بهلوسة.

أغمـــض عينيه، وأخذ نفساً عميقاً مرات عدة متتالية، حاول أن يحـــذف من عقله الصورة التي رآها في المرآة، وأمل في ألا يرى الشيء نفسه عندما ينظر إلى المرآة مجدداً.

لم يتغير أي شيء. عبر جبينه، وعلى مسافة إنش واحد تحت خط الشعر، رأى ثلاث صنانير معقوفة كبيرة ثقبت لحمه.

نتأ طرف وشوكة كل صنارة من تحت الجلد، نتأ الساق أيضاً، أما القسم المنحني من كل صنارة فبقي تحت الجلد الرقيق لحاجبه.

ارتجف ونظر بعيداً عن المرآة.

هناك أيام شك، وفي أغلب الأحيان ليالٍ موحشة، يتساءل فيها الأشد خشوعاً إذا كان يستحق التواجد في المملكة العظيمة بدل هذه الأرض، وإذا كان سيعرف الرحمة، أو إنه بدل ذلك مجرد حيوان مثل أي حيوان آخر، لا يرث أي شيء سوى الريح والظلمة.

إنها ليلة من هذه الليالي بالنسبة إلى بيلي، لقد عرف لياليَ أخرى مثلها، تراجع الشك دوماً، قال لنفسه إنه سيتراجع مجدداً، بالرغم من أنه كان أكثر برودة هذه المرة وبدا واثقاً من أنه سيترك علامة أكبر.

في البداية، بدا القاتل كأنه لاعب يعتبر القتل رياضة، إلا أن صنانير الصيد في الجبين ليست مجرد خطوة في اللعبة؛ وليست هذه لعبة.

بالنسبة إلى القاتل، هذه الجرائم هي شيء أهم من القتل، لكنها ليست شكلاً من أشكال الشطرنج أو رديف لعبة الورق، أصبح للقتل معنى رمزي بالنسبة إليه، وهو ينجزه بهدف أكثر حدية من التسلية، يملك هدفاً غامضاً وراء القتل نفسه، هدفاً يسعى إلى إنجازه.

إذا كانت *لعبة* كلمة غير صحيحة، يحتاج بيلي إلى إيجاد الكلمة الصحيحة، وإلى أن يعرف الكلمة الصحيحة، لن يفهم القاتل أبداً، ولن يعثر عليه.

بمنديل ورقي، مسح برفق الدم المتجمد عن حاجبيه، ومسح معظمه عن جفنيه وأهدابه.

رؤية صنانير الصيد أوضحت تفكيره، لم يعد يشعر بالدوار.

تحتاج جروحه إلى الانتباه، أشعل المصابيح الأمامية للسيارة، وخرج من مرأب سيارات دار العبادة.

مهما كان الهدف النهائي للقاتل، ومهما كانت الرمزية التي أرادها من صنانير الصيد، فإنه أمل حتماً في إرسال بيلي إلى طبيب. سيطلب الطبيب تفسيراً للصنانير، ويمكن لأي جواب من بيلي أن يعقّد وضعه.

إذا قال الحقيقة، سيربط نفسه بقتل جيزيل وينسلو ولاني أولسن. سيكون المشتبه به الرئيس، من دون الأوراق الثلاث، لا يستطيع توفير أي دليل على وجود القاتل.

لن تعتبر السلطات الرسمية صنانير الصيد بمثابة دليل موثوق، وإنما ستتساءل إذا كان هذا شكلاً من أشكال التعذيب الذاتي، فالجرح الذاتي هو خطة يستخدمها المجرمون أحياناً لجعل أنفسهم يبدون ضحايا ويبعدون بالتالي الشبهات عنهم.

يعرف المواقف الساخرة التي يتخذها بعض رجال الشرطة حيال جروحه الغريبة والمثيرة، وإنما السطحية، يعرفها تماماً.

بالإضافة إلى ذلك، يصطاد بيلي السمك في المياه العذبة، إنه يصطاد أسماك الترويت وذئب البحر. وهذه الصنانير الكبيرة هي بالحجم الضروري لصيد أسماك ذئب البحر الكبيرة في حال استعمال طعم حيّ بدل الشرك، في علبة معدات الصيد في المنزل، توجد صنانير مطابقة لتلك التي تمتص الآن دمه.

لا يجرؤ على الذهاب إلى طبيب، عليه أن يكون طبيب نفسه.

عند الساعة 3:30 بعد منتصف الليل، انطلق على الطريق الريفي وحيداً، كان الليل ساكناً، لكن سيارته الرباعية الدفع ولّدت هواءها الذي دخل بقوة عبر النافذة المحطمة، أمام المصابيح الأمامية للسيارة، بقيت الكروم المسطحة وكروم الهضاب والمرتفعات المكسوة بالأشجار مألوفة بالنسبة إلى عينيه، ولكن ميلاً بعد ميل، أصبحت غريبة على قلبه مثل أرض قاحلة غريبة.

القسم الثاني

هل أنت مستعد لجرحك الثاني؟

الفصل 17

في شـــهر فبراير، بعد استئصال ضرس مع جذوره ملتصق بعظم الفـــك، وصـــف الطبيب لبيلي مسكناً للألم، فيسودين، استخدم فقط قرصين من الأقراص العشرة.

أشارت اللصيقة الصيدلانية إلى أنه يجب تناول الدواء مع الطعام، لم يتناول العشاء، وليست لديه أي شهية.

يحـــتاج لأن يكـــون الدواء فعالاً، أخرج من البراد طبقاً من بقايا اللازانيا المنـــزلية الصنع.

بالـــرغم مـــن أن الجروح في حاجبه مقفلة بالدم المتخثر وتوقف النـــزف، استمر الألم بقوة وزاد من صعوبة التفكير المتناسق، قرر عدم تأخير الدقائق القليلة الضرورية لتسخين الطبق في المايكروويف، وضعه بارداً على طاولة المطبخ.

ثمـــة لـــصيقة وردية على علبة الدواء تحذر من استهلاك الشراب خـــلال تـــناول مسكنات الألم، هراء، لا ينوي قيادة سيارة أو تشغيل معدات ثقيلة خلال الساعات القليلة التالية.

وضـــع القرص وشوكة اللازانيا في فمه، ثم شرب جرعة من شراب شعير دانماركي نسبة تركيز المادة فيه أعلى من بقية أنواع شراب الشعير.

فـــيما تناول الطعام، فكّر في معلمة المدرسة الميتة، في لاني الجالس على كرسيه في غرفة النوم، وفي ما قد يفعله القاتل لاحقاً.

لا تـــساعد هذه الأفكار على تحفيز الشهية أو الهضم، يتعذر إنقاذ المعلمة ولاني، ولا يمكن أبداً معرفة الخطوة التالية للقاتل.

فكّـــر بـــدل ذلك في باربارة ماندل، ولاسيما في باربارة مثلما كانـــت، ولـــيس كمـــا هي الآن في وايسبرينغ باينـــز، أفضت هذه الذكريات إلى اللحظة، وبدأ يقلق بشأن ما قد يحصل لها إذا مات هو.

تذكـــر المغلف المربع الصغير الذي تركه طبيبها، أخرجه من جيبه وفتحه.

كـــان اســـم الدكتور جوردان فيرييه محفوراً على الجهة الأمامية للبطاقة القشدية اللون، لديه خط يدوي دقيق: *عزيزي بيلي، عندما تبدأ بتوقيت زياراتك إلى باربارة بهدف تفادي رؤيتي خلال جولاتي العادية، أعـــرف أن الوقت قد حان لمراجعتنا الدورية لحالها. اتصل من فضلك بعيادتي لتحديد موعد.*

تصبب العرق عن قنينة شراب الشعير الدانماركية، استخدم بطاقة الدكتور فيرييه بمثابة واقٍ لحماية الطاولة.

قال بيلي: "لماذا لا تتصل *أنت* بعيادتي لتحديد موعد".

كان الطبق نصف ممتلئ باللازانيا، بالرغم من أنه لم يملك الشهية، تناول كل شيء، بحيث وضع الطعام في فمه ومضغه بقوة، وأكل كما لو أن الأكل يمكن أن يشبع الغضب بسهولة مثلما يشبع الجوع.

في النهاية، تضاءل الألم قليلاً في جبينه.

ذهب إلى عدة الصيد في المرأب، أخرج من علبة المعدات كماشة صغيرة لها حافة قاطعة للأسلاك.

في المنـــــزل مجدداً، بعد إغلاق الباب الخلفي، ذهب إلى الحمام، حيث تأمل وجهه في المرآة، لقد جفّ قناع الدم، بدا مثل أحد السكان الأصليين للجحيم.

لقـــد غرز القاتل الصنانير الثلاث بعناية، يبدو أنه حاول إحداث أقل ضرر ممكن.

بالنسبة إلى الشرطة المشككة، يدعم هذا الورم نظرية أن تكون هذه الجروح ذاتية الصنع.

برز طرف الصنارة وشوكها في طرف، وفي الطرف الآخر، ثمة عروة يمكن لصق الطعم بها. إن شدّ الشوك أو العروة عبر الفتحة في اللحم سيؤدي إلى تمزق اللحم أكثر فأكثر.

استخدم الكماشة لفصل العروة عن الصنارة، بين الإبهام والسبابة، قرص طرف الشوك واستخرج ساق الصنارة.

بعدما استخرج الصنانير الثلاث، استحم بماء ساخن جداً بقدر ما استطاع تحمله.

بعد الحمام، طهّر الجروح قدر المستطاع عبر فركها بالشراب ومن ثم ببيروكسيد الهيدروجين. بسط عليها النيوسبورين وغطى الجروح بقطع شاش وثبتها بشريط لاصق.

عند الساعة 4:27، حسب الساعة الموضوعة على المنضدة الليلية، خلد بيلي إلى السرير، سرير مزدوج مع وسادتين. وضع رأسه على وسادة طرية، فيما وضع المسدس القاسي تحت الوسادة الأخرى.

لا تجعل الحكم قاسياً جداً علينا...

فيما أغمض جفناه لوحدهما بفعل ثقلهما، رأى باربارة وشفتيها الشاحبتين تلفظان عبارات غير مفهومة.

أريد أن أعرف ماذا يقول، البحر، ما الذي يستمر في قوله.

غفا قبل أن تصل الساعة إلى منتصف الساعة.

في حلمه، استلقى في غيبوبة، عاجزاً عن التحرك أو التكلم، لكنه كان مدركاً للعالم المحيط به. أطباء بمآزر بيضاء وأقنعة تزلج سوداء، يعملون على لحمه بسكاكين فولاذية، ينحتون مجموعة من الأوراق المبللة بالدم.

ألم منــبعث، كلــيل وإنما مستمر، أيقظه عند الساعة 8:40 من صباح يوم الأربعاء.

في البداية، لم يستطع تذكر ما هي الكوابيس التي حلم بها وما هي الكوابيس الحقيقية، ثم استطاع.

أراد حــبة فيسودين أخرى، إلا أنه أخذ بدلاً من ذلك حبتين من الأسبيرين في الحمام.

أراد تناول الأسبيرين مع عصير البرتقال، فذهب إلى المطبخ، أهمل وضــع الطبق، الملطخ برواسب اللازانيا، في المجلى، لا تزال قنينة شراب الشعير الفارغة على بطاقة الدكتور فيرييه.

دخل ضوء الصباح الغرفة، تم رفع الستائر، كانت الستائر مسدلة عندما خلد إلى السرير.

وجد على البراد ورقة مطوية، إنها الرسالة الرابعة من القاتل.

الفصل 18

كـــان واثقاً تماماً أنه أقفل الباب الخلفي عندما عاد من المرأب مع الكماشة، لكن القفل بات مفتوحاً الآن.

خـــرج إلى المصطبة، وراقب الغابة الغربية، بضع شجرات بقّ في المقدمة، وأشجار صنوبر في الخلف.

غطت شمس الصباح كل ظلال الأشجار في الغابة، وتغلغلت عبر تلك القاتمة من دون أن تنيرها كثيراً.

فـــيما جـــال بنظره عبر الغابة الخضراء، محاولاً إبعاد نور الشمس المباشر عن عدسات منظاره، رأى حركة، أشكالاً غامضة تحركت بين الأشـــجار، رشيقة بقدر ظلال العصافير الطائرة، مرقطة بضعف عندما سفعتها أشعة الشمس.

سيطر إحساس بالانـــزعاج على بيلي، ثم خرجت الأشكال من بين الأشجار، كانت مجرد أيائل: ظبـــي وظبيتان وصغير ظبـــي.

ظـــن أن شـــيئاً ما دفعها على الأرجح إلى الغابة، لكنها اقتربت بضعة ياردات فقط من المرج قبل أن تتوقف، كانت هادئة مثل الأيائل في مكان مفعم بالجمال، وراحت ترعى العشب الطري.

عـــاد إلى المنـــزل، وترك الأيائل تتناول فطورها، فأقفل بيلي الباب الخلفـــي بالرغم من أنه لم يعد يثق كثيراً في القفل، إذا كان القاتل لا يملك مفتاحاً، فإنه يملك حتماً آلات لفتح الأقفال وهو خبير في استعمالها.

تـــرك بيلي الورقة على حالها، وفتح البراد، أخرج عبوة من عصير البرتقال.

فـــيما شرب العصير من العبوة الكرتونية، مبتلعاً حبّتيّ الأسبيرين، حدّق إلى الورقة الملصقة على البراد، لم يلمسها.

وضـــع قطعتين من المافن الإنكليزي في جهاز التحميص، وعندما أصـــبحتا هـــشتين، بسط عليهما زبدة الفول السوداني وتناولهما أمام طاولة المطبخ.

إذا لم يقـــرأ الـــورقة أبداً، إذا أحرقها في حوض غسل الصحون، وأنـــزل الرماد عبر البالوعة، سيخرج نفسه من اللعبة.

المشكلة الأولى في هذه الفكرة هي نفسها التي أنّبت ضميره قبلاً: عدم التصرف يعتبر خياراً.

المـــشكلة الثانية هي أنه أصبح هو نفسه ضحية اعتداء، وتم وعده بالمزيد.

هل أنت مستعد لجرحك الأول؟

لم يـــضع القاتـــل سطراً تحت كلمة *الأول*، لكن بيلي فهم مكان التشديد، بالرغم من عيوبه، لا يعتبر التضليل الذاتي أحدها.

إذا لم يقرأ الورقة، إذا حاول تجاهلها، سيكون أقل قدرة على تخيل مـــا قـــد يحصل، عندما وقع الفأس عليه، لم يستطع حتى سماع النصل يقطع الهواء فوق رأسه.

بالإضافة إلى ذلك، لم تكن هذه لعبة أبداً بالنسبة إلى القاتل، وهذا أمر أدركه بيلي الليلة الماضية، إذا أنكر بيلي اللعب معه، لن يحمل القاتل أغراضـــه ببساطة ويعود إلى المنـــزل، سيعتبر ذلك طريقة لتنفيذ ما في عقله.

يودّ بيلي نحت أوراق خشبية.

أراد العمل على أحجية كلمات متقاطعة، إنه بارع فيها.

غـــسل الثياب، عمل في الفناء الخلفي، نظف أوساخ المطر، طلى

صـــندوق الـــبريد؛ يـــستطيع إلهاء نفسه في الواجبات السخيفة للحياة اليومية، والانهماك فيها.

أراد العمـــل في المشرب، ترك الساعات تمرّ في سلسلة من المهام المتكررة والأحاديث التافهة.

كـــل الغموض الذي يحتاج إليه، وكل الدراما، موجودان في زياراته إلى وايـــسبرينغ باينـــز، في الكلمات المحيرة التي تلفظها باربارة أحياناً وفي اعتقاده الدائم أنه يوجد أمل لها، لا يحتاج إلى المزيد، لا يملك شيئاً أكثر.

لم يكـــن يملك شيئاً أكثر إلا عند حصول *هذا*، وهو أمر لا يحتاج إليه ولا يريده؛ لكنه لا يستطيع الهروب منه.

بعـــدما انتهـــى من تناول المافن، أخذ الطبق والسكين إلى المجلى، غسلهما وجففهما ووضعهما بعيداً.

في الحمـــام، نـــزع الضمادة عن جبينه، مزقته كل صنارة مرتين، بدت الوخزات الست حمراء وملتهبة.

غـــسل الجروح برفق، ثم أعاد مسحها ببيروكسيد الهيدروجين، والنيوسبورين. وضع ضمادة جديدة.

كـــان حاجـــبه بارداً عند اللمس، لو كانت الصنارة متسخة، لما أمكن الحؤول دون الالتهاب بإجراءاته الوقائية، خصوصاً وأن الصنانير كشطت العظم.

إنـــه بمنأى عن الكزاز، قبل أربعة أعوام، فيما كان يجدد المرأب لإعداد محترف لنحت الخشب فيه، تعرض لجرح عميق في يده اليسرى، مـــن مفصّلة جعلها الصدأ هشة وحادة. تلقى حينها جرعة من اللقاح المضاد للكزاز، لا يقلقه الكزاز، لن يموت من الكزاز.

لن يموت أيضاً من الجروح الملتهبة من الصنانير، لا يجدر به شغل باله بهذا الأمر وإلهاء نفسه عن المخاطر الكبيرة والحقيقية.

في المطـــبخ، نــــــزع الـــورقة عن البراد، سحقها في قبضة يده، وأخذها إلى سلة المهملات.

لكن بدل رمي الورقة، فتحها على الطاولة وقرأها:

ابــقَ فــي المنـــــزل هذا الصباح، سيأتي شريك لي لرؤيتك عند الساعة 11:00. انتظره على المصطبة الأمامية.
إذا لم تبقَ في المنـــزل، سأقتل ولداً.
إذا أبلغتَ الشرطة، سأقتل ولداً.
تبدو غاضباً جداً، ألم أمدّ لك يد الصداقة؟ بلى، فعلت.

شـــريك! هـــذه الكلمـــة أقلقت بيلي، لم تعجبه الكلمة على الإطلاق.

في حـــالات نادرة، يعمل المرضى الاجتماعيون المهووسون بالقتل بأزواج، يطلق عليهم رجال الشرطة اسم *زملاء القتل*، خانق الهضبة في لـــوس أنجلـــوس تبيّن أنه واحد من اثنين، القنّاص في واشنطن العاصمة كان رجلين.

عائلة مانسون كان فيها أكثر من شخصين.

يمكـــن لـــنادل بـــسيط أن يأمل منطقياً في الحصول على أفضل مهووس اجتماعي عديم الشفقة، ولكن ليس اثنين.

لم يفكـــر بيلـــي في الذهاب إلى الشرطة، أثبت القاتل مرتين أنه صادق في كلامه. إذا لم يطعه، سيقتل ولداً.

في هذه الحال، على الأقل، ثمة خيار مفتوح أمامه لا ينطوي على اختيار أحد للموت.

بالـــرغم من أن الأسطر الخمسة الأولى من الورقة كانت صريحة، فإن معنى السطرين الأخيرين لا يمكن تفسيره بسهولة.

ألم أمدّ لك يد الصداقة؟ بلى، فعلت.

السخرية واضحة. لاحظ بيلي أيضاً نوعاً من السخرية المهينة التي توحـــي أن المعلومات المعروضة هنا ستكون مفيدة له فقط إذا استطاع فهمها.

لم يحـــصل علـــى الوضوح عند إعادة قراءة الرسالة ست مرات، ثماني، لا بل عشر مرات، حصل فقط على الإحباط.

مع هذه الورقة، يملك بيلي دليلاً مجدداً، بالرغم من أن هذا الدليل لا يوحي بالكثير ولن يؤثر في الشرطة، لكنه صمم على إبقائه في أمان.

في غـــرفة الجلوس، راقب مجموعة الكتب. في الأعوام الأخيرة، لم تصلح هذه الكتب لشيء إلا لإزالة الغبار عنها.

اخـــتار كـــتاب **في زماننا**. وضع ورقة القاتل بين صفحة الحقوق وصفحة الإهداء، وأعاد الكتاب إلى الرف.

فكّر في لاني أولسن جالساً ميتاً في كرسي مع رواية مغامرة في حضنه.

في غرفة النوم، أخرج مسدس سميث وويسون عيار 0.38 ملم من تحت الوسادة.

عـــندما حمـــل المسدس، تذكر كيف كان عندما أفرغه، أرادت الماســـورة العمـــل مجدداً، تصلب المقبض الخلفي على لحم راحة اليد، وانـــتقل الارتداد عبر عظام اليد والذراع، وتحرك باضطراب في النخاع العظمي، مثلما تتحرك السمكة في الماء.

في درج المنـــضدة الـــزينية، ثمة علبة مفتوحة من الذخيرة. وضع ثلاث خراطيش في كل واحدة من الجيوب الأمامية لسترته.

بدت هذه ضمانة كافية، أياً يكن الآتي، لن تكون حرباً، ستكون عنيفة وخبيثة، وإنما وجيزة.

رتّـــب شراشف السرير، بالرغم من أنه لا يستعمل غطاء، رتب الوسادتين وأقحم الشرشف تحت الفراش بحيث بدا السرير مرتباً تماماً.

عـــندما رفع المسدس عن المنضدة الليلية، لم يتذكر فقط الارتداد وإنما كيف يكون أيضاً قتل رجل.

الفصل 19

أجـــاب جاكي أوهارا على هاتفه الخلوي المزود برقم يستخدمه أحياناً عندما يعمل وراء المشرب. "كيف أستطيع أن أخدمكم؟".

"سيدي، هذا أنا بيلي".

"هـــاي، بيلي، هل تعرف عما كانوا يتحدثون في المشرب الليلة الماضية؟".

"الرياضة؟".

"صحيح. اللعنة، لسنا مشرباً للرياضة هنا".

نظر بيلي عبر نافذة المطبخ نحو المرج الذي اختفت وراءه الأيائل، وقال: "آسف".

"الرجال في المشارب الرياضية، لا يعني لهم الشرب أي شيء".

"هذه طريقة للرقي".

"هـــذا صـــحيح، يدخنون القليل من السجائر أو يشربون حتى القهوة، لسنا مشرب رياضية هنا".

بمـــا أنـــه سمع ذلك قبلاً، حاول بيلي تغيير الحديث: "بالنسبة إلى زبائننا، الشرب هو نوع من الاحتفال".

"أبعد من الاحتفال، إنه طقس، احتفال مهيب، نوع من سرّ مبجل. ليس بالنسبة إليهم جميعاً، وإنما بالنسبة إلى معظمهم، إنه *عشاء سري*".

"حسناً. هل كانوا يتحدثون عن كرة القدم؟".

"يـــا لـــيت، أفضل الأحاديث كانت في ما مضى عن كرة القدم، والصحون الطائرة، وقارة أتلانتس الضائعة، وما حصل للديناصورات...".

قاطعه بيلي: "... وما يوجد في الجانب المظلم من القمر، ووحش لوتش نيس، وكفن تورين...".

تابـــع جاكي: "...والأشباح، ومثلث برمودا، وكل تلك الأمور الكلاسيكية. لكن الحديث لم يعد هكذا هذه الأيام".

اعترف بيلي: "أعرف".

"كانوا يتحدثون عن أولئك الأساتذة في هارفارد ويال وبرنستون، أولـــئك العلمـــاء الذين يقولون إنهم سيستخدمون الاستنساخ والخلايا الجذعية والهندسة الوراثية لابتكار عرق أكثر تفوقاً".

قال بيلي: "أذكى وأسرع وأفضل منا نحن".

قـــال جاكـــي: "أفـــضل كثيراً منا نحن، لن يكونوا بشراً على الإطلاق. ظهر أولئك العلماء في *التايمز* أو *النيوزويك* يبتسمون وكانوا فخورين بأنفسهم".

قال بيلي: "يقولون إنه مستقبل ما بعد البشر".

تساءل جاكي: "ماذا يحصل لنا عندما يتم تجاوزنا؟ سباق تفوق؟ ألم يسمع أولئك الرجال بهتلر؟".

قال بيلي: "يظنون أنهم مختلفون".

"ألا يملكـــون مـــرايا؟ بعض المغفلين يستخدمون الجينات البشرية والحيوانية لابتكار... *أشياء* جديدة. يريد أحدهم ابتكار حيوان مقزز له دماغ بشري".

"يا لها من فكرة".

"لا تقـــول المجلـــة لماذا حيوان مقزز، كما لو أن الأمر بديهي لماذا تم اختـــيار حيوان مقزز بدل هرة أو بقرة أو سنجاب. بالله عليك بيلي، أليس صـــعباً كفايـــة وجود دماغ بشري في جسم بشري؟ أي نوع من العالم السيئ الشرير سيكون بوجود دماغ بشري في جسم حيوان مقزز؟".

قال بيلي: "لن نحيا ربما لرؤية ذلك".

"بلـــى، إلا إذا كنت تنوي الموت غداً، أحببت الحديث عن كرة القدم أكثر، أحببت الكلام عن مثلث برمودا والأشباح أكثر، الآن، هذا الجنون حقيقي".

قـــال بيلي: "لقد اتصلت بك لأبلغك أنني لا أستطيع الذهاب إلى العمل اليوم".

سأل جاكي بقلق حقيقي: "هاي، ماذا، هل أنت مريض؟".

"أشعر بالغثيان".

"لا يبدو وكأنك مصاب بالزكام".

"لا أظن أنه زكام، إنها مشكلة في المعدة".

"في بعض الأحيان، يبدأ زكام الصيف بهذه الطريقة، من الأفضل أن تأخذ الزنك، هناك هلام الزنك الممكن بسطه على الأنف. إنه مجدٍ فعلاً. إنه يوقف الزكام".

"سأحضر بعضاً منه".

"فات الأوان لتناول الفيتامين C. كان يجدر بك تناول ذلك قبلاً".

"سأحـــضر بعـــض الزنك، هل اتصلت باكراً جداً، هل أغلقت المشرب شخصياً الليلة الماضية؟".

"لا. ذهـــبت إلى المنـــزل عند العاشرة مساء. كل ذلك الحديث عن الحيوانات المقززة مع أدمغة بشرية جعلني أشعر برغبة قوية للذهاب إلى المنـــزل".

"تولى إذاً ستيف زيليس الإغلاق؟".

"نعم. إنه شاب يمكن التعويل عليه. ذلك الحديث الذي أخبرتك عنه، أتمنى لو أنني لم أفعل، إذا أراد فرم العارضات البلاستيكية والبطيخ في الفناء الخلفي لمنـــزله، فإن هذا من شأنه، طالما أنه ينجز عمله".

لــيلة الثلاثاء تكون غالباً بطيئة في المشارب، وإذا كان الازدحام خفــيفاً، يفضل جاكي إغلاق المشرب قبل موعد الإغلاق الاعتيادي، أي الساعة الثانية بعد منتصف الليل. فمشرب مفتوح مع عدد قليل من الزبائن أو لا زبائن على الإطلاق في ساعات الليل المتأخرة يكون مغرياً للسرقة والقتل، ما يضع الموظفين في خطر.

سأل بيلي: "ليلة مزدحمة؟".

"قـــال ســـتيف إنـــه بعد الحادية عشرة، بدا وكأن العالم انتهى. تـــوجب علـــيه فـــتح الباب الأمامي والنظر إلى الخارج للتأكد من أن المشرب لم ينتقل إلى القمر أو إلى مكان آخر، أطفأ الأنوار قبل منتصف الليل، الحمد لله أنه لا يوجد يوما ثلاثاء في الأسبوع".

قال بيلي: "يحب الناس تمضية بعض الوقت مع عائلاتهم، هذه هي لعنة المشرب العائلي".

"أنت رجل مضحك، أليس كذلك؟".

"ليس عادة".

قـــال جاكي: "إذا وضعت هلام الزنك على أنفك و لم تشعر بأي تحـــسن، عاود الاتصال بـــي، وسأخبرك عن مكان آخر يمكنك وضعه عليه".

"أظن أنك كنت لتصبح رجل دين جيداً. حقاً".

"سلامتك، حسناً؟ يشتاق إليك الزبائن حين تكون غائباً".

"حقاً؟".

"ليس تماماً، لكنهم لا يقولون على الأقل إنهم مسرورون لغيابك".

في مثل هذه الظروف، وحده جاكي أوهارا استطاع رسم ابتسامة على وجه بيلي وايلز.

أقفل الخط، نظر إلى ساعته، العاشرة وواحد وثلاثون دقيقة.

سيصل *الشريك* إلى هنا خلال أقل من نصف ساعة.

إذا غـــادر ستيف زيليس المشرب قبل منتصف الليل، يكون لديه الكـــثير مـــن الوقت للذهاب إلى منـــزل لاني، وقتله، ونقل الجثة إلى الكرسي في غرفة النوم الرئيسة.

إذا كـــان بيلي يقيّم المشتبه بهم، فإنه يضع احتمالات كبيرة على ستيف، إلا أنه يتردد في ذلك أحياناً.

الفصل 20

على المصطبة الأمامية، هناك كرسيان هزازان مع وسادتين باللون الأخضر الداكن، نادراً ما يحتاج بيلي إلى الكرسي الآخر.

هـــذا الصباح، ارتدى قميصاً قطنياً باللون الأبيض وسروالاً من الكـــتان، وجلـــس على الكرسي البعيد عن درجات المصطبة، لم يهزّ الكرسي، جلس بهدوء تام.

ثمة طاولة صغيرة وراءه، على الطاولة، وعلى طبق من الفلين، ثمة كوب من الكولا.

لم يـــشرب أي شيء من الكولا، أحضرها لمجرد إبعاد الانتباه عن علبة البسكويت المملح.

لا تحتوي العلبة على أي شيء باستثناء المسدس. قطع البسكويت الوحيدة هي كدسة من ثلاث موضوعة على الطاولة، قرب العلبة.

كـــان الـــنهار صافياً وساطعاً وحاراً وجافاً جداً لإرضاء مزراعي الكروم، لكنه جيد بالنسبة إلى بيلي.

مـــن المـــصطبة، بـــين أشجار الأرز، استطاع رؤية ممر طويل في الطريق الريفي يمتد نحو هذا المنـــزل وأبعد منه.

لا تـــوجد الكـــثير من السيارات على الطريق، تعرّف إلى بعض السيارات، لكنه لا يعرف من تخص.

تلألأ فوق الزفت المحروق من الشمس السراب في عزّ النهار.

عند الساعة 10:53، ظهر شخص في البعيد، آتياً على قدميه، لم يتوقع بيلي أن يأتي الشريك باكراً للاجتماع، افترض أنه ليس هو.

في البداية، بدا الرجل مثل سراب، فقد شوّهته حرارة الصيف، وجعلته يبدو مثل انعكاس على الماء، بدا للحظة وكأنه تبخر ثم عاد للظهور مجدداً.

في الضوء الساطع، بدا طويلاً ونحيلاً، نحيلاً على نحو غير طبيعي، كما لو أنه جرى تعليقه مؤخراً على خشبة في حقل ذرة، محدقاً إلى العصافير بعينين بلاستيكيتين.

انعطف عن الطريق الريفي ومشى في الممر، ثم ترك الممر ومشى على العشب، وعند الساعة 10:58 وصل أمام درج المصطبة.

سأل: "سيد وايلز؟".

"نعم"

"أعتقد أنك تنتظرني".

يملك الصوت الخشن والفظ لرجل نقع حنجرته في الشراب الاسكتلندي وطهاها ببطء على دخان السجائر.

سأل بيلي: "ما اسمك؟".

"رالف كوتل، سيدي".

ظن بيلي أنه سيتم تجاهل السؤال، لو أراد الرجل استخدام اسم مزيف، لكان جون سميث جيداً كفاية. بدا اسم *رالف كوتل* حقيقياً.

كان كوتل نحيلاً جداً مثلما بدا من بعيد في الحرارة القوية، ولكنه لم يكن طويلاً جداً، بدا عنقه الهزيل كما لو كان سينكسر بفعل وزن رأسه.

انتعل حذاء رياضياً أبيض اللون أصبح داكناً بفعل الزمن والوسخ، البذلة البنية الصيفية اللامعة بالبقع والمكشكشة عند أطراف الكمّين بدت عليه فضفاضة كما لو أنها معلقة على محمل خشبي، قميصه المصنوع من البوليستر كان بالياً، ملطخاً بالبقع، ومفتقداً إلى زر.

إنها أسوأ ملابس من أرخص متجر، ويبدو أنه يملكها منذ زمن بعيد جداً.

"سيد وايلز، هل أستطيع الوقوف في الظل؟".

واقفاً عند أسفل درج المصطبة، بدا كوتل كما لو أن ضوء الشمس سيجعله ينهار، بدا ضعيفاً جداً ليشكل خطراً، لكن لا يمكن المعرفة أبداً.

قال بيلي: "ثمة كرسي لك".

"شكراً لك سيدي، أقدّر لطافتك".

توتر بيلي فيما صعد كوتل الدرج، وإنما استرخى قليلاً عندما جلس الرجل في الكرسي الآخر.

لم يهزّ كوتل الكرسي أيضاً، كما لو أن تحريك الكرسي هو مهمة متعبة لا يريد خوضها.

سأل: "سيدي، هل تمانع إذا دخنت؟".

"نعم، أمانع".

"أفهم. إنها عادة سيئة".

أخرج كوتل من جيب داخلي في السترة قنينة شراب صغيرة وفتح غطاءها، ارتجفت يداه النحيلتان، لم يسأل إذا كانت هناك مشكلة في الشرب، ارتشف القليل من الشراب.

يبدو أنه يملك سيطرة كافية على توقه إلى النيكوتين للتحلي بالتهذيب في هذا الموضوع، لكن من جهة أخرى، يخبره الشراب متى يحتاج إليه، ولا يستطيع تجاهل صوته السائل.

شك بيلي في أن تكون قنان أخرى من الشراب موضوعة في جيوب أخرى، مع سجائر وكبريت، وربما القليل من المخدرات، يبرر ذلك سبب ارتداء بذلة في حرارة الصيف: ليست مجرد ملابس وإنما هي أيضاً مخبأ لأغراضه المتنوعة.

لم يـــبدّل الـــشراب لون وجهه، كانت بشرته داكنة أصلاً بفعل الشمس وحمراء نتيجة شبكة معقدة من الشرايين الصغيرة المنفجرة.

سأل بيلي: "كم مشيت؟".

"فقط من مفترق الطرقات. أوصلتني السيارة إلى هناك".

لا بـــد أن بيلي بدا مشككاً في الأمر لأن كوتل أضاف: "هناك الكثير من الأشخاص الذين يعرفونني في هذه النواحي، يعرفون أنني غير مؤذٍ، مهملاً وإنما لست قذراً".

في الواقـــع، بدا شعره الأشقر نظيفاً، وإنما غير ممشط. حلق أيضاً وجهه الصلب كفاية لمقاومة الخدوش حتى لو أمسكت بالشفرة يد غير ثابتة.

يصعب تحديد عمره، قد يكون في الأربعين أو الستين، ولكن ليس في الثلاثين أو السبعين.

"إنه رجل سيئ جداً، سيد وايلز".

"من؟".

"الرجل الذي أرسلني".

"أنت شريكه".

"لست أكثر من حمار".

"شريك؛ هذا ما قاله عنك".

"هل أبدو مثل حمار أيضاً؟".

"ما اسمه؟".

"لا أعرف، لا أريد أن أعرف".

"كيف هو شكله؟".

"لم أرَ وجهه. أتمنى ألا أفعل ًأبداً".

قال بيلي: "قناع تزلج؟".

"نعـــم ســـيدي، وعينان باردتان عبره مثل عينيّ الأفعى". ارتجف صوته بالترافق مع رجفة في يديه، ووضع القنينة على فمه مجدداً.

سأل بيلي: "ما لون عينيه؟".

"بـــدتا لي صـــفراوين مثل صفار البيض، لكن نور المصباح كان فيهما".

متذكـــراً اللقاء في مرأب سيارات دار العبادة، قال بيلي: "لم يكن هناك ضوء كثير لأرى اللون... وإنما رأيت فقط لمعاناً قوياً".

"أنا لست رجلاً سيئاً، سيد وايلز، لست مثله، أنا ضعيف".

"لماذا أتيتَ إلى هنا؟".

"المـــال أولاً، دفـــع لي مئة وأربعين دولاراً، كلها من فئة العشرة دولارات".

"مئة وأربعون؟ ماذا، هل ساومته على أكثر من مئة؟".

"لا، سيدي. إنه المبلغ الذي عرضه؛ قال إنها عشرة دولارات لكل سنة من براءتك، سيد وايلز".

حدّق إليه بيلي بصمت.

كانـــت عينا رالف كوتل تومضان قبلاً ربما باللون الأزرق. لقد أدى الـــشراب إلى خـــبو لـــونهما، لأنهما كانتا باللون الأزرق الأكثر شحوباً الذي رآه بيلي في حياته، الأزرق الفاتح في أعلى السماء حيث لا يوجد هواء كاف لتوفير اللون الغني وحيث لا يمكن إخفاء الفراغ.

بعد برهة، أبعد كوتل عينيه، ونظر إلى الفناء، إلى الأشجار والطريق.

ســـأل بيلـــي: "هل تعرف ماذا يعني ذلك؟ أربع عشرة سنة من براءتي؟".

"لا، سيدي. وليس هذا من شأني. أرادني فقط أن أخبرك بذلك".

"قلت إن المال هو أحد الأسباب. ما هو السبب الآخر؟".

"سيقتلني إذا لم آتِ لرؤيتك".

"هل هددك بفعل ذلك؟".

"إنه لا يهدد، سيد وايلز".

"يبدو هكذا".

"يقول فقط ما يريده، وتعرف أنه صحيح، آتي لرؤيتك أو أموت، ولا أموت بطريقة سهلة أيضاً، وإنما بصعوبة كبيرة".

سأل بيلي: "هل تعرف ماذا فعل؟".

"لا، سيدي. ولا تخبرني".

"نحن الآن اثنان نعرف أنه حقيقي، يمكننا دعم حججنا".

"لا تتحدث بهذه الطريقة".

"ألا ترى أنه ارتكب خطأ".

قال كوتل: "أتمنى لو أستطيع أن أكون خطأه، لكنني لست هكذا، تظن أنني مهم، لكنني لست كذلك".

قال بيلي: "لكن يجب توقيفه".

"ليس من قبلي، لست بطلاً، لا تخبرني ماذا فعل، لا تتجرأ".

"لماذا لا يجدر بـــي إخبارك؟".

"هذا عالمك، وليس عالمي".

"هناك فقط عالم واحد".

"لا ســـيدي، هـــناك مليارات العوالم، عالمي مختلف عن عالمك، وسيبقى هكذا على الدوام".

"نحن نجلس هنا على المصطبة نفسها".

"لا، سيدي. تبدو مثل مصطبة واحدة، لكنهما مصطبتان، تعرف أن هذا صحيح، أرى ذلك فيك".

"ترى ماذا؟".

"أرى أنك تشبهني قليلاً".

قال بيلي بخوف: "لا يمكنك رؤية أي شيء، لا تنظر حتى إليّ".

نظـــر رالف كوتل في عينيّ بيلي مجدداً. "هل رأيت وجه المرأة في المرطبان مثل قنديل البحر؟".

انتقل الحديث فجأة من المسار الرئيس إلى موضوع غريب.

سأل بيلي: "أي امرأة؟".

ارتشف كوتل الشراب مرة جديدة من القنينة. "يقول إنه وضعها في المرطبان قبل ثلاثة أعوام".

"مرطبان؟ من الأفضل أن تتوقف عن شرب هذا الشراب، رالف، لا يبدو كلامك منطقياً".

أغمض كوتل عينيه وكشّر في وجهه، كما لو أنه يستطيع رؤية ما وصـــفه للـــتو. "إنـــه مرطبان كبير، كبير جداً، مع غطاء واسع. يغيّر الفورمالديهايد بصورة منتظمة لمنعه من التبلد".

وراء المـــصطبة، كانت السماء صافية مثل البلور، عالياً في الضوء الساطع، حلّق نسر وحيد، وبدا مثل سراب.

تابع كوتل القول: "يبدو الوجه وكأنه منطوٍ على نفسه، بحيث لا ترى وجهاً في البداية. يبدو وكأنه شيء من البحر، مطبق وإنما منتفخ. يرجّ المرطبان قليلاً، ويحرك المحتويات، ويظهر... الوجه".

كـــان العـــشب جميلاً وأخضر عبر المرج، ثم أصبح أطول وذهبياً حيث ترك على سجيته في الطبيعة، ولّد نوعا العشب رائحتين مختلفتين، وكانت كل منهما حلوة على طريقتها.

قـــال رالف كوتل: "تتعرف إلى أذن في البداية. الأذنان متصلتان، والغـــضروف يمـــنحهما شكلاً، ثمة غضروف في الأنف أيضاً، لكنه لم يحافظ على شكله جيداً، الأنف مجرد كتلة".

من المرتفعات الساطعة، نـــزل النسر بسرعة كبيرة، راسماً منحنيات صامتة ورشيقة.

"الــشفتان كاملــتان، لكن الفم مجرد فتحة، والعينان فتحتان. لا يوجد شعر، لأنه قطع الرأس من أذن إلى أخرى، من أعلى الحاجب إلى أســـفل الذقن. لا يمكنك أن تعرف إذا كان وجه امرأة أو وجه رجل. يقول إنها كانت جميلة، لكن لا يوجد جمال في المرطبان".

قال بيلي: "إنه مجرد قناع من اللاتكس. خدعة".

"أوه، إنه حقيقي، إنه حقيقي مثل مرض السرطان، يقول إنه ثاني عمل في أحد أفضل أداءاته".

"أداءات؟".

"يملـــك أربـــع صـــور لوجهها، في الأولى، كانت حية، ثم ميتة، في الثالـــثة، تم تقـــشير الوجه جزئياً، في الرابعة، رأسها هناك، شعرها، لكن النسيج الطري لوجهها اختفى، ولم يبقَ شيء سوى العظم، والجمجمة".

من التحليق الرشيق إلى الغوص المفاجئ، توجه النسر نحو العشب الطويل.

أخـــبر الـــشراب رالف كوتل أنه يحتاج إلى الدعم فشرب المزيد لتعزيز شجاعته.

بعـــد زفير طويل للهواء، قال: "في الصورة الأولى، عندما كانت حية، كانت ربما جميلة مثلما يقول. لا يمكنك المعرفة لأنها... مذعورة، بدت قبيحة بفعل الذعر".

العـــشب الطويل، الذي كان قبلاً ساكناً تحت الحرارة الشديدة، تحرك قليلاً في مكان واحد، حيث احتك الريش بالعيدان.

قـــال كوتل: "الوجه في الصورة الأولى أسوأ مما هو في المرطبان، أسوأ بكثير".

ارتفـــع النـــسر عن العشب وحلّق عالياً. أمسكت مخالبه بشيء صـــغير، قـــد يكون فأر حقول، كافح برعب أو لم يكافح. من هذه المسافة، لا يمكن التأكد.

كان صوت كوتل مثل منشار يحفر في خشب قديم. "إذا لم أفعل بالضبط ما يريده مني، وعدني بوضع وجهي في مرطبان، وفيما يكشط اللحم عنه، سيبقيني على قيد الحياة، وواعياً".

في السماء الساطعة والصافية، بدا النسر المرتفع أسود وصافياً مثل الظـــل مرة جديدة. رفرف جناحاه في الهواء، وكانت الأجواء المرتفعة مثل تيارات النهر التي سبح عبرها، واختفى، بعد أن قتل فقط ما احتاج إليه للبقاء على قيد الحياة.

الفصل 21

جالساً من دون حراك في الكرسي الهزاز، قال رالف كوتل إنه يعيش في كوخ متواضع قرب النهر، يحتوي الكوخ على غرفتين ومصطبة مع منظر مطل، علماً أنه جرى هدم المكان في الثلاثينيات من القرن العشرين وهو يتصدع منذ ذلك الوقت.

قبل زمن بعيد، استخدم أناس غير معروفين الكوخ لعطلات الصيد، لا توجد كهرباء في الكوخ، ثمة مرحاض خارجي يشكّل حماماً، المياه الوحيدة الموجودة هي تلك التي تجري في النهر.

قال كوتل: "أظن أنه كان مكاناً لهم للهروب من زوجاتهم، مكاناً للشرب والثمل، ولا يزال كذلك".

ثمة موقد يوفر الدفء ويتيح الطهو البسيط، فالوجبات التي يتناولها كوتل متوافرة في علب يتم تسخينها.

كان الكوخ في السابق ملكية خاصة، أصبح الآن يخص المقاطعة، إذ تم الحجز عليه ربما لاسترداد ضرائب، مثل الأرض الحكومية، لم يشهد المكان أي صيانة، لم يأتِ أي موظف حكومي لإزعاج كوتل، منذ أحد عشر عاماً، حين قام بتنظيف الكوخ وبسط فراشه واستقر فيه.

لا يعيش جيران بجواره، الكوخ موجود في بقعة منعزلة، تلائم كوتل تماماً.

حتى الساعة 3:45 من صباح اليوم السابق، عندما أيقظه زائر يضع قناع تزلج: هكذا، ما كان قبلاً ملكية خاصة حميمة تحول إلى منعزل مرعب.

خلد كوتل إلى النوم من دون إطفاء المصباح الزيتي الذي يقرأ على نوره روايات غربية ويشرب الشراب حتى النوم، بالرغم من ذلك الضوء، لم يستوعب أي تفاصيل مفيدة عن شكل القاتل، لم يستطع تقدير طول الرجل أو وزنه.

قال إن صوت الرجل المجنون لم يكشف عن خصائص يمكن تذكرها.

تصور بيلي أن كوتل يعرف المزيد لكنه يخشى القول، فالقلق الذي بدا الآن في عينيه الزرقاوين كان صافياً وكثيفاً، وإن لم يكن فورياً، بقدر الرعب الذي وصفه في الصورة الفوتوغرافية للمرأة المجهولة التي قام القاتل بسلخ وجهها.

بالحكم على طول أصابعه النحيلة والعظام المذهلة في معصميه، بدا كوتل وكأنه كان مجهزاً للدفاع عن نفسه، الآن، وباعترافه الخاص، بات ضعيفاً، ليس فقط عاطفياً ومعنوياً بل أيضاً جسدياً.

إلا أن بيلي انحنى إلى الأمام في كرسيه، وحاول مجدداً حثه: "ادعمني مع الشرطة. ساعدني..."

"لا أستطيع مساعدة نفسي سيد وايلز".

"لا بد أنك كنت تعرف قبلاً كيف تفعل ذلك".

"لا أريد أن أتذكر".

"تتذكر ماذا؟".

"أي شيء. قلت لك؛ أنا ضعيف".

"يبدو وكأنك تريد أن تكون هكذا".

رفع قنينة الشراب إلى شفتيه، وابتسم كوتل ابتسامة خفيفة، وقبل أن يرتشف الشراب، قال: "ألم تسمع أن الخنوع يرث الأرض".

"إذا لم تشأ فعل ذلك لنفسك، افعله لي".

لعق كوتل شفتيه اللتين كانتا متشققتين كثيراً بفعل الحرّ والتأثير المجفف للشراب الاسكتلندي، وقال: "ولماذا؟".

"الخنوع لا يقف جانباً ويراقب دمار رجل آخر. الخنوع ليس مثل الجبان، إنهما نوعان مختلفان".

"لا يمكنك إجباري على التعاون، لا أحد يجبرني، لا أهتم، أعرف أنني نكرة، ولا مشكلة لدي في ذلك".

"لمجرد أنك جئت إلى هنا لفعل ما يريده، لن تكون بأمان في كوخك".

أغلق كوتل القنينة وقال: "بأمان أكثر منك".

"على الإطلاق، أنت ضعيف، اسمع، ستوفر لك الشرطة الحماية".

خرجت ضحكة جافة من فمه. "ألهذا السبب هرولت مسرعاً إليها، للحصول على حمايتها؟".

لم يقل بيلي شيئاً.

استمد كوتل الجرأة من صمت بيلي، ووجد صوتاً كان حقيراً أكثر مما هو معتدّ بنفسه: "تماماً مثلي، أنت لست أي شيء، لكنك لا تعرف ذلك بعد، أنت لا شيء، أنا لا شيء، جميعنا لا شيء، وبقدر ما أهتم، إذا تركني وشأني، يستطيع ذلك المجنون اللعين فعل ما يريده بأي كان لأنه ليس شيئاً أيضاً".

راقب كوتل وهو يفتح قنينة الشراب الاسكتلندي التي أغلقها للتو، قال بيلي: "ماذا لو رميتك عن هذه السلالم وطردتك خارج أرضي؟ يتصل بي أحياناً لمجرد إتلاف أعصابي، ماذا لو أخبرته حين يتصل أنك كنت ثملاً، وغير متماسك، و لم أستطع فهم شيء مما قلته؟".

لم يظهر الشحوب على وجه كوتل المسفوع بالشمس والمشبع بالدم، لكن فمه الصغير الذي كان مزموماً بالرضى الذاتي بعد حديثه

الصاخب، ارتخى الآن وأخرج سيلاً من الاعتذارات: "سيد وايلز، أرجوك، لا تعتبر كلامي إهانة، لا أستطيع التحكم في ما يخرج من فمي مثلما لا أستطيع التحكم في ما يدخل إليه".

"أراد التأكد من أن تخبرني عن الوجه في المرطبان، أليس كذلك؟".

"نعم، سيدي".

"لماذا؟".

"لا أعرف، لم يستشرني سيدي، وضع فقط الكلمات في فمي لكي أنقلها إليك، وها أنا أفعل ذلك لأنني أريد أن أعيش".

"لماذا؟".

"سيدي؟".

"أنظر إليّ رالف".

نظر كوتل في عينيه.

قال بيلي: "لماذا تريد أن تعيش؟".

بالرغم من أن كوتل لم يفكر أبداً في الأمر قبلاً، بدا وكأن السؤال حرّك شيئاً في عقله، مثل عثة نادرة على لوح فحص، مثل شيء دائم الأرق ودائم المشاكسة ودائم المرارة بدا لبرهة وكأنه مستعد أخيراً للتخلي عنه، ثم شردت عيناه، وشبك يديه، وليست يداً واحدة، حول قنينة الشراب الاسكتلندي.

أصرّ بيلي: "لماذا تريد أن تعيش؟".

"ماذا يوجد هناك؟". تفادى كوتل عينيّ بيلي، ورفع القنينة بيديه، كما لو أنها كأس قربان. "هل أستطيع استعمالها فقط للتذوق"، كما لو أنه يطلب إذناً.

"هيا".

ارتشف القليل، ثم ارتشف المزيد دفعة واحدة.

"أجـــبرك القاتل على إخباري بشأن الوجه في المرطبان لأنه يريد زرع هذه الصورة في رأسي".

"إذا شئت".

"إنها مسألة ترهيب، لإبقائي غير متوازن".

"وهل أنت كذلك؟".

بـــدل الإجابة عن السؤال، قال بيلي: "ما هو الشيء الآخر الذي أرسلك لتخبرني إياه؟".

كمــا لـــو أنه انتقل إلى العمل، أغلق كوتل غطاء القنينة مجدداً، وأعـــاد القنينة هذه المرة إلى جيب سترته. "أمامك خمس دقائق لاتخاذ خيار".

"أي خيار؟".

"ارفع الساعة عن معصمك وعلّقها على درابزون المصطبة".

"لماذا؟".

"لعدّ الدقائق الخمس".

"أستطيع العد فيما الساعة على معصمي".

"إن وضـــعها على الدرابزون هو إشارة إليه أن العد العكسي قد بـــدأ". غابات إلى الشمال، مظللة وباردة في اليوم الحار، مرج أخضر، ومـــن ثم عشب طويل ذهبـــي، وبعدها بضع أشجار سنديان، ومن ثم منـــــزلين في منحدر وإلى الشرق، إلى الغرب، تقع الطريق الريفي، مع أشجار وحقول خلفها.

سأل بيلي: "هل يراقب الآن؟".

"وعد أن يفعل ذلك سيد وايلز".

"من أين؟".

"لا أعرف سيدي، من فضلك، انزع الساعة عن معصمك وعلقها على الدرابزون".

"وإذا لم أفعل؟".

"سيد وايلز، لا تتحدث بهذه الطريقة".

ألح بيلي: "لكن ماذا لو لم أفعل؟".

اتخذت نبرته منحى أعلى فيما قال كوتل: "أخبرتك، سيكشط وجهي، وأكون واعياً فيما يفعل ذلك. *أخبرتك*".

نهض بيلي، ونزع ساعة التايمكس عن معصمه، ووضعها على الدرابزون بحيث أمكن رؤية الساعة من كلا الكرسيين الهزازين.

فيما اقتربت الشمس من قمة قوسها، تغلغلت في المنظر الطبيعي وذوّبت الظلال في كل مكان، ولكن ليس في الغابة، لم تكشف الأشجار الخضراء عن أي أسرار.

"سيد وايلز، عليك الجلوس مجدداً".

سيطر الإشراق على الهواء، وملأ الوهج الحقول والشجيرات، ما أجبر بيلي على النظر شزراً إلى أماكن عدة حيث يمكن أن يختبئ رجل في منطقة مكشوفة، غير مموهة بأي شيء باستثناء ضوء الشمس.

قال كوتل: "لن تتمكن من رؤيته، ولن يحب فكرة أنك تحاول البحث عنه، عد إلى هنا واجلس".

بقي بيلي واقفاً أمام الدرابزون.

"لقد بددت نصف دقيقة، سيد وايلز، وأربعين ثانية".

لم يتحرك بيلي.

قال كوتل بقلق: "لا تعرف في أي ورطة أنت، ستحتاج إلى كل دقيقة أعطاها إليك *للتفكير*".

"أخبرني إذاً عن الورطة".

"علـيك أن تجلس، بالله عليك، سيد وايلز". خفت صوت كوتل مثل صوت امرأة عجوز تشبك يديها. "يريدك أن تجلس *في الكرسي*".

عاد بيلي إلى الكرسي الهزاز.

قـال كوتل: "أريد فقط الانتهاء من هذا، أريد فقط أن أفعل ما طلبه مني وأخرج من هنا".

"أنت الآن من يبدد الوقت".

مرّت دقيقة من الدقائق الخمس.

قال كوتل: "حسناً، لا بأس. الآن هو من يتحدث. هل تفهم؟ إنه هو".

"هيا باشر".

لعـق كوتل شفتيه بعصبية، أخرج قنينة الشراب الاسكتلندي من سـترته، ولم يـضعها على شفتيه هذه المرة، وإنما أمسك بها بدل ذلك بكلـتا يديه، كما لو أنها طلسم فيه القوة لإبعاد التشويش الذي أحدثه الشراب الاسكتلندي في ذاكرته، للتأكد من نقله الرسالة بوضوح كافٍ لإنقاذ وجهه من الانتهاء في مرطبان.

قـال كوتل: "سأقتل شخصاً تعرفه، أنت من سيختار لي الهدف بين أشخاص من حياتك، إنها فرصتك لتخليص العالم من أحمق ميؤوس منه".

قال بيلي: "الأحمق اللعين". واكتشف أنه يشبك يديه ببعضهما في قبضة محكمة ولكن من دون وجود شيء لضربه.

تابع كوتل القول: "إذا لم تختر لي الهدف، سأختار بنفسي شخصاً مـن حياتك لقتله، أمامك خمس دقائق لتقرر، الخيار خيارك، إذا كنت تملك الجرأة لفعل ذلك".

الفصل 22

إن جهـــد تذكر الرسالة بحذافيرها دفع رالف كوتل إلى الشعور بتوتـــر كبير، ثمة عدد لامتناه من حالات القلق التي تجتاحه وقد برزت جلـــياً في عينيه الحادتين، في وجهه المتألم، في يديه المرتعشتين، استطاع بيلي سماع أصوات الخوف تصدر عنه.

فـــيما ذكر كوتل تحدي القاتل وشروطه، مع الحكم عليه بالموت إذا أخطـــأ في نقلها، كانت قنينة الشراب الاسكتلندي بمثابة طلسم له قوة الإلهام، لكنه بات الآن بحاجة إلى محتوياتها.

حـــدّق بيلي إلى الساعة المعلقة على درابزون المصطبة، وقال: "لا أحـــتاج إلى خمـــس دقائق، اللعنة، لا أحتاج حتى إلى الدقائق الثلاث الباقية".

مـــن دون قصد، بعدم الذهاب إلى الشرطة وتوريطها، ساهم في مـــوت شـــخص في حـــياته: لاني أولسن، بعدم تصرفه، أنقذ حياة أم لطفلين، لكنه حكم على صديقه بالموت.

كـــان لاني نفسه مسؤولاً جزئياً إن لم يكن كلياً عن موته، فقد أخـــذ ورقـــتيّ القاتل ومزقهما لإنقاذ وظيفته ومعاشه التقاعدي، على حساب حياته.

إلا أن بعـــض اللوم يقع أيضاً على عاتق بيلي، استطاع الإحساس بالذنب، وسيفعل ذلك دوماً.

مـــا يطلبه القاتل منه الآن شيئاً جديداً وأكثر رعباً من أي شيء سبقه، ليس بعدم التصرف هذه المرة، وليس بالإهمال، وإنما بنية واعية،

يفترض أن يحكم بيلي على شخص يعرفه بالموت، قال: "لن أفعل ذلك".

بعد أن شرب جرعة أو جرعتين، راح كوتل يمرر الفوهة الرطبة للقنينة جيئة وذهاباً على شفتيه، كما لو أنه يقبلها قبلة على الطريقة الفرنسية بدل شرب المزيد منها، اشتمّ عبر أنفه الروائح المنبعثة من القنينة.

قال كوتل: "إذا لم تفعل ذلك، سيقرر هو".

"ولماذا يجدر بي الاختيار؟ أنا عالق في كلتا الحالين، أليس كذلك؟".

"لا أعرف، لا أريد أن أعرف، ليس هذا من شأني".

"اللعنة لا".

أصرّ كوتل: "ليس هذا من شأني، عليّ البقاء جالساً هنا إلى أن تعطيني قرارك، لأنقله من ثم إليه، ولا أعود جزءاً من المسألة، لم يبقَ أمامك إلا دقيقتين".

"أنا ذاهب إلى الشرطة".

"تأخر الوقت على ذلك".

اعترف بيلي: "أنا عالق حتى أذنيّ، لكنني سأعلق أكثر بعدها".

عندما نهض بيلي عن كرسيه الهزاز، قال كوتل بحدة: "*اجلس!* إذا حاولت ترك هذه المصطبة قبلي أنا، سيقتلك في رأسك".

كان يضع قناني الشراب في جيوبه، وليس أسلحة. حتى لو امتلك كوتل مسدساً، كان بيلي واثقاً من قدرته على أخذه منه.

قال كوتل: "ليس أنا، هو، إنه يراقبنا الآن عبر منظار بندقيته المتطورة".

وهج الغابة إلى الشمال، بريق الشمس فوق المنحدر إلى الشرق، الجبال الصخرية والحقول الممتدة إلى الجنوب قرب الطريق الريفي...

قـــال كوتل: "يستطيع قراءة شفاهنا، يملك أفضل سلاح للقنص، وهو بارع جداً في استعماله، يستطيع إصابتك من مسافة ألف ياردة".

"هذا ما أريده ربما".

"يحـــب الإكراه، لكنه لا يظن أنك مستعد، يقول إنك ستصبح كـــذلك، يقـــول إنك ستطلب منه في النهاية أن يقتلك، ولكن ليس الآن".

بالرغم من ثقل الإحساس بالذنب، شعر بيلي وايلز فجأة أنه مثل الريشة، وخشي من هبوب ريح مفاجئة، جلس في الكرسي الهزاز.

قال كوتل: "لقد تأخر الأوان للذهاب إلى الشرطة لأنه ترك أدلة في منـــزلها، على جسمها".

بقي النهار صامتاً، لكن هنا هبّت الريح. "أي أدلة؟".

"تم وضع القليل من شعرك في معصمها وتحت أظفارها".

تخدر فم بيلي. "كيف استطاع الحصول على شعري؟".

"من مصفاة الحمام".

قـــبل أن يبدأ الكابوس، حين كانت جيزيل وينسلو لا تزال على قيد الحياة، دخل القاتل إلى منـــزله.

لم يعـــد الظل على المصطبة قادراً على إبعاد حرارة الصيف. كان الأمـــر مماثلاً لوقوف بيلي على الزفت تحت الشمس. "ماذا يوجد غير الشعر؟".

"لم يقل، لكنه ليس شيئاً تستطيع الشرطة ربطه بك... إلا إذا تم الاشتباه بك لسبب ما".

"الأمر الذي قد يجعله يحصل".

"إذا بـــدأت الـــشرطة تظن أنه يجدر بها سؤالك لأخذ عينة من حمضك النووي، سيكون قد قضي عليك".

ألقى كوتل نظرة على ساعة يده.
وكذلك فعل بيلي.
قال كوتل: "بقيت دقيقة واحدة".

الفصل 23

دقــيقة واحــدة. حدّق بيلي إلى ساعته اليدوية كما لو أنها قنبلة موقوتة بدأت العد العكسي لتنفجر.

لم يكن يفكر في الثواني الجارية أو في الأدلة الموجودة على مسرح جريمة جيزيل وينسلو، أو في كونه تحت مرمى بندقية فائقة التطور.

كان يجري بدل ذلك جردة عقلية للناس في حياته، تبدلت الوجوه بسرعة في عقله، الذين يحبهم، الذين لا يبالي تجاههم، الذين لا يحبهم.

هــؤلاء كانوا مخاطر محجوبة، يستطيع الانتقاء منهم، إلا أن إبعاد عقلــه عــن هــذه الأفكار بدا صعباً بقدر تجاهل سكين مغروزة في حنجرته.

ســكين من نوع آخر، سكين ذنب أبعدته عن هذه الاعتبارات أخــيراً، عــند إدراك كيف كان يحسب بجدية القيمة النسبية للناس في حياته، وتقييم من يملك منهم حقاً بالحياة أقل من غيره، لم يستطع قمع إحساس بالقرف.

قــال قــبل ثــوانٍ من نفاد وقته: "لا. لا. لن أختار أبداً، يمكنه الذهاب إلى الجحيم".

ذكّر كوتل بيلي: "إذاً، سيختار عنك".

"يمكنه الذهاب إلى الجحيم"

"حسناً، إنها مهمتك، الأمر ملقى على عاتقك، سيد وايلز، ليس هذا من شأني".

"والآن ماذا؟".

"تبقى جالساً في الكرسي، سيدي، تماماً حيث أنت يفترض بـــي الدخول إلى هاتف المطبخ، وانتظار اتصاله، وإخباره بقرارك".

قال بيلي: "سأدخل بنفسي، أنا أتلقى الاتصال".

قال كوتل: "أنت تثير جنوني، ستقتلنا نحن الاثنين".

"هذا منـــزلي".

عندما رفع القنينة إلى فمه، ارتجفت يدا كوتل بشدة إلى درجة أن زجاج القنينة طقطق على أسنانه، سال الشراب الاسكتلندي على ذقنه.

مـــن دون مـــسح الشراب عن وجهه، قال: "يريدك جالساً في هذا الكرسي. إذا حاولت الدخول، سيفجر دماغك قبل أن تصل إلى الباب".

"وأي منطق في هذا؟".

"وبعدها يفجر دماغي أيضاً لأنني لم أجعلك تصغي إليّ".

قال بيلي، وقد بدأ يشتم شيئاً من طريقة القاتل: "لن يفعل، ليس مستعداً لإنهاء الأمر، ليس بهذه الطريقة".

"ماذا تعرف؟ أنت لا تعرف، أنت لا تعرف اللعبة".

"يملك خطة، هدفاً، شيئاً قد لا يكون منطقياً بالنسبة إليك أو إليّ، لكنه منطقي بالنسبة إليه".

"أنـــا مجـــرد ثمل عديم الفائدة، لكنني أعرف بالرغم من ذلك أنه مليء بالشر".

قـــال بيلـــي لنفسه أكثر مما قال لكوتل: "يريد تنفيذ كل شيء بالطريقة التي تصورها، وليس إنهاء الأمر في الوسط بطلقتين قاتلتين".

راقـــب رالـــف كـــوتل بقلق النهار الساطع تحت الشمس وراء المـــصطبة الأمامـــية، وسال منه اللعاب فيما تكلم، قال: "أيها الأحمق اللعين، هلا أصغيت إليّ! أنت لا تصغي إليّ".

"أنا أصغي".

"أكثـــر من أي شيء آخر، يريد الأشياء على طريقته *الخاصة*، لا يريد التحدث إليك، هل فهمت؟ لا يريدك ربما أن تسمع صوته".

هذا منطقي إذا كان القاتل شخصاً يعرفه بيلي.

قـــال كوتل: "أو ربما لا يريد أن يستمع إلى هرائك أكثر مما أفعل أنـــا، لا أعـــرف، إذا أردت الإجابة عبر الهاتف لتظهر له من المسيطر، لمجرد إغضابه، وفجّر دماغك، لن أكترث أبداً. لكنه سيقتلني أيضاً، ولا يمكنك الاختيار لي. *لا يمكنك الاختيار لي*"

عرف بيلي أن غريزته محقة: لن يطلق القاتل النار عليهما.

قـــال كوتل بقلق، وهو يشير إلى الساعة المعلقة على الدرابزون: "انـــتهت الدقائق الخمس، ست دقائق، تجاوزت ست دقائق، لن يحب ذلك".

في الحقـــيقة، لا يعرف بيلي *بالتأكيد* أن القاتل لن يطلق النار، إنه يشك في ذلك، ويحس به، لكنه لا يعرف *بالتأكيد*.

"انتهـــى وقـــتك، بدأنا بالدقيقة السابعة، *سبع دقائق*، يتوقعني أن أغادر المصطبة وأدخل إلى المنـــزل".

نـــبض الخـــوف في العينين الزرقاوين الباهتتين لكوتل، ليس لديه الكثير ليعيش من أجله، لكنه يتوق إلى الحياة بالرغم من ذلك.

قال بيلي: *ماذا يوجد هناك؟*

"ماذا؟".

"ادخل، اذهب إلى الهاتف".

نهض كوتل عن كرسيه الهزاز، وأوقع القنينة المفتوحة، فانسكبت أونصات عدة من الشراب الاسكتلندي عبر الفوهة غير المغلقة.

لم يـــتوقف كـــوتل لانتشال كنـــزه، في الواقع، كان مستعجلاً للوصول إلى الباب الأمامي، فركل القنينة لتصل إلى أرض المصطبة.

أمـــام عتـــبة المنـــــزل، نظـــر إلى الخلف وقال: "لا أعرف متى سيتصل".

قـــال له بيلي: "تذكر جيداً كل كلمة يقولها، تذكر *بالضبط* كل كلمة".

"جسناً، سيدي، سأفعل".

"وكل نبرة، تذكر كل كلمة *وكيف يقولها*، ثم تأتي لإخباري".

وعد كوتل: "سأفعل سيد وايلز، كل كلمة"، ودخل المنـــزل.

بقـــي بيلـــي وحيداً على المصطبة، لا يزال ربما تحت مرمى فوهة البندقية.

الفصل 24

ثـــلاث فراشات، غيشات هوائية، تراقصت تحت أشعة الشمس، في ظـــلال المـــصطبة، تلألأت كيمونوهما الحريرية وتوهجت بدوامات ألوان رائعة، بحياء بقدر الوجوه المخبأة بين ثنايا المراوح المرسومة باليد، وطارت بسرعة إلى السطوع التي أتت منها.

أداء.

هـــذه هـــي ربما الكلمة التي تحدد القاتل، التي تفضي إلى تفسير لأفعاله، والتي ستكشف السرّ إذا تم فهمها.

حـــسب رالف كوتل، أشار القاتل إلى جريمة قتل امرأة وكشط وجهها بعيداً عن العظم على أنها *العمل الثاني* بين *أفضل أداءاته*.

عندما افترض أن المريض النفسي يعتبر القتل لعبة مثيرة، كان بيلي غير مصيب، قد تكون الرياضة جزءاً منها، لكن هذا الرجل ليس محفزاً تماماً أو حتى جزئياً بإحساس المتعة.

لا يعـــرف بيلي بالضبط ماذا تعني كلمة *أداء*، بالنسبة إلى خصمه الرهيب، قد يكون العالم مسرحاً، والحقيقة كذبة، وكل شيء مصطنعاً.

كيف تفسر هذه النظرة ذلك السلوك الإجرامي - أو تتوقعه - لا يعرف بيلي، لا يستطيع أن يحزر.

الخصم الرهيب يمثل التفكير غير الصحيح، الخصم الرهيب هو عدو لا يمكن هزمه، ثمة كلمة أفضل وهي *عدو*، لم يتخلَّ بيلي عن الأمل.

فـــيما الـــباب الأمامي مفتوح، يفترض أن يصل رنين الهاتف إلى المصطبة الأمامية، لم يسمعه بعد، تأرجح بكسل في كرسيه، ليس لجعل

نفسه هدفاً صعباً، وإنما لإخفاء قلقه وبالتالي سلب القاتل فرصة إرضاء ذاته بذلك، تأمل بيلي أقرب شجرة سنديان ثم انتقل إلى التالية.

إنها أشجار سنديان قديمة عملاقة مع ظلال عريضة، بدت جذوعها وأغصانها سوداء تحت الشمس الساطعة.

في هذه الأشجار الكثيرة الظلال، يستطيع القنّاص العثور على مجموعة من الأغصان لتكون بمثابة أرضية تتسع له ولمحمل بندقيته.

أقرب منزلين في الطريق المنحدر، واحد على جانب هذا الطريق، وآخر على الجانب الآخر، هما ضمن نطاق الألف ياردة. في حال عدم وجود أحد في المنزلين، يستطيع القاتل دخول أحدهما، قد يكون جالساً الآن خلف نافذة في الطابق العلوي.

أداء.

لم يستطع بيلي التفكير في أي شخص في حياته تعني له تلك الكلمة شيئاً أكثر مما تعنيه لستيف زيليس، حيث المشرب هو مسرح بالنسبة إلى ستيف.

لكن هل من المنطقي أن يملك القاتل، وهو مجرم خبيث يحب التشويه، حساً بسيطاً بالمرح ومفهوماً ساذجاً للمسرح بحيث يقوم بقذف الفول السوداني في الهواء، وربط أعناق الكرز بلسانه، وإلقاء نكات بشأن الشقراوات السخيفات؟

نظر بيلي تكراراً إلى الساعة المعلقة على درابزون المصطبة.

ثلاث دقائق هي فترة منطقية للانتظار، أو حتى أربع، لكن عندما مرّت خمس دقائق، بدا ذلك كثيراً جداً.

بدأ ينهض عن الكرسي، لكنه سمع صوت كوتل في ذاكرته- *لا يمكنك الاختيار لي!*- ودفعه حس بالمسؤولية إلى الجلوس مجدداً في الكرسي الهزاز.

بما أن بيلي أبقى كوتل على المصطبة أكثر من الفترة المحددة بخمس دقائــق، عمد القاتل ربما إلى الرد بالمثل، بحيث جعلهما ينتظران لتتوتر أعــصابهما قلــيلاً، لتعليمهما ألا يعبثا مع الكلب الكبير، أراحت تلك الفكرة بيلي لدقيقة، ثم خطر له احتمال أكثر خطورة.

عندما لم يدخل كوتل إلى المنــزل فور انتهاء فترة الخمس دقائق، عندما تأخر بيلي دقيقتين أو ثلاث دقائق، اعتبر القاتل ربما قلة المسؤولية على أنها رفض من قبل بيلي لاختيار ضحية، وهذه هي الحقيقة بالفعل.

عــند افتــراض هذا الاحتمال، قرر القاتل ربما أنه لا يملك سبباً للاتــصال برالف كوتل، حمل في تلك اللحظة بندقيته وخرج من الغابة أو ابتعد عن أحد المنــزلين عند الطريق المنحدر.

إذا كــان قد اختار الضحية قبل سماع جواب بيلي، وهذا ما فعله طبعاً، قد يكون متحرقاً لتنفيذ خطته.

أحــد الأشخاص في حياة بيلي، أهم شخص، هو طبعاً باربارة، العاجزة في وايسبرينغ باينــز.

بــصرف النظر عن أي خبرة أو تجربة تبرر ثقته من نفسه، أحس بيلــي أن هذه الدراما الغريبة لا تزال في فصلها الأول، خصمه اللدود غــير جاهــز بعــد لإنهاء هذا الأداء، هكذا، لا تعتبر باربارة في خطر وشيك.

إذا كــان القاتل يعرف أي شيء عن موضوع عذابه - ويبدو أنه يعــرف الكــثير- سيدرك أن موت باربارة سيأخذ فوراً كل القوة من بيلي، المقاومة ضرورية للدراما، الصراع، من دون بيلي، لن يكون هناك فصل ثانٍ.

عليه اتخاذ خطوات لحماية باربارة. لكنه يحتاج إلى التفكير بجدية في الطريقة، ويملك الوقت لفعل ذلك.

إذا كان غير مصيب في هذا، إذا كانت باربارة هي التالية، يكون هـــذا العالم إذاً على وشك أن يصبح مطهراً مؤلماً قبل أن ينتقل بسرعة إلى غرفة في الجحيم.

سبع دقائق مرّت على دخول كوتل المنـــزل، سبع وأكثر.

نهض بيلي عن الكرسي، شعر بضعف في ساقيه.

أخرج المسدس من علبة البسكويت المملح، لا يبالي إذا رآه القاتل.

أمـــام عتـــبة الباب المفتوح، نادى "كوتل؟" و لم يلقَ أي جواب، وقال: "كوتل، اللعنة".

دخل المنـــزل، عَبَر غرفة الجلوس، ودخل المطبخ.

لم يكـــن رالف كوتل هناك، كان الباب الخلفي مفتوحاً، وعرف بيلي أنه تركه مغلقاً، مقفلاً، خرج إلى المصطبة الخلفية، لم يكن كوتل هناك أيضاً، ولا في الفناء. لقد رحل.

لم يـــرنّ الهاتف، لكن كوتل رحل، عندما لم يأتِ الاتصال ربما اعتبر كوتل أن الصمت هو إشارة من القاتل على أنه إخفاق، ربما شعر بالذعر وهرب.

عاد إلى المنـــزل، وأغلق الباب وراءه، وتفقّد بيلي المطبخ بعينيه، بحثاً عن شيء غريب، لا يعرف ما قد يكون.

بدا كل شيء مثلما كان، مثلما يفترض أن يكون.

إلا أن عدم الثقة أفضت إلى الريبة، وتحولت الريبة إلى شك، لا بد أن كوتل أخذ شيئاً، أحضر شيئاً، *فعل* شيئاً.

مـــن المطبخ إلى غرفة الجلوس، إلى المكتب، لم يجد بيلي أي شيء خارج عن المألوف، لكنه اكتشف رالف كوتل في الحمام ميتاً.

الفصل 25

رســم الضوء الفلوري غشاء من الجليد الزائف على عينيّ كوتل المفتوحتين.

جلـس الـشمل على غطاء كرسي المرحاض متكئاً على صندوق الطرد، ورأسه مرتد إلى الخلف، وفمه مرتخٍ، أحاطت الأسنان الصفراء المهترئة لساناً بدا وردياً أبيض ومتشققاً قليلاً بفعل الجفاف الناجم عن الشرب المستمر للشراب.

وقف بيلي منقطع الأنفاس، مذهولاً بغباء، ثم خرج من الحمام إلى الردهة، محدقاً إلى الجثة من الممر.

لم يتراجع بسبب أي رائحة نتنة، لم يفرغ كوتل أحشاءه أو مثانته في أثناء آلام احتضاره، بقي مهملاً غير متسخ؛ الشيء الوحيد فيه الذي يبدو أنه يفتخر به.

إلا أن بيلـي لم يـستطع التـنفس في الحمام، كما لو أنه جرى امتـصاص كـل الهواء من تلك المساحة، كما لو أن الرجل الميت قتل بـسحب مفاجئ للهواء بات الآن يهدد بخنق بيلي نفسه، في الردهة، استطاع التنفس مجدداً، يستطيع بدء التفكير.

للمـرة الأولى، لاحـظ مقبض السكين، التي لصقت سترة بذلة كوتل به، مقبض أصفر ساطع.

تم غـرز نـصل السكين في زاوية عالية بين الضلوع إلى الزاوية اليسرى، لتستقر بشكل تام، تم ثقب القلب، فتوقف.

عـرف بيلـي أن نصل السكين المغروز يبلغ طوله ستة إنشات،

فالسكين الصفراء تخصه، يضعها بين معدات الصيد في المرأب، إنها سكين لصيد السمك، حادة كفاية لقطع سمك ذئب البحر والترويت.

لم يكن القاتل في الغابة أو في المرج، أو في منزل الجيران يراقبهما عبر بندقية مزودة بمنظار، كانت تلك كذبة، وصدقها الثمل.

فيما اقترب كوتل من المصطبة الأمامية، دخل القاتل على الأرجح عبر الباب الخلفي، وفيما جلس بيلي وزائره في الكرسيين الهزازين، كان عدوهما في المنزل، على مسافة أقدام قليلة منهما، رفض بيلي اختيار شخص في حياته ليكون الضحية التالية، وكما وعد، اتخذ القاتل الخيار بنفسه برشاقة مذهلة.

بالرغم من أن كوتل بمثابة غريب، لكنه دخل حتماً حياة بيلي، وهو الآن في منزله، ميت.

خلال أقل من يوم ونصف اليوم، خلال إحدى وأربعين ساعة فقط، تم قتل ثلاثة أشخاص، بالرغم من ذلك، شعر بيلي أن هذا الفصل الأول؛ إنها ربما *نهاية* الفصل الأول، لكن فطرته أخبرته أن تطورات مهمة جداً ستحصل لاحقاً.

عند كل منعطف للأحداث، فعل ما بدا الشيء الأكثر حذراً ومنطقاً، خصوصاً حسب تاريخه الشخصي.

إلا أن منطقه وحذره عادا على القاتل بالفائدة، ساعة بعد ساعة، وجد بيلي نفسه يبتعد أكثر عن برّ الأمان.

في نابا، ثمة أدلة قد تجرّمه، وقد تم زرعها في المنزل الذي قتلت فيه جيزيل وينسلو، شعر من مصفاة حمامه، ولا يعرف ماذا يوجد أيضاً.

لا شك في أنه تم وضع دليل في منزل لاني أولسن أيضاً، فعلامة الصفحات في الكتاب تحت يد لاني الميت كانت حتماً صورة فوتوغرافية لوينسلو، لربط الجريمتين ببعضهما.

والآن في حمامه توجد جثة شخص قتل بسكين تخصه.

هنا في الصيف، شعر بيلي وكأنه على منحدر جليدي، قعره غير منظور وراء ضباب بارد، وهو واقف على قدميه في انــزلاق غريب، وإنما بسرعة تهدد توزانه، ثانية بعد ثانية.

في البداية، صُدم بيلي باكتشاف جثة كوتل، فأصيب بجمود عقلي وجــسدي. الآن، خطرت له احتمالات عدة للتصرف، ووقف محتاراً بالقرار الواجب اتخاذه.

أسوأ شيء قد يفعله هو التصرف على عجل، يحتاج إلى التفكير، ومحاولة توقع نتائج كل واحد من خياراته.

لا يستطيع ارتكاب المزيد من الأخطاء، تعتمد حريته على ذكائه وشجاعته، وكذلك بقاؤه على قيد الحياة.

دخــل الحمــام مجدداً، لم يلاحظ أي دم، ربما لم يقتل كوتل في الحمام.

إلا أن بيلــي لم يــشاهد دلــيلاً على العنف في مكان آخر في المنــزل.

جعله هذا الإدراك يركز على مقبض السكين، عند نقطة الانغراز، بلــل دم داكن سترة البذلة الصيفية الخفيفة، لكن البقعة لم تكن كبيرة مثلما توقع.

قضى القاتل على كوتل بغرزة واحدة، عرف بالضبط أين وكيف يغرز النصل بين الضلوع، توقف القلب بعد خفقة واحدة أو اثنتين من انغراز السكين، مما خفف النــزف.

استلقت يدا كوتل في حضنه، بحيث كانت الأولى مقلوبة إلى فوق والثانية مطوقة فوقها، كما لو أنه مات وهو يصفق لقاتله، ثمة شيء بين يديه، لكنه محجوب بمعظمه.

عندما أمسك بيلي بزاوية الغرض لسحبه من قبضة الرجل الميت، اكتشف أنه قرص كمبيوتر: أحمر، كبير السعة، من الماركة نفسها التي كان يستخدمها عندما عمل على الكمبيوتر.

تأمـــل الجثة من زوايا عدة، استدار ببطء في دائرة كاملة، مراقباً الحمام بحثاً عن أي شيء تركه القاتل ربما عمداً أو عن غير قصد.

عاجلاً وليس آجلاً، سيفتش ربما في جيوب سترة كوتل وسرواله، إلا أن قرص الكمبيوتر أعطاه عذراً لتأجيل تلك المهمة الكريهة.

في المكتب، بعدما وضع المسدس وقرص الكمبيوتر على المكتب، رفع غطاء الفينيل عن الكمبيوتر، لم يستخدم الجهاز منذ أربعة أعوام تقريباً.

واللافـــت أنـــه لم يقطع الكهرباء عنه، افترض أن هذا قد يكون تعبيراً غير واعٍ لعناده-الأمل أن تتعافى باربارة ماندل يوماً ما.

في ســـنته الجامعـــية الثانية، عندما أدرك أن معظم ما يتعلمه هناك لن يفـــيده في أن يصبح الكاتب الذي يريد أن يكون، انسحب من الجامعة. أنجز عملاً يدوياً من أنواع مختلفة، وحرص على الكتابة في أوقات فراغه.

في الحاديـــة والعـــشرين، عمل لأول مرة كنادل في مشرب، بدا العمل مثالياً بالنسبة إلى كاتب، رأى مادة روائية في كل زبون مشرب.

طـــوّر موهبته بصبر، وباع عدداً كبيراً من القصص القصيرة إلى مجموعة من المجلات، حين أصبح في الخامسة والعشرين، أراد ناشر مهم جمع تلك القصص في كتاب.

حقـــق الكتاب مبيعاً متواضعاً، لكنه حظي بمديح كبير، ما أوحى أن العمل في المشرب لن يبقى إلى الأبد مهنته الأساسية.

حـــين دخلت باربارة إلى حياة بيلي، لم تمنحه فقط التشجيع وإنما أيضاً الإلهام، بمجرد التعرف إليها، وحبها، عثر على صوت أكثر صدقاً ووضوحاً في كتاباته.

كـــتب روايـــته الأولى، واســـتجاب ناشره لها بحماسة كبيرة، كانت التصحيحات المقترحة من قبل المحرر بسيطة، واستغرقت عمل شهر.

ثم غرقت باربارة في الغيبوبة.

ضـــاع معهـــا الصوت الصادق والواضح في كتاباته، لا يزال في وسعه الكتابة.

إلا أن الـــرغبة في الكـــتابة ابتعدت عنه، وكذلك الإرادة، وكل الاهتمام في تأليف الروايات، لم يعد يشأ استكشاف الوضع البشري في الخيال، لأنه عانى الكثير من الحقيقة.

طـــوال عامين، صبر عليه الناشر والمحرر، لكن عمل الشهر على مخطوطـــته أصـــبح بالنسبة إليه أكثر من أشغال شاقة لمدى الحياة، لا يستطيع فعل ذلك، ردّ المبلغ المدفوع مسبقاً، وألغى العقد.

تـــشغيل جهـــاز الكمبيوتر، حتى ولو لمراجعة ما تركه القاتل بين يديّ رالف كوتل، بدا مثل خيانة تجاه باربارة، بالرغم من أنها لم تكن لتوافق على مثل هذا التفكير، لا بل ستسخر منه.

تفاجأ قليلاً حين عاد الجهاز إلى العمل، بالرغم من عدم استعماله لوقت طويل، أضاءت الشاشة، وظهر شعار نظام التشغيل فيما صدرت أنغام موسيقية من مكبري الصوت.

لا بـــد أنه تم استخدام الكمبيوتر في وقت حديث أكثر مما يظن، فحقـــيقة أن يكون القرص من الماركة نفسها للأقراص غير المستخدمة الموجـــودة في أحد أدراج مكتبه توحي بأن هذا القرص هو من أقراصه وأن القاتل طبع رسالته الأخيرة على لوحة المفاتيح هذه.

الغـــريب أنه شعر بالذعر عند استيعاب هذه الفكرة أكثر مما شعر بالذعر عندما عثر على الجثة في الحمام.

ظهرت لائحة البرامج التي لم يرها منذ مدة وإنما المألوفة، وبما أنه كتب رواياته في برنامج مايكروسوفت ورد، قام بتجربته أولاً.

تــبين أن هذا الخيار صحيح، فقد كتب القاتل رسالته في برنامج ورد أيضاً.

احــتوى القرص على ثلاثة مستندات، وقبل أن يتمكن بيلي من مراجعة النص، رن الهاتف.

تصور أنه القاتل على الأرجح.

الفصل 26

رفع بيلي السماعة: "آلو؟".

ليس القاتل، ثمة امرأة قالت: "مع من أتحدث؟".

"مع من *أنا* أتحدث؟ أنت اتصلت بـــي".

"بيلي، يبدو أن هذا أنت، أنا روزالين تشان".

روزالـــين هي صديقة لاني أولسن، إنها تعمل في قسم الشريف في منطقة نابا، تأتي إلى المشرب بين الحين والآخر.

قبل أن يتمكن بيلي من تقرير ما يجب فعله بجثة لاني، يبدو أنه تم العثور عليها.

لحظة أدرك أنه لم يجب عليها، قالت روزالين: "هل أنت بخير؟".

"أنا؟ أنا بخير، لا بأس، لكن هذا الحرّ يصيبني بالجنون".

"هل من مشكلة هناك؟".

تخـــيل صـــورة عقلية لجثة كوتل في الحمام، وجعله الذنب يشعر بالارتباك والتشويش. "مشكلة؟ لا، ولماذا تكون هنا مشكلة؟".

"ألم تتصل للتو إلى هنا وتقفل الخط من دون قول أي شيء؟".

تلبد الغموض في ذهنه لبرهة، ثم تبخر فوراً، نسي لبرهة ماذا تفعل روزالين في قسم الشريف، إنها عاملة الهاتف على رقم الطوارئ 911.

يظهـــر اسم وعنوان كل متصل بالرقم 911 على شاشتها ما إن ترفع السماعة.

سأل وهو يفكر بسرعة، أو يحاول ذلك: "كان مجرد- ماذا؟ هل حصل ذلك قبل دقيقة؟".

قالت روزالين: "قبل دقيقة وعشر ثوان من الآن. هل...؟".

قـــال: "ما فعلته هو أنني طلبت الرقم 911 فيما أردت في الواقع طلب الاستعلامات".

"هل تعني أنك أردت الاتصال بالرقم 411؟".

"أردت الاتصال بالرقم 411، لكنني ضغطت على 911، أدركت فوراً ما فعلته، فأقفلت الخط".

لا يـــزال القاتل في المنـــزل. اتصل القاتل بالرقم 911، لم يستطع بيلي معرفة لماذا فعل ذلك، أو ما أمل تحقيقه، على الأقل ليس تحت هذا الضغط.

ســـألت روزالـــين تـــشان: "لماذا لم تبقَ على الخط وتخبرني أنك أجريت الاتصال خطأ؟".

"أدركت الخطأ على الفور، فأقفلت السماعة بسرعة كبيرة بحيث ظنـــنت أن الاتـــصال لم يتم بعد، كان هذا غباء، أنا آسف روزالين، كنت أتصل بالرقم 411".

"إذاً أنت بخير؟".

"أنا بخير، فقط هذا الحر المجنون".

"ألا تملك مكيف هواء؟".

"أملكه، لكنه معطل".

"هذا مقرف".

"تماماً".

استلقى المسدس على المكتب، رفعه بيلي، القاتل موجود في المنـــزل.

قالت: "هاي، قد أمرّ إلى المشرب قرابة الساعة الخامسة".

"حـــسناً، لن أكون هناك، أشعر ببعض الغثيان، ولذلك اتصلت وأخبرتهم أنني مريض".

"ظننت أنك قلت إنك بخير".

إنه يعلق بسهولة، يحتاج إلى البحث عن الغريب في منــزله، لكن عليه أن يبدو منطقياً أمام روزالين.

"أنــا بخير، ما من شيء خطير، فقط بعض الألم في المعدة، إنه ربما زكام الصيف، أستعمل ذلك الهلام للأنف".

"أي هلام؟".

"تعرفين، هلام الزنك، تعصرينه على أنفك فيزيل الزكام منك".

قالت: "أظن أنني سمعت عن ذلك".

"إنــه جــيد، إنه مفيد، وصفه لي جاكي أوهارا، يجب إبقاؤه في متناول اليد".

سألت: "إذاً كل شيء بخير هناك؟".

"باســتثناء الحــرّ وإحساسي بالغثيان، لكن لا يمكنك فعل الكثير حيال ذلك، لا يستطيع الرقم 911 معالجة الزكام أو مكيف الهواء، أنا آسف، روزالين، أشعر أنني غبــي".

"ليــست مــشكلة كبيرة، نصف الاتصالات التي نتلقاها ليست حالات طوارئ".

"حقاً؟".

"يتــصل الأشــخاص لأن الهرّ علق في الشجرة، أو لأن الجيران يقيمون حفلة كثيرة الضجة، أو مثل هذه الأمور".

"يجعلني ذلك أشعر بالتحسن، على الأقل، لست أغبى واحد على الأرض".

"اعتنِ بنفسك بيلي".

"سأفعل، وأنت أيضاً، اهتمي بنفسك".

قالت: "وداعاً".

أغلق السماعة، ونهض عن كرسيه.

فـــيما كان بيلي في الحمام مع الجثة، عاد القاتل إلى المنـــزل، أو كـــان موجـــوداً أصـــلاً في الداخل، مختبئاً في خزانة أو في مكان ما لم يتحقق منه بيلي.

يملـــك الـــرجل شجاعة كبيرة، شجاعة كبيرة جداً، عرف بشأن المـــسدس عيار 0.38 ملم، لكنه عاد إلى المنـــزل واتصل بالرقم 911 فيما كان بيلي ينـــزع غطاء الفينيل عن الكمبيوتر.

لا يزال القاتل هنا ربما، يفعل ماذا؟ يفعل شيئاً ما.

اجتاز بيلي المكتب وصولاً إلى الباب، الذي تركه مفتوحاً. خرج منه بسرعة وهو يضع يديه على المسدس، ويحركه يميناً ويساراً.

ليس القاتل في الممر، إنه في مكان ما.

الفصل 27

بالـــرغم من أن بيلي وايلز لم يكن يضع ساعة معصمه، عرف أن الوقت يمرّ بسرعة مثلما يمرّ الماء عبر منخل.

في غرفة النوم، فتح أحد أبواب الخزانة، لا أحد.

المساحة تحت السرير ضيقة جداً، لن يختار أحد الاختباء هناك لأن الخـــروج بسرعة ليس ممكناً، سيكون هذا المخبأ مصيدة، بالإضافة إلى ذلك، لا يوجد شرشف كبير ليغطي المساحة المنخفضة.

النظر تحت السرير سيكون مضيعة للوقت، توجه بيلي نحو الباب، عاد إلى السرير، وركع على ركبة واحدة، مضيعة للوقت.

لقـــد رحل القاتل، إنه مجنون، لكنه ليس مجنوناً كفاية للبقاء هنا بعد الاتصال بالرقم 911 وإقفال الخط.

في الممر مجدداً، أسرع بيلي إلى عتبة الحمام، جلس كوتل وحيداً هناك.

كانـــت ستارة المغطس مفتوحة، لو كانت مسدلة، لكان المغطس مكاناً رئيساً للبحث فيه، ثمة خزانة كبيرة تحت سخّان الماء العامل عبر الوقود. لا تكشف عن خيارات.

غرفة الجلوس، مساحة مفتوحة، يسهل فحصها بالعينين.

يحتوي المطبخ على خزانة طويلة ضيقة، لا فائدة.

فـــتح الـــباب المؤدي إلى غرفة الطعام؛ معلّبات، علب معكرونة، قناني صلصة حريفة، لوزام منـــزلية، لا مجال لاختباء رجل كبير.

في غرفة الجلوس مجدداً، مرر المسدس بعمق تحت أريكة، لا توجد كتلة ظاهرة، لكن لو ارتطم المسدس بشيء، لأحس.

ترك الباب الأمامي مفتوحاً، دعوة، قبل الدخول مرة جديدة إلى الحمام، أغلق الباب.

بدا كوتل، مع رأسه المرتد إلى الخلف وفمه المفتوح، ويديه معاً في حضنه كما لو أنه يصفق، كأنه كان يغني أغنية غربية ويعدّ الوقت.

احتكت السكين بالعظم فيما سحبها بيلي خارج الجرح، ملأ الدم نصل السكين.

سحب بضعة مناديل ورقية من علبة موضوعة قرب حوض غسل الصحون، ونظف السكين، جمع الأوراق في كتلة ووضعها فوق صندوق الطرد.

طوى النصل في المقبض الأصفر، ووضع السكين قرب المغسلة.

عندما أزاح بيلي الجثة عن المرحاض، سقط الرأس إلى الأمام، وخرجت غازات من الشفتين، كما لو أن كوتل مات وهو يستنشق الهواء، كما لو أن نَفَسه الأخير كان عالقاً، حتى الآن، في حنجرته.

طوّق ذراعيه تحت ذراعيّ الرجل الميت. رفعه بيلي عن المرحاض، محاولاً تفادي الجزء المبلل بالدم في سترة البذلة.

كان كوتل نحيلاً جداً بفعل حمية المشروبات التي يتبعها، فبدا وزنه بالكاد أكثر من وزن مراهق، إلا أن نقله سيكون صعباً لأنه نحيل وطويل الساقين.

لحسن الحظ أن التخشب الموتي لم يبدأ بعد، كان كوتل طرياً ومطواعاً.

تراجع بيلي إلى الخلف، وجرّ الجثة خارج الحمام، أطلق حذاء الرجل الميت صوت صرير على أرضية السيراميك.

زحف الحذاء على الأرضية المصقولة بخشب الماهوغاني في الردهة والمكــتب أيضاً، مروراً حول المكتب، حيث أخفض الجثة أمام المكتب الخشبـــي.

سمع بيلي نفسه يتنفس بقوة، ليس بسبب الجهد وإنما بسبب القلق الشديد.

مرّ الوقت بسرعة، مثل نهر في شلال.

بعـــدما أزاح كرســـي المكــتب جانــباً، وضع الجثة في مساحة الركبتين، توجب عليه ثني الساقين ليتسع الرجل في الفراغ.

أعاد الكرسي أمام الكمبيوتر مجدداً، دفعها داخل مساحة الركبتين قدر الإمكان.

كــان المكتب عميقاً وله لوح عزلة في الأمام، يتوجب على أي شــخص يدخل الغرفة أن يمشي وراء مكتب العمل ويحدق عمداً إلى فراغ الركبتين لرؤية الجثة.

حتى ذلك الوقت، وبسبب الكرسي وحسب زاوية الرؤية، قد لا تكشف النظرة العادية عن هذا السر المخيف.

ســيكون الظل مفيداً، أطفأ بيلي نور السقف، ترك فقط مصباح المكتب.

عاد إلى الحمام مرة جديدة، ورأى بقعة دم على الأرض، لم يكن يوجد أي شيء قبل أن يحرك كوتل.

كان قلبه يخفق في صدره بسرعة كبيرة تتخطى كل الحدود.

خطأ واحد، إذا ارتكب خطأ هنا، سيقضى عليه.

ضـــاع إدراكـــه للوقت، عرف أن بضع دقائق فقط مرّت على بحـــثه في المنـــزل، لكنه شعر كأن عشر دقائق مرّت، لا بل خمس عشرة دقيقة.

تمـــنى لـــو أنـــه يضع ساعة معصمه، لا يجرؤ على تبديد الوقت للذهاب وإحضارها عن درابزون المصطبة.

مـــسح بقعـــة الدم عن الأرض بواسطة مناديل الحمام، أصبحت الأرضية نظيفة، لكن بقعة ملونة خفيفة بقيت في قسم من الملاط، بدت مثل صدأ وليست دماً، هذا ما أراد تصديقه.

أسقط في المرحاض كتلة مناديل الحمام، وكذلك المناديل الورقية التي استخدمها لمسح نصل السكين، ضغط على دورة المياه.

كان سلاح الجريمة على الرف قرب المغسلة، وضعه في قعر درج، بين قناني مستحضر الحلاقة وزيت الاسمرار.

عـــندما أغلـــق الدرج بسرعة كبيرة، وقوة كبيرة، صدر صوت مـــثل صـــوت الرصـــاص، عـــرف أنه يحتاج إلى سيطرة أكثر على نفسه.

علمنا أن نهتم وألا نبالي، علمنا أن نبقى ساكنين.

ســـيبقى أكثر هدوءاً لو تذكر هدفه الحقيقي، هدفه الحقيقي ليس الحلقـــة المفرغة للتفكير والتصرف، وليس الحفاظ على حريته أو حتى حـــياته، يجب أن يعيش لكي تعيش، عاجزة وإنما آمنة، عاجزة ونائمة وحالمة وإنما غير معرضة للإهانة أو للشر.

إنه رجل سطحي، لقد أثبت ذلك غالباً لنفسه.

في وجـــه المعاناة، لم يملك قوة الإرادة لمتابعة موهبته في التأليف، رفـــض الموهـــبة ليس فقط مرة واحدة وإنما مرات عدة، لأن المواهب الممـــنوحة بالقوة التي منحته هذه الموهبة تحديداً موجودة باستمرار ولا يمكن أن تفضي إلى أي شيء إذا تم رفضها باستمرار.

خـــلال معاناتـــه، قهرته قيود اللغة، التي يفترض أن تكون قوته، غلبته هذه القيود، وهذا ما كان يفترض ألا يحصل.

إنـــه رجل سطحي، لا يملك داخله القدرة على الاهتمام بعمق في الناس، على قبول كل جار داخله من دون شروط، *قوة* الشفقة داخله هي مجرد *قدرة*، ويبدو أن إمكانياتها محصورة بالاهتمام بامرأة واحدة.

بـــسبب هذه السطحية، رأى أنه رجل ضعيف، ليس ضعيفاً ربما بقـــدر رالف كوتل، وإنما غير قوي، أصابته القشعريرة لكنه لم يتفاجأ أبداً حين قال الغبـــي الثمل *أرى أنك تشبهني قليلاً*.

المـــرأة الـــنائمة، الآمـــنة والحالمة، هي هدفه الوحيد وأيضاً أمله الوحيد، لذا، عليه أن يهتم ولا يهتم، عليه أن يكون قوياً.

بـــات أكثر هدوءاً مما كان عندما أغلق الدرج، تأمل بيلي الحمام مرة جديدة. لم يرَ أي دليل على الجريمة.

لا يزال الوقت مثل نهر متدفق، مثل عجلة تدور بسرعة.

أعاد، بسرعة وإنما بتمعن، النظر في الطريق الذي جرّ الرجل الميت عـــبرها، باحـــثاً عن بقع دم إضافية مثل تلك الموجودة في الحمام، لم يكتشف أي شيء.

شـــك في نفـــسه، فجال بسرعة ومرة جديدة في الحمام، وغرفة الجلوس والمطبخ، حاول أن يرى كل شيء بعينيّ السلطة المشككة.

وحـــده الوضع على المصطبة الأمامية يجب ترتيبه، لقد ترك تلك المهمة للنهاية لأنها أقل إلحاحاً من الحاجة إلى إخفاء الجثة.

لا يملـــك الوقت للتوجه إلى المصطبة، أخذ من خزانة المطبخ قنينة الـــشراب الـــتي شرب منها ليلة الاثنين، ارتشف الشراب الاسكتلندي مباشرة من القنينة.

لكـــن بدل ابتلاع الشراب الاسكتلندي، حركه بقوة بين أسنانه، وحول فمه، كما لو أنه غسول للفم، كلما أبقى الشراب لوقت أطول في فمه، احترقت لثته ولسانه ووجنتيه أكثر.

بصق الشراب الاسكتلندي في حوض غسل الصحون قبل أن يغرغر.

شطف فمه بجرعة أخرى وإنما ترك الشراب تتحرك في حنجرته لبضع ثوانٍ.

بصق هذه الجرعة الثانية في حوض غسل الصحون فيما سمع صوت قرع عالٍ وطويل على الباب الأمامي.

أربع دقائق مرّت ربما على إقفاله الهاتف مع روزالين تشان، أو ربما خمس، شعر كأنها ساعة، شعر كأنها عشر ثوانٍ.

عندما سمع صوت القرع، فتح بيلي صنبور الماء البارد لغسل الشراب الاسكتلندي من قعر حوض غسل الصحون، ترك الماء يجري من الصنبور.

خلال الهدوء الذي تلا صوت القرع على الباب، أغلق غطاء قنينة الشراب الاسكتلندي وأعادها إلى الخزانة.

عاد إلى حوض غسل الصحون مرة جديدة، وأقفل صنبور الماء فيما سمع صوت القرع على الباب مجدداً.

الإجابة على صوت القرع من المرة الأولى قد يجعله يبدو قلقاً، والانتظار للصوت الثالث قد يجعله يبدو وكأنه يفكر في عدم الإجابة على الإطلاق.

عَبَر غرفة الجلوس، وفكر في تأمل يديه، لم يرَ أي دم.

الفصل 28

عــــندما فتح بيلي وايلز الباب الأمامي، وجد نائب الشريف يقف على مسافة ثلاث خطوات حذرة من العتبة وإلى جانب واحد. اتكأت اليد اليمنى للشرطي على المسدس في قرابه عند وركه، وارتاحت هناك لــيس كمــا لو أنه مستعد لسحب المسدس، وإنما بطريقة عفوية مثلما يقف شخص ويضع يده على وركه.

أمل بيلي في أن يعرفه، لكنه لا يعرفه.

أشارت اللصيقة الموضوعة على سترة الشرطي إلى أن اسمه الرقيب ف. نابوليتينو.

في الــسادسة والأربعــين، كان لاني أولسن في المنصب نفسه – نائب الشريف – الذي دخل فيه الخدمة كرجل شاب.

في بدايــة العقد الثاني، تمت ترقية ف. نابوليتينو إلى رتبة رقيب، يملك الطلة المصقولة، والواضحة، والذكية لرجل يمكن أن يصبح ملازماً في الخامــسة والعــشرين، نقيباً في الثلاثين، رائداً في الخامسة والثلاثين وعميداً قبل الأربعين.

كان بيلي يفضل أن يرى أمامه النموذج البدين والممتلئ والمنهك والمتــشائم، إنه ربما أحد هذه الأيام التي يجدر بك البقاء فيها بعيداً عن الروليت لأن كل رهان على الأسود يضمن رقماً أحمر.

"سيد وايلز؟"

"نعم، هذا أنا".

"ويليام وايلز؟".

"بيلي، نعم".

بدّل الرقيب نابوليتينو انتباهه بين بيلي وغرفة الجلوس وراءه.

بقـــي وجه الرقيب خالياً من التعابير، لم تكشف عيناه عن تفهم ولا عن قلق، ولا عن تعب، وإنما كانتا فقط حذرتين.

"سيد وايلز، هل تمانع أن تأتي معي إلى سيارتي؟".

ركنت سيارة قسم الشريف في الممر.

سأل بيلي: "هل تريد الدخول؟".

"لـــيس بالضرورة سيدي، فقط دقيقة أو دقيقتين إلى السيارة، إذا كنت لا تمانع".

بدا ذلك مثل طلب، لكنه لم يكن كذلك.

قال بيلي: "طبعاً، حسناً".

انعطفـــت سيارة شرطة ثانية عن الزفت الأسود، ودخلت الممر، وتوقفت على مسافة عشر أقدام من السيارة الأولى.

فـــيما تمـــدد بيلي نحو المقبض لإغلاق الباب الأمامي وراءه، قال الرقيب نابوليتينو: "لماذا لا تترك الباب مفتوحاً سيدي".

لم توضـــح نبرة صوت الرقيب ما إذا كان هذا سؤالاً أو اقتراحاً، ترك بيلي الباب مفتوحاً، توقع منه نابوليتينو أن يمشي أمامه.

داس بيلي قنينة الشراب، وتجاوز الشراب المراق على الأرض.

بالـــرغم مـــن أن البقعة عمرها أقل من خمس عشرة دقيقة، تبخر أكثر من نصفها بفعل الحرارة، في الهواء الساكن، فاحت رائحة الشراب الاسكتلندي من المصطبة.

نـــزل بيلي الدرج وتوجه إلى المرج، لم يزعم أنه غير ثابت، ليس ممـــثلاً بارعاً كفاية لتأدية دور الثمل، ويمكن لأي محاولة من هذا النوع أن تثير الشك في صراحته.

أراد الاعتماد على رائحة نَفَسه المحتملة للإيحاء بشرب الشراب وإعطاء مصداقية للرواية التي ينوي سردها.

فيما خرج شرطي من سيارة الشرطة الثانية، تعرف إليه بيلي، سام سوبياسكي، إنه أيضاً رقيب، وأكبر بخمس سنوات تقريباً من الرقيب نابوليتينو.

يأتي سوبياسكي إلى المشرب بين الفينة والأخرى، مع رفيقة له عادة، يأتي لتناول الطعام أكثر مما يأتي للشرب، ويكتفي بشرب كأسين من شراب الشعير كحدّ أقصى.

لا يعرفه بيلي جيداً، ليسا صديقين، لكن معرفته قليلاً أفضل من التعاطي مع غريبين.

على المرج الأمامي، استدار بيلي للنظر إلى المنزل.

لا يزال نابوليتينو على المصطبة. وصل إلى الدرجات وبدأ ينزل من دون أن يدير ظهره تماماً للباب المفتوح أو للنوافذ، لكنه بدا غير مهتم على الإطلاق.

سار الآن في المقدمة، واستدار مع بيلي حول سيارة الشرطة بحيث أصبحت هذه الأخيرة بينهما وبين المنزل.

انضم إليهما الرقيب سوبياسكي. "مرحبا بيلي".

"حضرة الرقيب سوبياسكي، كيف حالك؟".

ينادي الجميع نادل المشرب باسمه الأول، في بعض الحالات، تكون المودّة متوقعة في المقابل، لكنها ليست كذلك في هذه الحال.

قال سوبياسكي: "البارحة كان يوم الفليفلة الحريفة، ونسيت".

قال بيلي: "يحضّر بين أفضل فليفلة حريفة".

قال سوبياسكي: "بين بارع جداً في الفليفلة".

كانت السيارة مثل مغنطيس للشمس، حارقة الهواء حولها وحارقة حتماً على اللمس.

بما أنه كان أول الواصلين، تولى نابوليتينو المهمة. "سيد وايلز، هل أنت بخير؟".

"طبعاً، أنا بخير، أعتقد أن الأمر متعلق بحماقتي".

قال نابوليتينو: "اتصلت بالرقم 911".

"أردت الاتصال بالرقم 411. أخبرت روزالين تشان".

"لم تخبرها إلى أن عاودت هي الاتصال بك".

"أقفلت الخط بسرعة كبيرة بحيث لم أدرك أن الاتصال تم".

"سيد وايلز، هل أنت معرّض لأي إكراه بالتهديد؟".

"إكـــراه بالـــتهديد؟ هاي، لا، تقصد أن شخصاً ما كان يضع المسدس في رأسي حين كنت على الهاتف مع روزالين؟ واو، هذه فكرة غـــريبة فعلاً، لا أقصد الإهانة، أعرف أن هذا النوع من الأمور يحصل، ولكن ليس معي".

حذّر بيلي نفسه بضرورة إعطاء أجوبة مقتضبة، فالأجوبة الطويلة قد تبدو مثل الثرثرة العصبية.

سأل نابوليتينو: "قلت إنك مريض لمركز عملك؟".

"نعـــم". كشّر ولكن بطريقة دراماتيكية، ووضع يداً على بطنه. "أعاني من وجع في المعدة".

أمل في أن يشمّا رائحة نَفَسه، استطاع شخصياً شمّها، إذا استطاعا شمّ رائحة نفسه، سيظنان أن ادعاءه بالمرض هو محاولة سخيفة لإخفاء حقيقة كونه ثملاً قليلاً.

"سيد وايلز، من يعيش غيرك هنا؟".

"لا أحد، فقط أنا، أعيش وحيداً".

"هل من أحد في المنـــزل الآن؟".

"لا. لا أحد".

"لا صديق أو فرد من العائلة؟".

"لا. ولا حتى كلب، أفكر أحياناً في إحضار كلب، لكنني لا أفعل ذلك أبداً".

لم يكن المبضع أكثر حدة من عينيّ الرقيب نابوليتينو. "سيدي، إذا كان يوجد رجل شرير هناك...".

طمأنه بيلي: "لا رجل شرير".

"إذا تم احتجاز شخص يهمك أمره تحت قوة الإكراه، فإن أفضل شيء تفعله هو إخباري".

"طبعاً، أعرف ذلك، ومن لا يعرف ذلك؟".

قـــوة الحرارة الخارجة من السيارة المسفوعة بالشمس جعلت بيلي نـــصف مـــريض، ذبل وجهه، بدا أن الرقيبين لم ينـــزعجا من الهواء الحار.

قـــال سوبياسكي: "تحت الضغط والترهيب، يتخذ الناس قرارات سيئة، بيلي".

قال بيلي: "الله. جعلت نفسي أحمق *فعلاً* هذه المرة، بإقفال الخط في وجه الرقم 911، ومن ثم بما قلته لروزالين".

سأل نابوليتينو: "ماذا قلت لها؟".

كـــان بيلي واثقاً من أنهما يعرفان الأمور الأساسية لما قاله، وهو يتذكـــر بوضوح تام كل كلمة قالها، لكنه أمل في إقناعهما بأنه مرتبك جداً بفعل الشراب ليتذكر كيف أوقع نفسه في هذه الورطة.

"مهما قلت، لا بد أنه كان غباء مني إذا أوحيت إليها بأن شخصاً ما يسبب لي مشكلة، إكراه بالتهديد، يا الله، هذا محرج جداً".

هزّ رأسه على غبائه، وأطلق ضحكة جافة، وهزّ رأسه مجدداً.

راقبه الرقيبان.

"لا يوجد أحد هنا سواي، تمر أيام ولا يأتي أحد إلى هنا، لا يوجد أحد هنا سواي، أبقى دوماً وحيداً، هكذا أنا".

هذا كاف، أصبح قريباً جداً من الثرثرة مجدداً.

إذا كانا يعرفان بشأن باربارة، فإنهما يعرفان كيف هو، وإذا كانا لا يعرفان بشأنها، ستخبرهما روزالين.

لقد جازف بالقول إن أحداً لم يزره منذ أيام، عن طريقة الصح أو الخطأ، شعر كأنه يجدر به الإشارة إلى حياته المنعزلة.

إذا رأى أحد في المنازل المجاورة رالف كوتل وهو يمشي في هذا الممر أو لاحظه جالساً على المصطبة، وإذا قرر الرقيبان استجواب الجيران، سيعلق بيلي في الكذب.

سأل نابوليتينو: "ماذا حصل لجبينك؟".

حتى تلك اللحظة، نسي بيلي أمر جروح الصنانير في حاجبه، لكن ألماً حاداً انبعث فيها عندما طرح الرقيب السؤال.

الفصل 29

أصرّ الرقيب نابوليتينو: "أليست هذه ضمادة؟".

بالرغم من انسدال شعر بيلي الكثيف فوق جبينه، لم يخفِ تماماً ضمادات الشاش والشريط اللاصق.

قال بيلي "تعرضت لحادث بسيط بالمنشار"، وهو متفاجئ قليلاً بالسرعة التي خطرت له هذه الكذبة.

قال الرقيب سوبياسكي: "يبدو حادثاً مهماً".

"لا، ليس شيئاً مهماً، أملك محترفاً لحفر الخشب في المرأب، صنعت بنفسي كل خزانات المنزل، الليلة الماضية، كنت أعمل على شيء ما، أقطع خشبة جوز، وكانت هناك عقدة فيها، أصابت الشفرة العقدة، وتناثرت بضع شظايا على جبيني".

قال سوبياسكي: "قد تخسر عيناً بهذه الطريقة".

"أضع نظارة وقاية، أضع دوماً نظارة وقاية".

قال نابوليتينو: "هل ذهبت إلى طبيب؟".

"لا. لا حاجة، مجرد شظايا قليلة، نزعتها بواسطة ملقط صغير، اللعنة، السبب الوحيد الذي دفعني إلى استعمال الضمادة هو أنني أحدثت المزيد من الأذى بالملقط الصغير عندما حاولت إخراج الشظايا".

"انتبه من الالتهاب".

"نقعت الجروح في بيروكسيد الهيدروجين، ثم وضعت النيوسبورين عليها، سأكون بخير، يحصل هذا النوع من الأمور".

شـــعر بيلـــي أنه أشبع فضولهما، بالنسبة إليه، لا يبدو مثل رجل معرض للإكراه بالقوة، مع مشكلة حياة أو موت.

كانـــت الشمس حارقة جداً، والحرارة الخارجة من السيارة شوته بفاعلية أكثر مما قد يفعل المايكروويف، لكنه كان بارداً.

عندما اتخذت الأسئلة منحى سلبياً وأكثر عدائية، لم ينتبه فوراً إلى التغيير.

قال نابوليتينو: "سيد وايلز، هل اتصلت بعدها بالاستعلامات؟".

"فعلت ماذا؟".

"بعدما طلبت خطأ الرقم 911، وأقفلت الخط، هل اتصلت بالرقم 411 مثلما كنت تنوي؟".

"لا، جلست هناك لدقيقة أفكر في ما فعلته".

"جلست هناك لدقيقة تفكر كيف طلبت خطأ الرقم 911؟".

"حـــسناً، ليس دقيقة كاملة. مهما كان الوقت، لم أشأ ارتكاب خطـــأ مجـــدداً، كنت أشعر بالقليل من الغثيان، مثلما قلت، معدتي، ثم اتصلت بـــي روزالين".

"قبل أن تطلب الرقم 411 للاستعلامات، اتصلت هي بك".

"هذا صحيح".

"بعد حديثك مع عاملة الهاتف على الرقم 911...".

"روزالين".

"نعم، بعد حديثك معها، هل اتصلت بالرقم 411؟".

تفـــرض شركة الهاتف رسم خدمة على كل اتصال بالرقم 411. إذا أجرى اتصالاً، سيملكون سجلاً له".

قـــال بيلـــي: "لا، شعرت أنني شخص أحمق، احتجتُ إلى كأس شراب".

الإشـــارة إلى الشراب جاءت بصورة طبيعية، كما لو أنه حاول إقناعهما بثمله المفترض. ظنّ أنه بدا مقنعاً ومنطقياً.

قال نابوليتينو: "ما هو الرقم الذي أردتَ الحصول عليه لو اتصلت بالرقم 411؟".

أدرك بيلـــي أن هـــذه الأسئلة لم تعد مرتبطة برفاهته وسلامته، ثمـــة عدائـــية مخفـــية صـــبغت أسئلة نابوليتينو، بطريقة رقيقة وإنما واضحة.

تساءل بيلي إذا كان يجدر به الاعتراف علناً بهذا التطور وسؤالهما عن نيتهما، لا يريد أن يبدو مذنباً.

قال: "ستيف. احتجت إلى رقم ستيف زيليس".

"إنه...؟".

"إنه نادل في المشرب".

سأل نابوليتينو: "يعمل مكانك حين تكون مريضاً؟".

"لا. يعمل في المناوبة التي تلي مناوبتي. لَم يهمّ ذلك؟".

"لماذا أردت الاتصال به؟".

"أردت فقط تحذيره في أثناء غيابـــي، وأنه عندما يأتي إلى العمل، ســـيتوجب علـــيه تـــرتيب الفوضى لأن جاكي سيكون مسؤولاً عن المشرب وحده".

سأل نابوليتينو: "جاكي؟".

"جاكي أوهارا، إنه صاحب المشرب، إنه يعمل مكاني، لا يرتّب جاكـــي المـــشرب باســـتمرار، المشرب السفلي، مثلما يجب، تتراكم الأوســـاخ والبقع فوق بعضها بحيث يحتاج الرجل الذي يأتي بعده إلى خمس عشرة دقيقة مسعورة للتنظيف وترتيب مكان العمل مجدداً".

كلما توجب على بيلي إعطاء جواب أطول وأكثر تفسيراً، يسمع

ارتعاشاً في صوته، لا يظن أنه يتخيل ذلك، اعتقد أن الرقيبين استطاعا سماع الارتعاش أيضاً.

يـــتحدث الجميع بهذه الطريقة ربما عند التحدث إلى رجال شرطة لوقت طويل، قد يكون عدم الارتياح طبيعياً.

إلا أن تحـــريك الـــيدين كثيراً ليس طبيعياً، خصوصاً بالنسبة إلى بيلي، خلال إجاباته الطويلة، لاحظ أنه يحرّك يديه كثيراً، ولا يستطيع التحكم فيهما.

بطـــريقة دفاعية، وإنما محاولاً أن يبدو عفوياً، وضع يديه في جيبيّ ســـرواله، عثر في كل جيب على ثلاث خراطيش من عيار 0.38 ملم، ذخيرة احتياطية.

قـــال نابوليتينو: "أردت إذاً تحذير ستيف زيليس من أنه سيواجه فوضى".

"هذا صحيح".

"ألا تعرف رقم هاتف السيد زيليس؟".

"لا أتصل به غالباً".

لم تعـــد هـــذه محادثـــة بريئة من الأسئلة والأجوبة، لم يصلا إلى مستوى الاستجواب بعد، لكنهما في الطريق إلى ذلك.

لم يفهم بيلي تماماً لَمَ تكون الحال كذلك؛ سوى أن يكون سلوكه وأجوبته بريئين مثلما ظن.

"أليس رقم السيد زيليس مذكوراً في الدليل؟".

"أظن ذلك، لكن من الأسهل أحياناً الاتصال بالرقم 411".

قال نابوليتينو: "إلا إذا طلبت خطأ الرقم 911".

قـــرر بيلي أن عدم الإجابة أفضل من جرّ نفسه إلى الغباء، مثلما فعل قبلاً.

إذا تدهور الوضع إلى مرحلة يقرران فيها تفتيشه، أو حتى تربيته، سيعثران على الخراطيش في جيوبه.

تساءل إذا كان في وسعه تبرير وجود الخراطيش بكذبة أخرى سهلة ومقنعة، في الوقت الحاضر، لا يستطيع التفكير في واحدة.

لكنه لا يصدق أن الأمر سيصل إلى هذه المرحلة، فالشرطيان هنا لأنهما ظنا أنه في خطر ربما، عليه فقط إقناعهما بأنه في أمان، ويرحلان.

إلا أن شيئاً قاله - أو لم يقله - جعل الشك يساورهما، إذا استطاع العثور على الكلمات الصحيحة، الكلمات السحرية، سيذهب الشرطيان بعيداً.

الآن، هنا، توقف مجدداً أمام حدود اللغة.

بقدر ما بدا التغيير حقيقياً في موقف نابوليتينو، ثمة شيء في بيلي قال له إنه يتخيله، محاولة إخفاء قلقه بدّلت إدراكاته، وجعلته يشعر ببعض الخوف الكبير.

طلب من نفسه البقاء ساكناً، التحلي بالصبر.

قال نابوليتينو: "سيد وايلز، هل أنت واثق تماماً من أنك اتصلت شخصياً بالرقم 911؟".

بالرغم من أن بيلي سمع تماماً الجملة، لم يستطع فهم معناها تماماً، لم يستطع فهم النية الكامنة وراء السؤال، ونظراً إلى كل شيء قاله لهما حتى الآن، لم يعرف ما هو الجواب الذي يتوقعانه منه.

ألح نابوليتينو: "هل من أي احتمال أن يكون شخص آخر في منزلك أجرى ذلك الاتصال بالرقم 911؟".

ظن بيلي لبرهة أنهما يعرفان نوعاً ما بشأن القاتل، لكنه فهم بعد ذلك، لقد فهم.

كـــان ســـؤال الـــرقيب نابوليتيـــنو مصاغاً بطريقة موجهة نحو التحديات القانونية النهائية لإجراءات الشرطة. ما *أراد* سؤاله لبيلي كان أكثر صراحة: *سيد وايلز، هل تحتجز أحداً في منـــزلك تحت الإكراه، وهـــل تحـــررت لوقت طويل كفاية لطلب الرقم 911، وهل أبعدت الهاتف عن يده وأقفلت السماعة، على أمل ألا يكون الاتصال قد تم*".

لطرح السؤال بطريقة أكثر فظاظة مما فعل، يتوجب على نابوليتينو أولاً إبـــلاغ بيلـــي بحقه الدستوري في البقاء صامتاً حتى حضور محامٍ للاستجواب.

أصبح بيلي وايلز مشتبهاً به.

كان على الحافة، شفا الكارثة.

لم يحسب بيلي أبداً الخيارات والعواقب بهذه الطريقة، مدركاً أن كل ثانية من التردد تجعله يبدو مذنباً أكثر.

لحـــسن الحظ، لم يضطر إلى قمع تعبير الذهول، لا بد أن فكه بدا منفصلاً عن فمه.

غير واثق من قدرته على التظاهر بالغضب أو حتى الإهانة من أي قناعة، لعب بيلي بدل ذلك لعبة المفاجأة الحقيقية: "يا الله، لا تظن...؟ هل تظن أني... الله، أنا آخر شخص أتوقع أن يتم اعتباره إرهابياً".

لم يقل نابوليتينو أي شيء.

وكذلك سوبياسكي.

كانت عيونهما جامدة مثل محور الجيروسكوب الدوار.

قال بيلي: "طبعاً عليك التفكير في هذا الاحتمال، أفهم، فعلاً، لا بأس، اذهب إلى الداخل إذا شئت. ألقِ نظرة".

"ســـيد وايلـــز، هل تدعوني إلى تفتيش منـــزلك بحثاً عن متطفل أو آخرين؟".

لامست أطراف أصابعه الخراطيش في جيبيه، وتذكر في مخيلته صورة كوتل في مساحة الساقين تحت المكتب...

قال بدماثة، كما لو أنه مرتاح لأنه فهم أخيراً ما هو المطلوب منه: "ابحث عن أي شيء، هيا".

"سيد وايلز، أنا لا *أطلب* تفتيش منزلك، هل فهمت الوضع؟".

"طبعاً، أعرف، لا بأس، تفضل فتشه".

إذا تمت دعوتهما إلى الدخول، يمكن لأي دليل يعثران عليه أن يتم استعماله في المحكمة، وإذا دخلا بدل ذلك من دون دعوة، من دون مذكّرة أو من دون سبب ملائم للاعتقاد أن شخصاً في الداخل قد يكون في خطر، سترفض المحكمة الدليل نفسه.

سيعتبر الرقيبان تعاون بيلي بمثابة دليل موحي بالبراءة.

شعر بارتياح كاف لإخراج يديه من جيبيه.

إذا كان منفتحاً، مرتاحاً، مشجعاً كفاية، قد يقرران أنه لا يخبئ أي شيء، قد يغادران من دون إزعاج نفسيهما بتفتيش المكان.

نظر نابوليتينو إلى سوبياسكي، وأومأ له سوبياسكي.

"سيد وايلز، بما أنك تشعر بالتحسن إذا فعلت ذلك، سأقوم بجولة سريعة في المنزل".

استدار الرقيب نابوليتينو أمام سيارة الشرطة، وتوجه إلى درج المصطبة، تاركاً بيلي مع سوبياسكي.

الفصل 30

الذنب يفشي نفسه خلال الخوف من الإفشاء، قال أحدهم، ربما شكسبير أو أو.ج.سمبسون. لم يتذكر بيلي من عبّر جيداً عن هذه الفكرة بكلمات، لكنه أدرك الحقيقة في العبارة وشعر بها تماماً الآن.

في المنزل، صعد الرقيب نابوليتينو الدرج الأمامي واجتاز المصطبة، وتجاوز قنينة الشراب والشراب المراق الذي لم يتبخر بعد.

قال سوبياسكي: "صارم المظهر".

"عفواً؟".

"فينس، إنه صارم المظهر، ينظر إليك بعينين خاليتين من التعبير، بوجه صامت، لكنه ليس صارماً فعلاً مثلما تظن".

عند الإفصاح عن الاسم الأول للرقيب نابوليتينو، بدا سوبياسكي وكأنه يثق في بيلي.

كان بيلي مستعداً تماماً لخيبة الأمل والمراوغة، فشك في أن الرقيب لا يثق فيه وإنما يعتبره مثل عنكبوت يلقي التحية على النحلة الواقعة في شركه بحرارة ومودّة.

في المنزل، اختفى فينس نابوليتينو عبر الباب الأمامي المفتوح.

تابع سوبياسكي: "لا يزال فينس يحتفظ بالكثير من الأكاديمية في داخله، عندما يتم استفزازه قليلاً، لا يخرج قوياً".

قال بيلي: "إنه ينجز مهمته، أفهم ذلك، لا مشكلة".

بقي سوبياسكي في الممشى لأنه لا يزال يشك جزئياً في ارتكاب بيلي لجريمة ما، وإلا، لدخل الرقيبان معاً لتفتيش المنـــزل، بقي الرقيب سوبياسكي هنا لإلقاء القبض على بيلي إذا حاول الفرار.

"كيف تشعر؟".

قـــال بيلي: "بخير، أشعر فقط ببعض الغباء لأنني سببت لكما كل هذه المشكلة".

قال سوبياسكي: "قصدت معدتك".

"لا أعرف، تناولت ربما شيئاً فاسداً".

قـــال سوبياســـكي: "لا يمكـــن أن يكون طبقاً حريفاً من بين فيرنـــون، فتلك الأطباق حريفة جداً بحيث تشفي أي مرض معروف للعلم".

- مدركاً أن رجلاً بريئاً، لا يخاف من أي شيء، لن يحدق بقلق إلى المنـــــزل، منتظراً انتهاء نابوليتينو من التفتيش، استدار بيلي بعيداً عن المنـــزل وحدّق إلى الوادي، إلى الكروم المتألقة بوهج ذهبـــي، إلى الجبال الشامخة في الضباب الأزرق.

قال سوبياسكي: "السلطعون يسبب ذلك".

"ماذا؟".

"الـــسلطعون، القريدس، الكركند، إذا كان فاسداً قليلاً، يسبب انـــزعاجاً حقيقياً".

"تناولت لازانيا الليلة الماضية".

"يبدو هذا آمناً".

قال بيلي "ربما ليست اللازانيا التي تناولتها"، محاولاً تقليد لامبالاة سوبياسكي الظاهرة.

قــال الرقيب بالقليل من التململ: "هيا فينس، أعرف أنك دقيق، أيهــا الرفيق، لست مجبراً على إثبات أي شيء لي". ثم سأل بيلي: "هل تملك علّية؟".

"نعم".

تنهد الرقيب. "سيتحقق من العلية".

خــرجت من الغرب مجموعة من الطيور الصغيرة، فحلّقت على علــوّ مــنخفض ثم ارتفعت لتنخفض مجدداً، إنها طيور نقّار، لا تنشط عادة في مثل هذا الحرّ.

سأل سوبياسكي: "هل تريد واحدة من هذه؟".

عــرض علــيه الــرقيب الطــرف المفــتوح لعلبة من أقراص النعناع.

أصيب بيلي لبرهة بالذهول، إلى أن أدرك أن يديه كانتا في جيبيه مجدداً، متحسساً الخراطيش.

أخرج يديه من سرواله. قال، وهو يأخذ قرص نعناع: "أخشى أن الوقت تأخر قليلاً على ذلك".

قــال سوبياســكي: "مخاطر العمل، حسبما أظن، كونك نادل، تكون محاطاً بتلك الأشياء طوال اليوم".

مــصّ بيلــي قرص النعناع وقال: "في الواقع، لا أشرب كثيراً، أســتيقظ عــند الساعة الثالثة، ولا أستطيع إراحة عقلي، فأقلق بشأن الأمور التي لا أستطيع السيطرة عليها على كل حال، فأظن أن جرعة أو جرعتين ستكون مفيدة".

"نعــاني جمــيعاً من ليالٍ كهذه، أنا أسميها نوبات الحنين. لكن لا يمكــنك الــتخلص منها على كل حال، كوب من الشوكولا الساخنة يشفي أي أرق، لكنه لا ينفع مع نوبات الحنين".

"بالرغم من أن الشراب لم ينفع، بقيت طريقة تمضية الليل، ثم الصباح".

"أنت تتحملها جيداً".

"حقاً؟".

"لا تبدو ثملاً".

"لـــست ثملاً، كنت أشرب قليلاً خلال الساعات القليلة الماضية، محاولاً تخفيف الأمور لتفادي تأثير الشراب".

"هل هذه هي الطريقة؟".

"إنها واحدة من الطرائق".

يسهل الحديث مع الرقيب سوبياسكي، يسهل كثيراً.

حلقـــت الطـــيور على علو منخفض في اتجاههما مجدداً، مالت جانبـــياً، ثم حلّقـــت في الأعـــالي، ومالت مجدداً، وكان الثلاثون أو الأربعون طيراً تحلق معاً بحركة واحدة.

قال سوبياسكي عن الطيور: "إنها مصدر إزعاج حقيقي".

طيور النقار، ذات المناقير المستدقة، تحب منازل وإسطبلات ودور عبادة منطقة نابا لحفر أنماط دقيقة في الكورنيشات الخشبية، والعتبات، والأفاريز والألواح الخشبية.

قال بيلي: "لا تزعج منـــزلي أبداً، إنه من خشب الأرز".

يجـــد العديد من الأشخاص عمل طيور النقار المخرب جميلاً جداً بحـــيث لا يتم استبدال الخشب التالف بسببها إلا بعد أن يتلفه الوقت والعوامل الطبيعية.

سأل سوبياسكي: "ألا تحب خشب الأرز؟".

"لا أعرف، لكنها لا تحب خشبـــي".

بعـــد أن تنجـــز طيور النقار حفرها، تزرع البلوط في العديد من الـــثقوب، عالياً في المبنى حيث تستطيع الشمس تدفئتها. بعد أيام قليلة،

تعـــود الطيور للإصغاء إلى البلوط، عند سماع ضجيج في بعضها، وعدم سمـــاع أي شيء في بعضها الآخر، تنقر الطيور حبات البلوط المصدرة للضجيج لتناول اليرقانات التي تعيش داخلها.

هذا كثير لحرمة المنــــزل.

ينجز كل من طيور النقار والرقيبان عمله.

إنهما يفعلان ذلك ببطء ومن دون شفقة.

قال بيلي "ليس مكاناً كبيراً"، وهو يسمح لنفسه أن يبدو متململاً قليلاً، مثلما افترض أن يفعل الرجل البريء.

عـــندما عاد الرقيب نابوليتينو، لم يخرج من الباب الأمامي. ظهر من الجهة الجنوبية للمنـــزل، من جهة المرأب.

لم يقترب وهو يضع يداً على مسدسه، كانت هذه إشارة جيدة ربما.

هــــربت الطيور إلى زاوية بعيدة في السماء كما لو أنها خافت من رؤية نابوليتينو.

قـــال لبيلي: "تملك محترفاً جميلاً للخشب، يمكنك فعل أي شيء هناك".

لفظ الرقيب الشاب الكلمات كما لو أن بيلي استخدم الأدوات لتفكيك جثة.

نظر نابوليتينو نحو الوادي وقال: "تملك منظراً رائعاً هنا".

قال بيلي: "إنه جميل".

"إنه جميل جداً".

وافق بيلي الرأي: "صحيح".

"أنا متفاجئ لأنك تبقي كل ستائر النوافذ مسدلة".

اســـترخى بيلي بسرعة، قال بنبرة نصف متناسقة: "عندما يكون الطقس حاراً هكذا، أسدل الستائر، بسبب الشمس".

"حتى في جهات المنـــزل التي لا تضربها الشمس؟".

قـــال بيلـــي: "في مـــثل هذا اليوم الساطع، مع صداع الشراب الاسكتلندي، ترغب في شيء مظلم".

قـــال سوبياســـكي لنابوليتينو: "أمضى الصباح كله وهو يشرب بكميات ضئيلة محاولاً تخفيف الثمالة وتفادي الآثار البغيضة لها".

سأل نابوليتينو: "هل هذه هي الطريقة؟".

"إنها واحدة من الطرائق".

"الجو جميل وبارد هنا".

قال بيلي: "البرودة تساعد أيضاً".

"قالت روزالين إن مكيف الهواء معطل عندك".

نسي بيلي تلك الكذبة الصغيرة، مثل خيط صغير في شبكته المرقعة الهائلة من الكذب.

قال: "يتعطل لبضع ساعات، ثم يعمل، ثم يتعطل مجدداً، لا أعرف إذا كانت المشكلة في الضاغط".

قال نابوليتينو وهو لا يزال يحدق إلى الوادي: "يفترض أن يكون غـــداً أكثر حرّاً، من الأفضل إحضار عامل تصليح إذا لم يكن محجوزاً أصلاً حتى الميلاد".

قال بيلي: "سألقي نظرة عليه بنفسي بعد قليل، أنا بارع قليلاً في هذه الأمور".

"لا تحاول العبث بالآلة إلا حين تستعيد كامل رزانتك".

"لن أفعل، سأنتظر".

"وخصوصاً المعدات الكهربائية".

"سأحـــضر شـــيئاً لتناوله، سيفيدني ذلك، لا بل إنه سيعالج ألم معدتي ربما".

نظـــر نابوليتينو أخيراً إلى بيلي. "أنا آسف لأنني أبقيتك هنا تحت الشمس، مع صداعك وكل شيء".

بـــدا الـــرقيب صريحاً، مسترضياً للمرة الأولى، لكن عينيه بقيتا باردتين وداكنتين مثل فوهتيّ مسدسين.

قال بيلي: "الغلطة غلطتي. أنتما تنجزان عملكما، لقد قلت بست طـــرائق قـــبلاً إنني غبـــي، ما من طريقة أخرى لقولها، أنا آسف فعلاً لأنني بددت وقتكما".

ابتسم نابوليتينو ابتسامة صغيرة: "نحن هنا للخدمة والحماية، هذا مكتوب على باب السيارة".

قـــال الـــرقيب سوبياســـكي: "أحب أكثر عندما يقال *أفضل ما يشتريه المال من رجال الشرطة*". بحيث خرجت ضحكة كبيرة من بيلي وإنمـــا صـــدرت فقط نظرة انـــزعاج من نابوليتينو. "بيلي، لقد حان الوقت ربما للتوقف عن شرب الشراب والبدء بتناول الطعام".

أومأ بيلي برأسه. "أنت محق".

فيما توجه نحو المنـــزل، شعر أنهما يراقبانه، لم ينظر إلى الخلف.

كان قلبه هادئاً نسبياً، عاد الآن ليخفق بقوة مجدداً.

لا يستطيع تصديق حظه، خشي ألا يستمر ذلك.

على المصطبة، رفع ساعته عن الدرابزون، ووضعها على معصمه.

انحـــنى لـــرفع قنينة الشراب الاسكتلندي، لم يرَ الغطاء، لا بد أنه تدحرج على المصطبة أو تحت كرسي هزاز.

علـــى الطاولـــة قرب كرسيه، وضع قطع البسكويت الثلاث في العلبة الفارغة، التي احتوت لبعض الوقت المسدس عيار 0.38 ملم، رفع كوب الكولا.

توقع سماع محركيّ سيارتي الشرطة، لكنه لم يسمع أي شيء.

مـــن دون النظـــر إلى الخلـــف، حمل الكوب والعلبة والقنينة إلى الداخل، أغلق الباب واتكأ عليه.

في الخارج، بقي صمت النهار، والمحركان صامتين.

الفصل 31

حـــذرت الـــريبة المفاجـــئة بيلي أنه طالما بقي متكئاً بظهره على الباب، لن يغادر الرقيبان نابوليتينو وسوبياسكي.

أصغى جيداً، ثم توجه إلى المطبخ، وضع علبة البسكويت في سلة المهملات.

أصـــغى جيداً، وأفرغ آخر أونصة من قنينة الشراب الاسكتلندي في حوض غسل الصحون، ثم ألحقها بالكولا الموجودة في الكوب، رمى القنينة في سلة المهملات، ووضع الكوب في غسالة الصحون.

عـــندما لم يـــسمع بيلـــي أي صوت لمحركيّ السيارتين، أزعجه الفضول بإصرار كبير.

أصبح المنـــزل المسدل الستائر مصدراً أكبر لرهاب الاحتجاز، بدا له المنـــزل وكأنه يتقلص إلى حجم تابوت، ربما لأنه يعرف أنه يحتوي على جثة.

ذهب إلى غرفة الجلوس، وحاول رفع إحدى الستائر المثنّاة، كلها، لكـــنه لم يشأ أن يظن الرقيبان أنه يرفع الستائر لمراقبتهما وأن وجودهما المستمر يقلقه.

أبعـــد بحذر طرف إحدى الستائر عن إطار النافذة، ليس في زاوية لرؤية الممشى.

انتقل بيلي إلى نافذة أخرى، وحاول مجدداً، رأى الرجلان يقفان أمام سيارة نابوليتينو، حيث تركهما. لم يكن أي من الرقيبين ينظر إلى المنـــزل.

كانا في حديث عميق، يستبعد أنهما يناقشان البايسبول.

تساءل إذا كان نابوليتينو فكر في تفتيش المحترف بحثاً عن لوح الخشب المشتمل على العقدة، لن يعثر الرقيب على هذا اللوح طبعاً لأنه غير موجود.

عندما التفت سوبياسكي نحو المنزل، أفلت بيلي الستارة على الفور، أمل أنه تحلى بالسرعة الكافية.

قبل أن يذهبا، لا يستطيع بيلي فعل أي شيء غير القلق. لكن مع كل الأمور الواجب القلق بشأنها، بدا غريباً أن كل هذه السحابة من القلق تكثفت فوق الفكرة الغريبة أن جثة رالف كوتل لم تعد موجودة تحت المكتب، حيث تركها.

لنقل الجثة، يتوجب على القاتل أن يعود إلى المنزل فيما كان الرقيبان يتحدثان مع بيلي في الممشى، قبل أن يعود هو إلى المنزل، لقد أثبت القاتل جرأته، لكن هذا يعتبر تهوراً لا بل تهوراً شديداً.

لكن إذا تم نقل الجثة، عليه العثور عليها، لا يستطيع الانتظار حتى تظهر الجثة فجأة في وقت غير ملائم.

سحب بيلي المسدس من تحت وسادة الأريكة.

عندما فتح الأسطوانة وتحقق من وجود الخراطيش الست في مكانها، أكّد لنفسه أن هذا شكاً سليماً، وليس رهاباً قوياً.

مشى في الردهة، فيما تسارع قليلاً توتر أعصابه، وعندما اجتاز العتبة المؤدية إلى المكتب، تحول القلق إلى إنذار قوي.

أبعد الكرسي عن المكتب.

محاطاً بالجهات الثلاث لمساحة القدمين، في الطيات الناعمة لبذلته المتجعدة، بدا رالف كوتل مثل حشوة الجوزة المتقوقعة داخل القشرة.

قبل دقائق قليلة، لم يتخيل بيلي أبداً أنه سيشعر *بالارتياح* للعثور على جثة في منزله.

شـــك في أنه تم زرع قطع عدة من الأدلة التي تربطه بكوتل على جـــثة الـــرجل، حتى لو أخذ الوقت لفحص الجثة بدقة، سيفوّت حتماً دليلاً أو آخر.

لا بد من إتلاف الجثة أو حرقها حيث لا يمكن العثور عليها أبداً، لم يقـــرر بيلـــي بعد كيف سيتخلص منها؛ لكن بالرغم من التطورات المتراكمة للأزمة الحالية، راحت الزوايا المظلمة لعقله تعدّ سيناريوهات بشعة.

بعـــدما عثـــر علـــى الجثة مثلما تركها، اكتشف أيضاً أن شاشة الكمبيوتر لا تزال مضاءة وتنتظر. لقد حمّل القرص الذي وجده في يد كوتل، لكن قبل أن يتمكن من مراجعة محتوياته، اتصلت روزالين تشان لسؤاله إذا اتصل بالرقم 911.

أعـــاد الكرســـي إلى أمـــام المكـــتب مرة جديدة، جلس خلف الكمبيوتر، واضعاً ساقيه تحت الكرسي، بعيداً عن الجثة.

احـــتوى القرص على ثلاثة مستندات، الأول اسمه ***لماذا*** من دون علامة استفهام.

عندما نفذ إلى المستند، تبين أنه قصير:

لأنني، أنا أيضاً، صياد رجال.

قـــرأ بيلـــي الـــسطر ثلاث مرات، لم يعرف ماذا يفعل به، لكن الجروح في حاجبه آلمته مجدداً.

تعرف على المغزى الديني لهذه العبارة.

الاســـتنتاج السهل قد يكون أن القاتل متعصب دينياً يظن أنه يسمع أصـــواتاً تحـــثه على القتل، لكن الاستنتاجات السهلة تكون غير صحيحة عادة، يحتاج التحليل المنطقي السليم إلى أكثر من شكل واحد للتعميم.

بالإضـــافة إلى ذلك، يملك القاتل ميلاً إلى الازدواجية، قدرة على التـــشويش والإربـــاك، موهبة بتوليد خيبة الأمل، وبراعة في الغموض، يفضل المائل على المستقيم، المراوغة على الصراحة.

لماذا .

لأنني أنا أيضاً صياد رجال.

المعنى الحقيقي والكامل لهذه العبارة لا يمكن معرفته بشكل مؤكد حـــتى بعد قراءتها مئة مرة، وليس في الوقت المحدد الذي يستطيع بيلي حالياً تكريسه لتحليلها.

المستند الثاني اسمه ***كيف***. و لم يكن أقل غموضاً من المستند الأول.

وحشية، عنف، موت
حركة، سرعة، تأثير
لحم، دم، عظم.

بالرغم من افتقاد هذه الأسطر الثلاثة إلى السجع أو القافية، فإنها أشبه بقصيدة، وكما هي الحال في القصائد الأكثر إبهاماً، لم يكن المعنى واضحاً.

أحـــسّ بيلي أن هذه الأسطر الثلاثة هي الأجوبة الثلاثة، وأنه إذا عرف الأسئلة، سيعرف أيضاً هوية القاتل.

سواء أكان هذا الانطباع حدساً موثوقاً أو وهماً، لا يملك الوقت الآن للتفكير فيه، لا تزال جثة لاني تنتظر ليتم التخلص منها، تماماً مثل جـــثة كوتل، كان بيلي مقتنعاً جزئياً أنه إذا نظر إلى ساعة يده، سيرى الدقائق والساعات تدور بسرعة كما لو أنها مجرد ثوانٍ.

المـــستند الثالث في القرص كان اسمه ***متى***، وعندما نفذ بيلي إليه، حرّك الرجل الميت قدمه.

لـــو استطاع بيلي التنفس، لصرخ عالياً، لكن عندما خرج النَفَس العالـــق مـــن حنجرته، أدرك أن التفسير ليس خارقاً للطبيعة مثلما ظن أولاً.

لم يمـــسك به الرجل الميت، خلال اضطراب بيلي، ضغط بقدميه على الجثة، فعاد ليضعهما تحت الكرسي مجدداً.

علـــى الـــشاشة، كشف المستند الذي يحمل اسم ***متى*** عن رسالة تستلزم تفسيراً أقل من ***لماذا وكيف***.

آخر قتل لي: منتصف ليل الخميس
انتحارك: بعد فترة وجيزة من ذلك.

الفصل 32

آخر قتل لي: منتصف ليل الخميس

انتحارك: بعد فترة وجيزة من ذلك.

نظـــر بيلي وايلز إلى ساعة يده، الساعة الثانية عشرة وبضع دقائق من ظهر يوم الأربعاء.

إذا كان القاتل يقصد فعلاً ما قاله، فإن هذا الأداء، أو مهما كان اسمه، سيحصل خلال ست وثلاثين ساعة.

الإشـــارة إلى *آخر قتل* لا يعني بالضرورة أن جريمة واحدة فقط ستحـــصل، خـــلال اليوم ونصف اليوم الماضي، قتل المهووس ثلاثة أشـــخاص، وخـــلال الـــيوم ونصف اليوم المقبل، قد لا يكون أكثر رحمة.

وحشية، عنف، موت. حركة، سرعة، تأثير. لحم، دم، عظم.

بـــين هذه الكلمات التسع في المستند الثاني، ثمة كلمة لفتت انتباه بيلي أكثر من الكلمات الأخرى. *سرعة*.

بدأت *الحركة* عندما وضعت الورقة الأولى على الزجاج الأمامي لسيارة الإكسبلورر، *التأثير* سيأتي مع القتل الأخير، ذلك الذي سيجعله يفكر في الانتحار.

في غـــضون ذلك، وبسرعة متزايدة باضطراد، يتم إلقاء تحديات جديدة على بيلي، مما أفقده التوازن، كلمة *سرعة* تعده على ما يبدو أنه لا يزال أمامه أشواط طويلة من هذه الأفعوانية.

لم يتجاهل الوعد بتزايد السرعة و لم يتجاهل التأكيد الواثق من أنه سينتحر.

الانــتحار خطيــئة كبيرة، لكن بيلي يعرف أنه رجل سطحي، ضعيف في بعض النواحي، مليء بالعيوب، في هذه المرحلة، ليس قادراً على التدمير الذاتي؛ لكن قد تتحطم القلوب والعقول معاً.

واجه بعض الصعوبة في تخيل ما قد يدفعه إلى مثل هذا التصرف، في الواقع، لم يواجه أي صعوبة على الإطلاق.

مــوت باربارة ماندل وحده لن يدفعه إلى الانتحار، طوال أربعة أعــوام تقريباً، حضّر نفسه لموتها، حاول تعويد نفسه على فكرة العيش من دون الأمل بشفائها.

إلا أن طريقة قتلها قد تسبب توتراً قاتلاً في الهندسة العقلية لبيلي، في غيبوبتها، قد لا تدرك كثيراً ما فعله القاتل بها، لكن على افتراض أنهــا معرضة للألم، للإهانات الكبيرة، يتخيل بيلي رعباً كبيراً قد يجعله ينهار.

كان رجلاً يضرب معلمات المدرسة الجميلات حتى الموت ويسلخ وجوه النساء.

بالإضافة إلى ذلك، إذا أراد القاتل هندسة الظروف بحيث يبدو أن بيلــي نفسه لم يقتل فقط جيزيل وينسلو، ولاني، ورالف كوتل، وإنما أيضاً باربارة، لن يرغب بيلي حينها في تحمل أشهر من التعرض لضغط الإعــلام أو المحاكمــات، أو الشك الذي سيحيط به حتى لو تبين أنه بريء في محكمة القانون.

القاتل يقتل للمتعة، وإنما أيضاً بهدف وخطة، مهما كان الهدف، قد تتمثل الخطة في إقناع الشرطة أن بيلي ارتكب الجرائم المؤدية إلى قتل باربــارة في ســريرها في وايسبرينغ باينــز، وأن نيته كانت الإيحاء أن

مجـــرماً خطـــيراً يجـــول في المنطقة، وبالتالي إبعاد الشكوك عن نفسه وتوجيهها إلى مريض نفسي غير موجود.

إذا كـــان القاتل ذكياً - وهو كذلك - ستعتمد السلطات هذه النظـــرية كما لو أنها حقيقة مؤكدة، في النهاية، يملك بيلي حافزاً قوياً، برأيهم، للانتهاء من باربارة.

رعايتها الطبية مغطاة بمدخول الاستثمار الناجم عن وديعة قدرها ســبعة ملايـــين دولار تم الحـــصول عليها من الشركة المسؤولة عن غيبوبتها، بيلي هو الأول بين ثلاثة قيّمين على إدارة الأموال.

إذا ماتـــت باربارة وهي في الغيبوبة، يكون بيلي الوريث الوحيد لأموالها.

لا يـــريد المال، لا يريد شيئاً منه، ولن يحتفظ به إذا وصل إليه، في تلك الحال الحزينة، ينوي توزيع الملايين.

لن يصدق أحد طبعاً أن هذه نيته.

خصوصاً بعدما يكون القاتل قد انتهى من تجريمه، إذا كان هذا ما يفعله القاتل فعلاً.

الاتـــصال بالـــرقم 911 أشـــار إلى هـــذه النية، لقد لفت انتباه قـــسم الـــشريف إلى بيلـــي في ســـياق ســـيتذكرونه... ويتساءلون بشأنه.

جمع الآن بيلي المستندات الثلاثة وطبعها على ورقة واحدة:

لأنني أنا أيضاً صياد رجال.
وحشية، عنف، موت
حركة، سرعة، تأثير
لحم، دم، عظم
آخر قتل لي: منتصف ليل الخميس
انتحارك: بعد فترة وجيزة من ذلك.

باستعمال المقص، شذب بيلي حدود النص لطيّ الورقة ووضعها في محفظته، حيث يمكنه الرجوع إليها بسهولة.

عندما انتهى، أدرك أن هذه الورقة مماثلة للأوراق التي تلقى عليها الرسائل الأربع السابقة من القاتل، إذا تم إعداد القرص الذي كان في يديّ كوتل على هذا الكمبيوتر، فإن الرسائل الأربع تمت كتابتها هنا أيضاً ربما.

غادر برنامج *مايكروسوفت وورد* ثم دخل البرنامج مجدداً، استدعى لائحة الملفات.

لائحة المستندات غير طويلة، لقد استخدم هذا البرنامج فقط لتأليف القصص.

تعرف إلى الكلمات الرئيسة لعناوين روايته الوحيدة والقصص الصغيرة التي ألّفها، وكذلك القصص التي لم ينجزها أبداً، ثمة مستند واحد فقط بدا غير مألوف له ***موت***

عندما قام بتحميل ذلك المستند، اكتشف نص الرسائل الأربع للقاتل.

تردد، متذكراً الإجراءات، ثم ضغط على المفاتيح، طالباً التاريخ الذي جرى فيه إعداد المستند للمرة الأولى، وتبين أنه عند الساعة 10:09 من صباح يوم الجمعة السابق.

لقد غادر بيلي إلى العمل قبل خمس عشرة دقيقة من الموعد المحدد ذلك اليوم، ذهب إلى مكتب البريد لتسديد بعض الفواتير.

الورقتان اللتان وضعتا على الزجاج الأمامي لسيارته، وتلك التي تم لصقها على قضيب عجلة القيادة للإكسبلورر، وحتى تلك التي وجدها على البراد هذا الصباح تم تحضيرها كلها على هذا الكمبيوتر قبل أكثر من ثلاثة أيام من تسليم الرسالة الأولى، قبل أن يبدأ الكابوس ليلة الاثنين.

لـــو لم يتلف لاني أول ورقتين لإنقاذ مهمته، ولو عرضهما بيلي علـــى الـــشرطة بمثابة دليل، ستتحقق الشرطة عاجلاً أو آجلاً من هذا الكمبيوتر، ستستنتج حتماً أن بيلي نفسه كتب الرسائل.

لقد استعد القاتل لكل الاحتمالات، إنه دقيق جداً، وهو واثق من أن خطته ستسير مثلما أراد.

حـــذف بيلي المستند الذي يحمل اسم ***موت***، والذي قد يستخدم بمثابة دليل ضده، حسب تطور الأمور هنا.

شـــك في أن حذفـــه مـــن الدليل لا يحذفه من القرص الصلب للكمبيوتر، عليه العثور على طريقة لسؤال شخص خبير في الكمبيوتر.

عـــندما أوقف عمل الكمبيوتر، أدرك أنه لم يسمع دوران محركيّ سيارتيّ الشرطة.

الفصل 33

أبعد بيلي الستارة عن نافذة المكتب، واكتشف أن الممشى فارغ من السيارات تحت أشعة الشمس الساطعة. كان غارقاً جداً في القرص بحيث لم يسمع محركيّ السيارتين، لقد ذهب الرقيبان.

توقـــع اكتشاف تحدٍّ جديد على القرص: الاختيار بين ضحيتين بريئتين، مع موعد نهائي قصير لاتخاذ القرار.

لا شـــك في أن تحدياً جديداً سيظهر قريباً، لكنه أعفي في الوقت الحاضـــر من ذلك بحيث يستطيع الاهتمام بمسائل أخرى ملحة، هناك الكثير منها.

ذهـــب إلى المرأب، وعاد مع حبل طويل وأحد شراشف النايلون التي استخدمها لتغطية الأثاث عندما أعاد طلاء المنـــزل في الربيع. فتح الشرشف على أرض المكتب أمام طاولة الكمبيوتر.

بعـــد إخراج جثة كوتل من تحت المكتب وسحبها حوله، برمها فوق الشرشف.

شـــعر بالقرف من فكرة تفتيش جيوب رجل ميت، لكنه فعلها على كل حال.

لم يكن بيلي يبحث عن أدلة مزروعة لإدانته، إذا فعل القاتل ذلك في الجثة، لا بد أنه كان دقيقاً جداً، لن يعثر بيلي على أي شيء.

بالإضـــافة إلى ذلك، أراد التخلص من الجثة في مكان لا يمكن العثور عليها أبداً، لهذا السبب، لم يكترث لبقاء بصماته على شرشف النايلون.

احتوت سترة البذلة على جيبين داخليين، في الأول، وضع كوتل

قنينة الشراب الاسكتلندي التي أوقعها أرضاً، من الجيب الثاني، أخرج بيلي قنينة شراب ثقيل، ثم أعادها إلى مكانها.

في الجيبين الخارجيين للسترة هناك سجائر، وولاعة رخيصة، ولفافة من الحلوى، في الجيبين الأماميين للسروال، عثر على نقود معدنية هي سبعة وستون سنتاً، وعلبة من ورق اللعب، وصفارة على شكل كنار بلاستيكي.

احتوت محفظة كوتل على ست أوراق نقدية من فئة الدولار، وورقة من فئة الخمسة دولارات، وأربع عشرة ورقة من فئة العشرة دولارات، لا بد أنها من القاتل.

عشرة دولارات لكل سنة من سنوات براءتك، سيد وايلز.

إنه مقتصد عموماً، فلم يشأ بيلي دفن المال مع الجثة، فكر في وضع المال في صندوق التبرعات في دار العبادة حيث ركن السيارة – وتعرض للاعتداء – الليلة الماضية.

تغلّب الغثيان على حسّ الاقتصاد، فترك بيلي المال في المحفظة، مثلما كان الفراعنة الموتى يذهبون إلى الجانب الآخر من العالم مع ملح، وحبوب، وشراب، وذهب وخدم، سيذهب رالف كوتل مع هذا المال.

بين الأغراض القليلة الأخرى الموجودة في المحفظة، برز اثنان مهمان أحدهما صورة قديمة ومجعدة لكوتل عندما كان شاباً، بدا رجلاً وسيماً، مختلفاً تماماً عن الرجل المنهك في سنواته الأخيرة، وإنما يمكن التعرف إليه، ثمة امرأة شابة جميلة معه؛ كانا يبتسمان، يبدوان سعيدين.

الغرض الثاني هو بطاقة عضوية من العام 1983 في الجمعية الأميركية للشكوكيين، رالف ثورمان كوتل، عضو منذ العام 1978.

احتفظ بيلي بالصورة الفوتوغرافية وبطاقة العضوية وأعاد كل شيء آخر إلى جيب سروال كوتل.

لــف الشرشف حول الجثة بإحكام، طوى الطرفين جيداً وثبّت اللفافة بياردات طويلة من الشريط اللاصق.

توقــع أن تــبدو الجثة، داخل الطبقات العدة لشرشف النايلون المعتم، بمثابة سجادة ملفوفة في كيس نايلون واقٍ، لكنها بدت مثل جثة ملفوفة بكيس.

استعمل الحبل لإعداد مقبض مربوط بإحكام في أحد طرفيّ الجثة الملفوفة، ليتمكن من جرّها بواسطته.

لا يــنوي الــتخلص مــن كوتل إلا بعد حلول الظلام. مساحة الــصندوق في ســيارة الإكسبلورر محاطة بالنوافذ، السيارات الرباعية الدفع هي سيارات مفيدة، لكن إذا أردت نقل جثث في وضح النهار، من الأفضل اقتناء سيارة لها صندوق مغلق.

بمــا أنه بدأ يشعر أن منــزله أصبح عمومياً مثل محطة الباصات، أخــرج بيلي الجثة من المكتب، ونقلها إلى غرفة الجلوس حيث تركها وراء الأريكة. لا يمكن رؤيتها من الباب الأمامي أو من الممر المؤدي إلى المطبخ.

فوق حوض غسل الصحون في المطبخ، فرك يديه بقوة بالكثير من الصابون السائل وشطفهما بالماء الشديد البرودة.

ثم حــضّر لنفــسه سندويشاً من المارتاديلا. تساءل كيف يملك الشهية لتناول الطعام بعد العمل المقرف الذي أنهاه للتو.

لم يظن أن رغبته في العيش بقيت قوية إلى هذا الحد خلال سنوات انطوائه. تساءل عن المزايا الأخرى، الجيدة والسيئة، التي سيكتشفها أو يعيد اكتشافها في نفسه، خلال الساعات الست والثلاثين المقبلة.

ثمــة واحــد يتذكر الطريق إلى بابك: الحياة قد تهرب منها، لكن الموت لا يمكنك الهروب منه.

الفصل 34

فيما أنهى بيلي سندويش المارتاديلا، رنّ الهاتف.

لا يـــريد الإجابة، لا يتلقى الكثير من الاتصالات من الأصدقاء، ولاني قتل، عرف من يكون. هذا يكفي.

عند الرنة الثانية عشرة، أبعد كرسيه عن الطاولة.

لا يـــتفوه القاتل أبداً بأي شيء عبر الهاتف، لا يريد الكشف عن صوته، لا يفعل أي شيء سوى الإصغاء إلى بيلي بصمت ساخر.

عند الرنة السادسة عشرة، نهض بيلي عن الطاولة.

تهدف هذه الاتصالات إلى الترهيب فقط، من غير المنطقي الإجابة عنها.

وقـــف بيلـــي قـــرب الهاتـــف وحدّق إليه، عند الرنة السادسة والعشرين، رفع السماعة.

لم يظهر على الشاشة الرقمية رقم المتصل.

لم يقل بيلي آلو، أصغى فقط.

بعـــد ثوانٍ قليلة من الصمت في الطرف الآخر، سمع صوت نقرة آلية، تلاها هسيس، أصوات خدوش رافقت الهسيس: إنه صوت شريط مسجل يدور في مسجلة.

عندما جاءت الكلمات، كانت في سلسلة من الأصوات، بعضها لـــرجال، وبعضها لنساء، لم يتحدث أي كان أكثر من ثلاث كلمات، وفي أغلب الأحيان كلمة واحدة فقط.

بالحكم على مستويات الأصوات غير المتناسقة وعلى أمور أخرى،

أعـــدّ القاتـــل الرســـالة بجمع عينات من أصوات موجودة، من كتب مسجلة ربما على أشرطة بأصوات قرّاء مختلفين.

"ســـأقتل... صـــهباء جمـــيلة. إذا... قلت... اعفِ الساقطة... ســـوف... أقتلـــ... ـــها... بسرعة. وإلا... سوف... تعاني... من عـــذاب... كثير. أمامك... دقيقة واحدة... لتقول... اعفِ الساقطة. الخيار... خيارك"

صدر مجدداً صوت الهسيس والخدوش في الشريط الفارغ...

تم إعداد اللغز بطريقة مثالية، لا يسمح للرجل الهارب بالمزيد من الهروب.

في السابق، تعاون بيلي معنوياً فقط إلى درجة أن اختيار الضحايا تم بناء على عدم تصرفه، وبسبب رفضه للتصرف في حال كوتل.

في الخيار بين معلمة مدرسة جميلة وامرأة عجوز محبة للخير، بدت الـــوفاتان مأساويتين على نحو متساوٍ إلا إذا تم التحيز إلى الجميلة ضد العجـــوز، اتخاذ قرار فعلي لا يفضي إلى مأساة أكبر من عدم اتخاذ أي قرار.

وعـــندما كانت الضحية المحتملة رجلاً غير متزوج لن يشتاق إليه العالم كثيراً أو أماً شابة لطفلين، بدت المأساة الأكبر في موت الأم. في تلك الحال، تم تحديد الخيار على أن عدم ذهاب بيلي إلى الشرطة يضمن بقاء الأم على قيد الحياة، ما يكافئ عدم الفعل ويشدد على ضعفه.

مرة جديدة، طُلب منه الاختيار بين شرين، وكان بالتالي شريك القاتـــل، لكن عدم التصرف هذه المرة ليس خياراً موجوداً، ففي حال عدم قول أي شيء، سيحكم على الصهباء بالعذاب قبل الموت، وعند الاستجابة، سيمنحها درجة من الرحمة.

لا يستطيع إنقاذها.

الموت موجود في كلتا الحالين.

لكن موتاً سيكون أخف وطأة من موت آخر.

أصدر الشريط كلمتين إضافيتين: *"... ثلاثون ثانية..."*

شعر بيلي وكأنه عاجز عن التنفس، لكنه تنفس. شعر وكأنه سيختنق إذا حاول الابتلاع، لكنه لم يختنق.

"... خمس عشرة ثانية..."

أصبح فمه جافاً، تجمد لسانه. لم يصدق أنه يستطيع الكلام، لكنه تكلم: "اعفِ الساقطة"

أقفل القاتل الخط، وكذلك فعل بيلي.

متعاونان.

تحركت المارتاديلا والخبز والمايونيز في معدته.

لو عرف أن القاتل سيتواصل فعلياً عبر الهاتف، لاستعد لتسجيل الرسالة، لكن الوقت قد فات، غير أن مثل هذا التسجيل لن يكون مقنعاً لرجال الشرطة على كل حال إلا في حال ظهور جثة الصهباء، وإذا تم العثور على مثل هذه الجثة، ستكون الأدلة الدامغة مرتبطة على الأرجح ببيلي، يعمل مكيف الهواء كما يجب، لكن بدا هواء المطبخ كأنه خانق، فعلق في حنجرته، واستقر بثقل في رئتيه.

اعفِ الساقطة.

لا يتذكر أبداً كيف غادر المنزل، لكن بيلي وجد نفسه ينزل درج المصطبة الأمامية، لا يعرف إلى أين يذهب.

جلس على الدرج.

حدّق إلى السماء، في الأشجار، في الفناء الخلفي.

نظر إلى يديه، لم يعرفهما.

الفصل 35

غادر البلدة عبر طريق متعرجة و لم يرَ أحداً يلحق به.

من دون وجود جثة في الإكسبلورر، خاطر بيلي بتجاوز السرعة المسموح بها في معظم الطريق المؤدية إلى الطرف الجنوبـــي من المنطقة، دخــــل الهــــواء الساخن عبر النافذة المكسورة لباب السائق فيما اجتاز حدود مدينة نابا عند الساعة 1:52 بعد الظهر.

نابـــا هي بلدة هادئة وجميلة، بصورة طبيعية في معظم أنحائها، وليس بفـــضل السياسيين والشركات التي تتآمر لتحويلها إلى مدينة ملاهي على طريقة ديزني لاند، وهذا قدر العديد من الأماكن في كاليفورنيا.

هاري أفاكيان، محامي بيلي، يملك مكاتب في وسط المدينة، ليس بعيداً عن المحكمة، في شارع محاط بأشجار الزيتون القديمة، كان ينتظر بيلي وألقى عليه التحية بعناق كبير.

في عمر الخمسين، طويل وقوي البنية، مع وجه مطاطي وابتسامة سريعة، بدا هاري مثل الناطق الرسمي باسم مرمم عجيب للشعر؛ إذ إن لديه رأساً مغطى بالشعر الأسود المجعد الكثيف جداً بحيث يبدو وكأن الحلاّق يحتاج ربما إلى قصه يومياً، مع شارب سميك، والكثير من الشعر الأسود على متن يديه بحيث يبدو وكأنه عرضة للسبات في الشتاء.

عمل خلف مكتب قديم، بحيث عندما جلس بيلي قبالته، لم تبدُ العلاقة وكأنها بين محامٍ وزبون وإنما بين صديقين منخرطين في حديث عمل.

بعد السلام والتحية العادية والتحدث عن موجة الحرّ، قال هاري:

"ما الشيء المهم الذي لا نستطيع معالجته عبر الهاتف؟"

كــذب بيلـــي: "ليست المسألة في أنني لا أريد مناقشة الأمر عبر الهاتــف، تــوجب عليّ المجيء إلى هنا من أجل بعض الأمور الأخرى، ولذلك تصورت أنه من الأفضل أن أجلس معك شخصياً وأسألك عما يقلقني".

"وجّــه إليّ أســئلتك ودعــنا نرى إذا كنت أعرف شيئاً بشأن القانون".

"الأمر متعلق بالأموال الخاصة بباربارة".

هــاري أفاكــيان وجــي مينه جورج نغوين محاسب بيلي، هما الوصيان الآخران في الهيئة الثلاثية الأعضاء.

قــال هــاري: "قبل يومين، راجعت الوضع المالي للفصل الثاني، كانــت العائدات أربع عشرة في المئة، رقم ممتاز في هذه السوق، حتى بعد نفقات باربارة، لا يزال رأس المال يزداد باضطراد".

قــال بيلي: "قمنا باستثمار ذكي، لكنني أستلقي مستيقظاً خلال الليل أفكر في ما إذا كان باستطاعة أحد أن يستولي على المال؟".

"المال؟ تقصد مال باربارة؟ إذا أردت القلق بشيء ما، اقلق بشأن ارتطام نيزك بالأرض".

"أنا قلق. هذا خارج عن إرادتي".

"بيلــي، أنا من أعدّ المستندات، وهي محكمة تماماً، بالإضافة إلى ذلــك، أنت الوصي على أموالها، ولن يتمكن أحد من الاستيلاء على فكة واحدة".

"أقصد إذا حصل لي شيء ما".

"عمــرك فقــط أربعــة وثلاثون عاماً، برأيي الشخصي، بالكاد تجاوزت سن البلوغ".

"توفي موزارت عن عمر أصغر من أربعة وثلاثين عاماً".

قـــال هـــاري: "لسنا في القرن الثامن عشر، ولا تعزف البيانو، وبالتالي فإن المقارنة غير منطقية، هل أنت مريض أو ما شابه؟".

اعترف بيلي: "كنت أفضل حالاً".

"ما هذه الرقعة على جبينك؟".

روى لــه بيلي حكاية العقدة في اللوح الخشبــي. "ما من شيء خطير".

"أنت شاحب نسبة إلى الصيف".

"لا أذهـــب كثيراً إلى صيد السمك، اسمع هاري، أنا لا أعاني من السرطان أو من أي شيء، لكن يمكن أن تدهسني شاحنة".

"هل طاردتك أخيراً تلك الشاحنات؟ هل اضطررت إلى الهروب من بعضها؟ منذ متى وأنت متشائم هكذا؟".

"ماذا عن داردر؟".

داردر هي أخت باربارة، إنهما توأم، ولكنهما ليستا توأم متشابه، لا تشبهان بعضهما في أي شيء، وهما مختلفتان تماماً عن بعضهما.

قـــال هاري: "لم تبطل المحكمة فقط حقوقها، وإنما حرمتها أيضاً من كل شيء".

"أعرف، لكن...".

"صـــحيح أنها رمز الشر، لكنها ليست أكثر أهمية من سندويش اللبنة والجبنة الذي تناولته على الغداء قبل أسبوع".

سيسيلي، والدة باربارة وداردر، كانت مدمنة مخدرات، لم تتعرف أبداً إلى والدهما، وتم تسجيل التوأم على شهادة الميلاد باسم أمهما.

ذهبت سيسيلي إلى مصحّ للأمراض العقلية حين كان عمر الفتاتين عامين، وحرمتا من وصاية أمهما، وتم إرسالهما إلى دار للرعاية، توفيت سيسيلي بعد أحد عشر شهراً.

حتى عمر الخامسة، تنقلت الفتاتان في السلسلة نفسها من دور الرعاية، بعد ذلك، انفصلتا، لم ترَ باربارة داردر أبداً مجدداً، في الواقع، عندما حاولت في عمر الواحد والعشرين تعقب أثر أختها وإقامة علاقة معها، تم صدّها.

صحيح أن داردر لم تدمّر نفسها بقدر سيسيلي، لكنها ورثت ميل أمها إلى المركبات الكيميائية غير الشرعية وحياة الليل، بحيث وجدت أختها النظيفة والرزينة مضجرة وغير ممتعة.

بعد ثماني سنوات، بعد التغطية الإعلامية الكبيرة للقضية، عندما خصصت شركة التأمين ملايين الدولارات لباربارة لدفعها بدل رعايتها الطويلة الأمد، كشفت داردر عن تعلق عاطفي عميق بأختها. بما أن قريبة الدم الوحيدة المعروفة لباربارة، تقدمت بدعوى قضائية لتكون الوصية الوحيدة على أموال أختها.

لحسن الحظ، وبناء على إلحاح هاري السريع، مباشرة بعد خطوبتهما، وقّع بيلي وباربارة، في مكتبه، على وصيتين بسيطتين يذكران فيهما أن كل واحد منهما هو الوريث الحصري للآخر.

حصلت داردر على توبيخ القاضي بسبب تاريخها وأساليبها وجشعها الواضح، وتم رفض قضيتها بحكم مسبق.

حاولت اللجوء إلى محكمة أخرى والتقدم بدعوى جديدة. لكنها لم تنجح، لم يسمعوا أخبارها منذ عامين.

قال بيلي: "لكن إذا مُتّ...".

"اخترتَ وصيين للحلول مكانك. إذا صدمتك شاحنة، سيحلّ أحدهما مكانك".

"أفهم. لكن...".

قال هاري: "إذا صدمتنا شاحنة أنا وأنت وجورج نغوين، أو بالأحرى إذا صدمت شاحنات مختلفة كل واحد منا، ثمة مرشحون

آخـــرون لتولي الوصاية، وهم مقبولون من المحكمة، ومستعدون لتولي المهمـــة، وإلى أن يتم تعيينهم، ستكون المسائل اليومية في أيدي شركة موثوقة لإدارة الاستثمارات".

"لقد فكرت في كل شيء".

ارتفع شاربه الكثيف مع ابتسامته، قال هاري: "بين كل إنجازاتي، أنا فخور أنني لم أتعرض أبداً للإقصاء".

"لكن إذا حصل أي شيء لي...".

"أنت تصيبني بالجنون".

"... هل من أحد غير داردر يجدر بنا القلق بشأنه؟".

"مثل من؟".

"أي أحد".

"لا".

"هل أنت أكيد؟".

"نعم".

"لا أحد يستطيع أخذ مال باربارة؟".

انحـــنى هـــاري إلى الأمـــام، ووضع ذراعيه على مكتبه، وقال: "ما قصة كل ذلك؟".

هـــزّ بيلـــي كـــتفه: "لا أعـــرف، في الآونـــة الأخيرة، أشعر بالخوف".

بعد صمت، قال هاري: "لقد حان الوقت لك ربما لتعيش حياتك مجدداً".

قـــال بيلـــي: "أنا أعيش حياتي" وكان صوته حاداً جداً نسبة إلى كون هاري صديقاً ورجلاً محترماً.

"يمكنك الاهتمام بباربارة، والبقاء وفياً لذكراها، والتمتع بالحياة".

"ليست مجرد ذكرى، إنها حية، هاري، أنت آخر شخص أرغب في ضربه على فمه".

تنهد هاري. "أنت محق، لا يعرف أحد ما الذي تشعر به في قلبك".

"اللعنة، هاري، لن أضربك أبداً على فمك".

"هل أبدو خائفاً؟".

ضحك بيلي بنعومة وقال: "تبدو مثلما أنت، تبدو مثل دمية المابت".

انتقلت الظلال الجميلة لأشجار الزيتون عبر النافذة الزجاجية ودخلت الغرفة.

بعد صمت، قال هاري أفاكيان: "ثمة حالات يخرج فيها الأشخاص من الغيبوبة من دون أي عطل تقريباً في قدراتهم".

اعترف بيلي: "إنها حالات نادرة".

"النادر ليس مثل أبداً".

"أحاول أن أكون واقعياً، لكنني لا أريد ذلك فعلاً".

قال هاري: "كنت أحب حساء الفيشيسواز، لكن إذا حصل الآن ورأيته على الرف في السوبرماركت، أصاب بالغثيان في معدتي".

فيما كان بيلي يعمل في المشرب ذات يوم سبت، فتحت باربارة علبة من الحساء للعشاء. فيشيسواز، حضّرت سندويش جبنة أيضاً.

عندما لم تجب عبر الهاتف صباح يوم الأحد، ذهب إلى شقتها، وفتح بمفتاحه، عثر عليها فاقدة الوعي على أرض الحمام.

في المستشفى، تمت معالجتها بمضادات السموم بسرعة كافية لإنقاذها من الموت، وهي الآن تنام وتنام.

إلى أن تستيقظ، إذا استيقظت، لا يمكن بالضبط تحديد مدى الضرر اللاحق بدماغها.

صانع الحساء، شركة مشهورة، قام فوراً بسحب كل علب حساء الفيشيسواز من السوق، بين ثلاثة آلاف علبة، تم العثور على ست علب فاسدة فقط.

لم تكشف أي من العلب الست عن إشارات تورّم، هكذا، وبطريقة ما، أنقذت معاناة باربارة ستة أشخاص على الأقل من قدر مماثل.

لم ينجح بيلي أبداً في العثور على عزاء في تلك الحقيقة.

قال هاري: "إنها امرأة جميلة".

قال بيلي: "إنها شاحبة ونحيلة، لكنها لا تزال جميلة بالنسبة إليّ، ولا تزال حية في مكان ما داخلها، إنها تقول أشياء، لقد أخبرتك، لا تزال حية، وتفكر".

راقب ظلال أشجار الزيتون الملقاة على المكتب عبر زجاج النافذة.

لم ينظر إلى هاري، لا يريد رؤية الشفقة في عينيّ المحامي.

بعد برهة، تحدث هاري عن الطقس، ثم قال بيلي: "هل سمعت أنه في برنستون- أو ربما في هارفارد- يحاول العلماء صنع حيوان مقزز بدماغ بشري؟".

قال هاري: "ينجزون مثل هذه التفاهات في كل مكان، لا يتعلمون أبداً، كلما أصبحوا أكثر ذكاء، أصبحوا أكثر غباء".

"إنه الرعب".

"لا يرون الرعب. فقط المجد والمال".

"لا أرى المجد".

"أي مجد هو ذاك الذي كان في الحرب العالمية؟ لكن بعضهم رآه".

بعد صمت متبادل، نظر بيلي في عينيّ هاري. "هل أعرف كيف أبهج الغرفة، أم لا؟".

"لم أضحك بهذه القوة منذ *أبوت وكوستيلو*"[1].

---

(1) أبـوت وكوسـتيلو (بالإنكليـزية: Abbott and Costello) همـا ثنائي أميركي في الكوميديا (التمثيل الفكاهي). الأول بود أبوت (بالإنكليزية: Bud Abbott) والثاني لو كوستيلو (بالإنكليزية: Lou Costello). أول ظهور لها في فيلم (One Night in the Tropics) عام 1940. (المترجم)

الفصل 36

من متجر إلكترونيات في نابا، اشترى بيلي كاميرا ومسجلة فيديو صــغيرة، يمكن استعمال الجهاز بالطريقة الاعتيادية أو يمكن ضبطه بدل ذلك لتسجيل سلسلة مستمرة من اللقطات الساكنة المأخوذة كل بضع ثوانٍ.

في الــنمط الــثاني، وعند تحميله بالقرص الملائم، يستطيع الجهاز توفير مراقبة مسجلة لمدة أسبوع مماثلة لتلك الموجودة في المتاجر.

وبمــا أن الــنافذة المكسورة في سيارة الإكسبلورر لا تسمح له بالاحتفاظ بأي أشياء قيّمة في السيارة، دفع ثمن مشترياته ووعد بالعودة لإحضارها بعد نصف ساعة.

من متجر الإلكترونيات، ذهب للبحث عن آلة لبيع الجرائد، عثر على واحدة أمام صيدلية.

العــنوان الرئيس تناول جيزيل وينسلو؛ تم قتل معلّمة المدرسة في الــساعات الأولى من صباح الثلاثاء، لكن لم يتم العثور على جثتها إلا بعد ظهر يوم الثلاثاء، أي قبل أقل من أربع وعشرين ساعة.

صــورتها في الجــريدة مختلفة عن تلك التي كانت موضوعة في الكــتاب في حــضن لاني أولــسن، لكنهما صورتان للمرأة الجذابة نفسها.

حمــل بيلي الجريدة، وذهب إلى الفرع الرئيس من المكتبة، يملك كمبيوتــراً في المنــزل ولكن من دون النفاذ إلى الإنترنت، توفر المكتبة الاثنين معاً.

كـــان وحده أمام صف أجهزة الكمبيوتر، ثمة أشخاص آخرون يقرأون أمام الطاولات أو يفتشون بين الكدسات، في النهاية، يبدو أن اعتناق مبدأ *بدائل* الكتب لن يكون مستقبل المكتبات.

عـــندما كان يؤلف القصص، استخدم شبكة الإنترنت للأبحاث، لاحقاً، باتت الشبكة مصدراً للإلهاء، للهروب، خلال العامين الماضيين، لم يتصفح شبكة الإنترنت على الإطلاق.

في غـــضون ذلـــك، تغيرت الأمور، النفاذ بات أسرع، الأبحاث أسرع أيضاً، وأكثر سهولة.

كـــتب بيلـــي أحرفاً في خانة البحث، عندما لم يحصل على أي نتائج، بدّل الأحرف، ثم بدّلها مجدداً.

تختلف قوانين العمر المسموح لشرب الشراب بين ولاية وأخرى، في العديـــد من السلطات القضائية، لم يكن ستيف زيليس كبيراً كفاية للعمـــل كنادل في مشرب قبل عمر الواحد والعشرين، ولذلك أسقط بيلي كلمة *نادل مشرب* من خانة البحث.

يعمـــل ستيف في المشرب منذ خمسة أشهر فقط، لم يتشارك أبداً مع بيلي السير الذاتية.

يتذكر بيلي بغموض أن ستيف ذهب إلى الجامعة، لكنه لا يتذكر إلى أين، أضاف كلمة *طالب* إلى خانة البحث.

قـــد تكـــون كلمـــة *قتل* محددة جداً، استبدلها بعبارة *سلوك غير أخلاقي*.

حصل على جواب واحد. من *دنفر بوست*.

تعـــود القصة إلى خمسة أعوام وثمانية أشهر، بالرغم من أن بيلي حـــذّر نفـــسه من ضرورة عدم الغوص في هذا الاكتشاف، بدت له المعلومات ذات صلة.

في شهر نوفمبر من ذلك العام، في جامعة كولورادو في دنفر، ثمة شابة اسمها جوديث ساره كيسلمان، عمرها ثمانية عشر عاماً، اختفت. في البداية، على الأقل، لم تكن هناك دلالات على سلوك غير أخلاقي.

أفاد أول مقال صحافي عن تلك الشابة المفقودة، أن طالباً آخر في جامعـــة كولورادو، ستيفن زيليس، تسعة عشر عاماً، قال إن جوديث كانـــت "فتاة رائعة، حنونة ومهتمة، وصديقة للجميع". قلق لأن "جودي مسؤولة جداً لتختفي يومين من دون إطلاع أحد على مشاريعها".

أفضى بحث آخر عن جوديث سارة كيسلمان إلى مجموعة من النتائج، حضّر بيلي نفسه للاكتشاف أنه تم العثور على جثتها من دون وجه.

تـــصفح المقـــالات، وقرأها عن كثب في البداية، وحين أصبحت المواد متكررة، قام بمسحها.

ذُكـــرت أحاديث لأصدقاء وأقارب وأساتذة لجوديث كيسلمان، لم يتم ذكر ستيفن زيليس مجدداً.

بالحكم على كمية المواد المتوافرة لبيلي، لم يتم العثور على أي أثر لجوديث، اختفت تماماً كما لو أنها انتقلت من هذا العالم إلى عالم آخر.

انخفضت التغطية الصحافية للموضوع بشكل مضطرد بعد الميلاد من ذلك العام، وتضاءلت التغطية بشدة مع بداية السنة الجديدة.

تفـــضل وسائل الاعلام التحدث عن الموتى بدل المفقودين، عن الدم بدل الغموض، هناك دوماً عنف جديد ومثير.

آخر مقال كان في الذكرى الخامسة لاختفاء جوديث. بلدتها هي لاغونا بيتش، كاليفورنيا، وكان المقال في *سجل أورانج كاونتي*.

ثمـــة صحافي، متعاطف مع الحزن الكبير لعائلة كيسلمان، كتب بطريقة مؤثرة عن الأمل المستمر في أن جوديث لا تزال على قيد الحياة، نوعاً ما، في مكان ما، وستعود إلى المنـــزل في يوم ما.

كانــت تــدرس الموسيقى، عزفت البيانو جيداً، والغيتار، أحبت الموسيقى الدينية، والكلاب، والنــزهات الطويلة على الشاطئ.

عرضت الصحافة صورتين لها، بدت في الصورتين ذكية ومسرورة ولطيفة.

بالــرغم من أن بيلي لم يعرف أبداً جوديث كيسلمان، لم يستطع تحمل رؤية وجهها النضر، تجنب النظر إلى الصورتين.

قام بسحب نسخ مطبوعة لبعض المقالات لقراءتها لاحقاً. طواها داخل الجريدة التي حصل عليها من الآلة.

فــيما كان يغادر المكتبة، ويمرّ أمام طاولات المطالعة، قال رجل: "بيلي وايلز، لم نرك منذ وقت طويل".

في كرسي أمام إحدى الطاولات، مبتسماً ابتسامة عريضة، جلس الشريف جون بالمر.

الفصل 37

بالــــرغم من أنه ارتدى بذلته الرسمية، من دون قبعة، بدا الشريف أشبه بسياسي أكثر من رجل شرطة، ونظراً لمنصبه المهم، كان في الواقع شرطياً وسياسياً.

قص شعره إلى درجة التصنّع، وحلق ذقنه بنعومة كبيرة، تلألأت أسنانه ببياض مثالي، بدت قسماته ملائمة لعملة نقدية، فبدا أصغر بعشر سنوات من عمره الحقيقي؛ وجاهزاً للكاميرات.

بالرغم من أن بالمر جلس أمام طاولة مطالعة، لم يكن يضع أمامه مجلة أو جريدة أو كتاباً، بدا وكأنه يعرف كل شيء أصلاً.

لم ينهض بالمر، بقي بيلي واقفاً.

سأل بالمر: "كيف حال الأمور في فينيارد هيلز؟".

قال بيلي: "الكثير من الكروم والكثير من الهضاب".

"ألا تزال تعمل نادلاً في مشرب؟".

"هناك دوماً حاجة. إنها ثالث أقدم مهنة في التاريخ".

سأل بالمر: "ما هي المهنة الثانية بعد بيع الهوى؟".

"السياسة".

بدا الشريف مسروراً. "هل تكتب هذه الأيام؟".

كذب بيلي: "قليلاً".

في إحدى رواياته القصيرة المنشورة، ثمة شخصية قريبة نوعاً ما من جون بالمر.

سأل بالمر: "هل تنجز بعض الأبحاث لكتاباتك؟".

مـــن حيث جلس الشريف، يستطيع أن يرى مباشرة الكمبيوتر، الذي كان يعمل عليه بيلي، ولكن ليس شاشته.

يملـــك بالمر طريقة ربما لمعرفة ما كان بيلي يفعله أمام الكمبيوتر، فالكمبيوتر العمومي يحتفظ ربما بسجل لما فعله.

لا. ربما لا. بالإضافة إلى ذلك، هناك قوانين للخصوصية.

قال بيلي: "نعم، بعض الأبحاث".

"رآك شرطي عندي تركن سيارتك أمام مكتب هاري أفاكيان".

لم يقل بيلي أي شيء.

"بعـــد ثلاث دقائق من مغادرتك لمكتب هاري، نفد الوقت من مكان ركونك".

قد يكون ذلك صحيحاً.

قال بالمر: "وضعت قطعتين نقديتين لك".

"شكراً".

"نافذة باب السائق مكسورة في سيارتك".

قال بيلي: "حادث بسيط".

"ليس هذا خرقاً للقانون، لكن عليك إصلاحه".

كذب بيلي: "أخذت موعداً ليوم الجمعة".

سأل الشريف: "لا يزعجك هذا، أليس كذلك؟".

"ماذا؟".

راقـــب بالمر المكتبة، ما من أحد يراقبهما. "أن نتحدث أنا وأنت هكذا، فقط نحن الاثنان".

قال بيلي: "لا يزعجني".

يملـــك كل سبب للانطلاق بعيداً، لكنه بقي بدل ذلك، مصمماً على عدم الإيحاء بالخوف.

قبل عشرين عاماً، حين كان شاباً عمره أربعة عشر عاماً، تعرض بيلـــي وايلز لاستجوابات أجريت بطريقة يفترض أن تقضي على مهنة جون بالمر في تطبيق القانون.

إلا أنه جرت ترقية بالمر بدل ذلك من رتبة ملازم إلى رتبة نقيب، ولاحقاً إلى رائد، ترشح في النهاية لمنصب الشريف وتم انتخابه، مرتين.

قـــدّم هاري أفاكيان شرحاً موجزاً لترقي بالمر وقال إنه سمع الخبر من رجال الشرطة في القسم: الفاسد يترقى.

سأل بالمر: "كيف حال الآنسة ماندل هذه الأيام؟".

"على حالها".

تساءل إذا كان بالمر يعرف بشأن الاتصال بالرقم 911. لا يملك نابوليتينو وسوبياسكي سبباً لتقديم تقرير حول الموضوع، خصوصاً وأنه كان إنذاراً خاطئاً.

بالإضافة إلى ذلك، يعمل الشرطيان في مركز سانت هيلينا، فيما يجول الشريف بالمر في كل نطاق سلطته، فإن مكتبه موجود هنا.

قال بالمر: "كم كان الأمر محزناً".

لم يجب بيلي.

"علـــى الأقـــل لبقية حياتها، ستحظى بأفضل رعاية مع كل ذلك المال".

"ستتحسن، ستخرج من المحنة".

"هل تظن ذلك فعلاً؟" .

"نعم".

"كل ذلك المال، أتمنى أن تكون محقاً".

"أنا محق".

"تدين بفرصة للاستمتاع بكل ذلك المال".

بقـــي وجه بيلي جامداً مثل الحجر، ولم يعطِ أي تلميح أنه فهم تلميح بالمر.

تـــثاءب وتمـــدد، وكان مرتاحاً جداً في كرسيه، بحيث اعتبر بالمر نفـــسه ربمـــا مـــثل قطة تلعب مع فأرة. "حسناً، سيسعد الناس حين يسمعون أنك لست محطماً، وأنك تكتب قليلاً".

"أي أشخاص؟".

"الأشخاص الذين يحبون كتاباتك، طبعاً".

"هل تعرف أحداً منهم؟".

هزّ بالمر كتفه. "لا أختلط مع تلك المجموعات، لكنني واثق حتماً من أمر واحد...".

لأن الشريف أراد أن يسأله بيلي *ماذا*، لم يسأله بيلي.

بعد صمت بيلي، قال بالمر: "أنا واثق من أن أمك وأباك فخوران جداً".

ابتعد بيلي عنه، وخرج من المكتبة.

بعـــد مكـــيف الهواء، أحرقته حرارة الصيف، شعر وكأنه يختنق عـــندما تنـــشق الهواء، كما لو أنه يختنق عندما يزفره، أو ربما ليست الحرارة، إنه الماضي.

الفصل 38

متوجهاً شمالاً على الطريق 29، خارج الشمس وداخل الشمس، فـــيما ضـــاق الوادي الشهير والخصب بطريقة غير ملحوظة في البداية وبعدها بطريقة ملحوظة، قلق بيلي بشأن حماية باربارة.

تـــستطيع الأموال المخصصة لها استئجار حماية على مدار الساعة طوال الأيام، إلى أن يعثر بيلي على القاتل أو إلى أن يقضي القاتل عليه، المال ليس مهماً.

لكـــن ليـــست هـــذه مدينة كبيرة، دليل الهاتف لا يحتوي على صفحات من الإعلانات لشركات الحماية الخاصة.

الشرح للحراس عن سبب الحاجة إليهم سيكون محفوفاً بالمخاطر، فالحقيقة الكاملة ستربط بيلي بثلاث جرائم قد تلقى على الأرجح على عاتقه.

إذا أخفـــى معظـــم الحقـــيقة، لن يعرف الحرّاس ماذا ينتظرهم، سيعرض حياتهم للخطر.

بالإضـــافة إلى ذلـــك، معظم الحرّاس العاملين في هذه الشركات كانوا رجال شرطة سابقين أو رجال شرطة حاليين يعملون بدوام ثانٍ في ساعات فراغهم. لقد عمل- أو يعمل- العديد منهم مع جون بالمر.

لا يـــريد بيلي أن يعرف بالمر بشأن حراسة باربارة من قبل رجال حراسة مستأجرين، سيتساءل الشريف، سيطرح أسئلة.

بعد أعوام قليلة من بقائه تحت رادار بالمر، عاد الآن ليصبح تحت المجهر مجدداً، لم يجرؤ على لفت المزيد من الانتباه إلى نفسه.

لا يـــستطيع أن يطلب من الأصدقاء مساعدته في حراسة باربارة، سيكونون عرضة للخطر.

على كل حال، ليس لديه أصدقاء مقربون يشعر بالارتياح للطلب منهم، فالأشخاص في حياته هم مجرد *معارف*.

تدبـــر الأمور بهذه الطريقة، لا توجد حياة خارج المجتمع، يعرف ذلـــك، يعرف، إلا أنه لم يُنشئ شبكة اجتماعية قوية ولا يستطيع الآن حصاد أي شيء.

الريح الداخلة عبر النافذة المكسورة سببت له التشوش.

في ساعات الخطر الأعظم المحدق بباربارة، عليه أن يحميها وحده، إذا استطاع.

تـــستحق الحـــياة أكثر منه، فمع تاريخه، لن يأتي إليه أي شخص يحتاج إلى حارس، على الإطلاق، *آخر قتل لي: منتصف ليل الخميس.*

إذا فهـــم بيلـــي القاتـــل جيداً - وهو واثق تماماً من أنه فهمه - ســـيكون قـــتل باربـــارة الذروة التي تسدل الستارة على هذا *الأداء* الوحشي.

انتحارك: بعد فترة وجيزة.

مساء غد، قبل حلول منتصف الليل، سيكون قرب سريرها.

هـــذا المـــساء، لن يكون معها، المهام الملحة على جدول أعماله ستبقيه مشغولاً ربما حتى بزوغ الفجر.

إذا كان غير مصيب، إذا كان قتلها مفاجأة حقيقية، سيصبح هذا الـــوادي المـــشمس، بالنسبة إليه، مظلماً بقدر المساحات الفارغة بين الكواكب في الفضاء.

قاد السيارة بسرعة أكبر، منحنياً إلى الأمام بفعل توق إلى التحرر، فـــيما سطع نور الشمس من يساره، وبدا جبل سانت هيلينا في الوادي

أمامـــه أقـــرب وأقـــرب إلـــيه، استخدم بيلي هاتفه الخلوي للاتصال بوايسبرينغ باينـــز، فضغط على الرقم 1 منتظراً إجراء الاتصال.

بمـــا أن باربـــارة تملك غرفة خاصة مع حمام متصل بها، لا تنطبق علـــيها مواعيد الزيارات الاعتيادية. مع موافقة مسبقة، يستطيع فرد من العائلة تمضية الليل عندها.

أمل في المرور على وايسبرينغ باينـــز في طريقه إلى المنـــزل وتدبر مـــسألة الإقامة عند باربارة من مساء الخميس حتى صباح يوم الجمعة على الأقل، لقد اخترع قصة قد يتم قبولها من دون أي شكوك، عاملة الهاتـــف الـــتي أجابـــت على اتصاله أبلغته أن السيدة نورلي، المديرة، موجـــودة في اجتماع حتى الخامسة والنصف لكنها ستتمكن من رؤيته بعد ذلك، فأخذ موعداً.

قـــبل قلـــيل من الساعة الرابعة، وصل إلى المنـــزل، متوقعاً جزئياً رؤيـــة سيارات شرطة، وعربة لنقل الجثث، وعدداً من رجال الشرطة والـــرقيب نابوليتيـــنو علـــى المصطبة الأمامية، واقفاً أمام كرسي هزاز جلست فيه جثة رالف كوتل، من دون أي غطاء، لكن كل شيء كان هادئاً.

بـــدل استعمال المرأب، ركن بيلي السيارة في الممشى، نحو الجهة الخلفية للمنـــزل.

دخل المنـــزل وفتش كل غرفة. لم يعثر على أدلة تشير إلى دخول غريب المنـــزل في غيابه، لا تزال الجثة متقوقعة وراء الأريكة.

الفصل 39

فــوق المايكروويف، وراء بابيّ خزانة، ثمة مساحة عميقة تحتوي علــى صــواني خبــز، وصينيتيّ بيتزا، وأغراض أخرى موضبة بطريقة عمــودية. أخرج بيلي الصواني - والرف المتحرك الذي كانت عليه - ووضعها في غرفة الطعام.

في الجهـــة الخلفـــية من المساحة التي باتت الآن فارغة، ثمة مأخذ كهربائـــي مع مقبسين، ثمة قابس موضوع في المقبس السفلي، اختفى الحبل عبر فتحة في الجدار الخلفي للخزانة.

إنه قابس المايكروويف. سحبه بيلي.

وقف على سلّم صغير، واستخدم المثقاب الكهربائي، وفتح فجوة في أرضـــية الخـــزانة العلوية، عبر سقف المايكروويف. أدى ذلك إلى إتلاف المايكروويف، لا يبالي.

استخدم المثقاب الكهربائي كما لو أنه مبرد كهربائي، فبرمه حول إطـــار الفتحة وحرّكه صعوداً ونـــزولاً لتوسيع الفتحة. كان الضجيج كبيراً جداً.

فاحت رائحة حريق كهربائي، لكنه أكمل المهمة قبل أن تتحول حرارة الاحتكاك إلى مشكلة.

نظف الأوساخ من المايكروويف، ووضع الكاميرا في الداخل.

بعد غرز كابل بث الفيديو في الكاميرا، مرر الطرف الآخر للكابل عبر الفتحة التي أحدثها في سقف المايكروويف، فعل الشيء نفسه مع الكابل الكهربائي.

في الخـــزانة الـــتي كانـــت تحتوي قبلاً على الصواني، وضع بيلي مـــسجلة الفيديو، اتبع التعليمات المذكورة، وأدخل الطرف الطليق من كابل البث في المسجلة.

وضـــع الكابـــل الكهربائي للكاميرا في المقبس العلوي في الجهة الخلفـــية مـــن الخزانة، أما المسجلة فتم إدخالها في المقبس السفلي الذي كان فيه كابل المايكروويف.

وضـــع قرصـــاً مدته سبعة أيام، ضبط الجهاز حسب التعليمات المذكورة ووضعه قيد التشغيل.

عـــندما أغلق باب المايكروويف، ضغط السطح الداخلي لنافذة المايكـــروويف علـــى الحافة المطاطية لغطاء عدسة الكاميرا، تم توجيه الكاميرا عبر المطبخ إلى الباب الخلفي.

مـــع ضـــوء المايكروويف المطفأ، استطاع بيلي رؤية الكاميرا في الـــداخل عـــندما وضع وجهه قريباً جداً من نافذة المايكروويف، لن يكتشفها القاتل إلا إذا قرر تحضير البوشار في المايكروويف.

بما أن نافذة المايكروويف احتوت على شاشة ناعمة مصفحة بين طـــبقات الـــزجاج، لم يعرف بيلي ما إذا كانت الكاميرا ستوفر رؤية واضحة، عليه اختبارها.

كانـــت الـــستائر المثـــنّاة مسدلة فوق كل نوافذ المطبخ، رفعها، وأشعل الأنوار الفوقية.

وقـــف داخـــل الـــباب الخلفي لحظة، ثم عبر الغرفة بوتيرة غير مستعجلة.

تحـــتوي المسجلة على شاشة صغيرة لمراجعة سريعة للتسجيل، عندما تسلق بيلي السلم الصغير وأعاد عرض التسجيل، رأى صورة داكنة. عندما اجتاز الغرفة، تحسنت الرؤية، واستطاع التعرف إلى نفسه.

لم يحب رؤية نفسه؛ كان شاحباً مثل الموتى، منهكاً وغير واثق من نفسه، مليئاً بالعزيمة وإنما بهدف متردد.

مقارنة مع ذاته، كانت الصورة بالأسود والأبيض، ومشوشة قليلاً، ترنحه الظاهر ناجم ببساطة عن الفارق في وقت التسجيل.

بالرغم من كل ذلك، رأى الشكل غير مقنع: شكل وظلال، ولكن من دون أي تفاصيل أخرى. بدا غريباً في منزله.

أعاد ضبط الكاميرا، أغلق أبواب الخزانة وأبعد السلم الصغير.

في الحمام، بدّل الضمادة فوق حاجبه، كانت الجروح حمراء غامقة، ولكن ليست أسوأ من قبل.

ارتدى قميصاً قطنياً سوداء، وسروال جينز أسود، وانتعل حذاء رياضياً أسود، ستغيب الشمس خلال أقل من أربع ساعات، وعندما يختفي الضوء، يحتاج بيلي إلى التحرك بأكبر خفاء ممكن في الليل العدائي.

الفصل 40

تحـــب غريتـــشن نـــورلي الـــبذلات الداكنة الرسمية، ولا تضع المجوهرات، وتمشط شعرها إلى الخلف بعيداً عن جبينها، وتنظر إلى العالم عـــبر نظارتها ذات الإطار الفولاذي - وتزين مكتبها بالدمى المخملية المحـــشوة: دب صـــغير، وضفدع، وبطة، وأرنب، وهرّة زرقاء صغيرة مـــصفوفة كلها على رفوف في مجموعة تألفت أساساً من كلاب تلقي التحية على الزوار بألسنها الحمراء والوردية المشرقة.

تديـــر غريتـــشين دار رعاية وايسبرينغ باينـــز المشتمل على مئة وســـريرين بفاعلـــية عسكرية وحنان فائق، أسلوبها الدافئ يتناقض مع الخشونة في صوتها.

لا تـــوجد فيها تناقضات أكثر من أي شخص آخر وجد توازناً مؤقتاً في هذا العالم المؤقت، إلا أن تناقضاتها أكثر بروزاً للعيان، وأكثر تحبباً.

تـــركت مكتبها للإشارة إلى أنها تعتبر ذلك مسألة شخصية أكثر مـــنها مسألة عملية، وجلست غريتشن في كرسي هزاز أمام الكرسي الذي جلس عليه بيلي.

قالـــت: "بما أن باربارة تحجز غرفة خاصة، يمكنها تلقي الزيارات خارج أوقات الدوام من دون إزعاج بقية المرضى، لا أرى أي مشكلة، بالـــرغم من أن العائلة تمكث عادة خلال الليل فقط عند عودة مريض من نقل مستشفى".

بالرغم من أن غريتشن تتحلى بالكثير من الرقي للتعبير عن فضولها

مباشـــرة، شعر بيلي أنه مجبر على إرضاء ذلك الفضول بتفسير، بالرغم من أن كل كلمة قالها لها كانت كذبة.

"كانـــت مجموعتي الدينية تناقش ما يقوله الكتاب المقدس عن قوة التضرع".

قالت كما لو أنها محتارة: "أنت تنتمي إذاً إلى مجموعة دينية". كما لو أنه ليس رجلاً يمكن تخيله بسهولة ملتزماً دينياً.

"ثمـــة دراســـة طبـــية كبيرة أظهرت أنه عندما يتضرع الأصدقاء والأقـــارب بفاعلية لشخص مريض، يتعافى المريض في أغلب الأحيان، ويتعافى بسرعة أكبر".

أشـــعلت تلـــك الدراسة المثيرة للجدل فتيل العديد من النقاشات الحامية عندما جرى طرحها في الصحف، تذكر بيلي كل ذلك الكلام الأحمق، وليس مجموعة دينية، فقرر ابتكار تلك القصة للتغطية.

قالت غريتشن نورلي: "أظن أنني قرأت عن الموضوع".

"أنا أتضرع طبعاً لباربارة كل يوم".

"طبعاً".

"لكنني اكتشفت أن التضرع يصبح أكثر أهمية عندما ينطوي على بعض التضحية".

قالت باهتمام كبير: "التضحية".

ابتسم. "أنا لا أقصد ذبح خروف".

"آه، سيرضي ذلك بعض الجماعات".

"لكن لا مشكلة أبداً في صلاة قبل النوم، مهما كانت صادقة".

"أفهم وجهة نظرك".

"لا شك في أن التضرع سيكون أكثر فائدة وفاعلية إذا أتى على حساب شخصي؛ مثل خسارة نوم ليلة على الأقل".

قالت: "لم أفكر أبداً في الأمر بهذه الطريقة".

قـــال بيلي: "بين الحين والآخر، أحب الجلوس معها طوال الليل للتضرع، إذا لم يساعدها ذلك، فإنه يساعدني أنا على الأقل".

مـــصغياً إلى نفسه، رأى أنه يبدو مثل مبشّر على التلفاز يتحدث عـــن فـــضيلة التقـــشف بعد القبض عليه عارياً مع ساقطة في سيارة ليموزين.

لا شك في أن غريتشن نورلي سمعته بطريقة مختلفة عما سمع نفسه، وراء نظارتها ذات الإطار الفولاذي، دمعت عيناها بالتعاطف.

براعته الجديدة أرعبت بيلي، وأقلقته، حين يصبح الكاذب بارعاً جـــداً في الكذب، قد يفقد القدرة على تمييز الحقيقة، ويمكن أن يصبح بدوره ضحية الكذب بسهولة أكبر.

توقع أن يكون هناك ثمن للتذاكي على امرأة مثل غريتشن نورلي، مثلما يوجد ثمن لكل شيء.

الفصل 41

فـــيما ســـار بيلي في الردهة الأساسية المؤدية إلى غرفة باربارة في الجـــناح الغربـــــي، خرج الدكتور جوردان فيرييه، طبيبها، من غرفة مريض آخر. كادا يصطدمان ببعضهما.

"بيلي!".

"مرحبا دكتور فيرييه".

"بيلي، بيلي، بيلي".

"أشعر وكأن محاضرة تنتظرني".

"أنت تتجنبني".

اعترف بيلي: "أبذل ما في وسعي".

يـــبدو الدكتور فيرييه أصغر من اثنين وأربعين عاماً، شعره أشقر، وعيناه خضراوان، وهو دائم المرح وتاجر متفانٍ للموت.

"مضت أسابيع عدة على موعدنا نصف السنوي".

"المـــوعد النصف السنوي هو فكرتك أنت، أنا سعيد جداً باللقاء مرة كل عشر سنوات فقط".

"دعنا نذهب لرؤية باربارة".

قال بيلي: "لا، لن أتحدث عن ذلك أمامها".

"حـــسناً". أمسك بيلي بذراعه، وقاده الدكتور فيرييه إلى القاعة التي يستريح فيها الموظفون.

كانا وحدهما في الغرفة، ثمة آلات بيع تحتوي على وجبات خفيفة ومـــشروبات محـــلاّة، جاهـــزة لتوفير الكثير من الوحدات الحرارية،

والدهـــون والكافيين للموظفين الطبيين الذين يعرفون عواقب جوعهم لكنهم يملكون المنطق الجيد للامتناع نوعاً ما عن هذه الأطعمة.

أبعد فيرييه كرسياً بلاستيكياً أبيض عن طاولة فورمايكا برتقالية، عـــندما لم يحـــذُ بيلي حذوه، تنهد الطبيب، وأعاد الكرسي إلى تحت الطاولة وبقي واقفاً على قدميه.

"قبل ثلاثة أسابيع، أنجزت تقييماً لحال باربارة".

"أنجز واحداً كل يوم".

"أنا لست عدوك، بيلي".

"تصعب المعرفة في هذه الفترة من السنة".

كان فيرييه طبيباً يعمل بكدّ، ذكياً وموهوباً وحسن النوايا، إلا أن الجامعة جعلته لسوء الحظ يصاب بما يعرف *بالأخلاق المنفعية*.

قال الدكتور فيرييه: "لم تتحسن أبداً".

"لكنها لم تصبح أسوأ حالاً أيضاً".

"أي فرصة لاستعادها الوظيفة الإدراكية..."

قاطعه بيلي: "تتحدث أحياناً، أنت تعرف ذلك".

"هل تكون منطقية؟ هل الكلمات متناسقة؟".

قال بيلي: "بين الحين والآخر".

"أعطني مثلاً".

"لا أستطيع الآن، عليّ التحقق من دفاتري".

لدى فيرييه عينان عاطفيتان، يعرف كيف يستخدمهما.

"كانت امرأة رائعة، بيلي، لا يحترمها أحد أكثر مني سواك أنت، لكنها لم تعد تحيا الآن حياة ذات معنى".

"بالنسبة إليّ، إنها ذات معنى كبير".

"لست أنت من يعاني، وإنما هي".

قال بيلي: "لا يبدو أنها تعاني".

"لا يمكننا التأكد تماماً، أليس كذلك؟".

"بالضبط".

لقد أحبت باربارة الدكتور فيرييه، لهذا السبب، لم يستبدله بيلي.

في مستوى ما، قد تكون مدركة لما يجري حولها، في تلك الحال، قد تشعر بأمان أكبر لتلقيها العلاج على يد الدكتور فيرييه بدل طبيب غريب لم تلتقِ به أبداً.

المـــثير للـــسخرية أحياناً أن إحساس بيلي بعدم العدالة يصل إلى درجة التهكم.

لو عرفت باربارة بإصابة فيرييه بمرض الأخلاق الطبية، لو عرفت أنـــه يعتقد أنه يملك الحكمة والحق في تحديد ما إذا كان طفل مصاب بتـــناذر داون أو ولـــد معاق أو امرأة داخلة في غيبوبة، يستمتع بنوعية حياة تستحق العيش، لقررت ربما تبديل الطبيب، لكنها لا تعرف.

قـــال فيرييه: "كانت امرأة نابضة جداً بالحيوية، لا تريد أن تبقى هكذا، سنة بعد سنة".

قـــال بيلي: "لن تبقى هكذا، لم تصل إلى القعر، إنها تطفو قرب السطح، إنها *هنا*".

"أفهـــم ألمك بيلي، صدقني أفهمك، لكنك لا تملك المعرفة الطبية لتقييم حالها، ليست هنا، لن تكون أبداً".

"أذكر شيئاً قالته ذلك اليوم: *أريد أن أعرف ماذا يقول... البحر، ما الذي يستمر في قوله*".

نظـــر إليه فيرييه بحنان وإحباط في الوقت نفسه. "هل هذا أفضل مثل عندك عن التناسق؟".

قال بيلي: "لا تلحق أي أذى".

"يلحـــق الأذى بالمرضى الآخرين عندما ننفق موارد محدودة على قضايا ميؤوس منها".

"ليـــست حالها ميؤوس منها، إنها تضحك أحياناً، إنها *هنا*، وتملك الكثير من الموارد المالية".

"ما يمكن أن يفيد كثيراً في حال استعماله كما يجب".

"لا أريد المال".

"أعـــرف، لـــست مـــن الرجال الذين ينفقون فكة واحدة على أنفـــسهم، لكن يمكنك تحويل هذه الموارد إلى أشخاص آخرين يملكون *احـــتمالاً* أكـــبر لعيش حياة مقبولة أكثر منها، أشخاص يكونون أكثر تقبلاً للمساعدة".

تحمّـــل بيلـــي الدكـــتور فيرييه لأن الطبيب كان فعالاً جداً في الشهادات السابقة للمحاكمة التي قرر صانع حساء الفيشيسواز التقدم بها قبل الانتقال إلى المحكمة.

تابـــع فيريـــيه: "أنا أفكر فقط في باربارة، لو كنت في حالها، لما أردت الاستلقاء هناك هكذا، سنة بعد سنة".

قـــال بيلـــي: "وأنـــا أحتـــرم رغباتك، لكننا لا نعرف ما هي رغباتها".

ذكّـــره فيريـــيه: "جعلها تموت لن يستلزم خطوات ناشطة، علينا فقط أن نكون سلبيين، نـــزع أنبوب التغذية".

في غيبوبـــتها، لا تملـــك باربـــارة رد فعل الابتلاع ولا تستطيع الابتلاع، ينتهي الطعام في رئتيها، "نـــزع أنبوب التغذية وترك الطبيعة تأخذ مجراها".

"الحرمان جوعاً".

"فقط الطبيعة".

أبقاهـــا بيلي تحت رعاية فيرييه لأن الطبيب صريح بشأن رأيه في الأخـــلاق الطبـــية، قد يعمد طبيب آخر إلى التفكير في الطريقة نفسها وإنما يخفي ذلك... ويتظاهر أنه ملاك - أو وكيل - الرحمة.

مـــرتان كل عام، يناقش فيرييه هذا الموضوع، ولكنه لا يتصرف من دون موافقة بيلي.

قال بيلي: "لا. لا. لن نفعل ذلك، سنتابع مثلما كنا".

"أربع سنوات هو وقت طويل جداً".

قال بيلي: "لكن الموت أطول".

الفصل 42

شمـــس السادسة صباحاً المشرقة على حقول الكروم ملأت النافذة بالصيف والحياة والسخاء.

تحت جفنيها الشاحبين، لحقت عينا باربارة ماندل حركة الأحلام القوية.

جلس بيلي على الكرسي الصغير قرب سريرها وقال: "رأيت هاري الـــيوم، لا يزال يتبسم حين يذكر كيف كنت تنادينه الدمية *مابيت*. يقول إن أعظم إنجاز حققه هو عدم شطبه أبداً عن اللائحة القانونية".

لم يخـــبرها عن أي شيء آخر في هذا اليوم، فبقية الأمور لن ترفع معنوياتها.

من الناحية الدفاعية، ثمة نقطتا ضعف في الغرفة وهما الباب المؤدي إلى الردهة والنافذة، أما الحمام المحاذي فلا يحتوي على نافذة.

كشفت النافذة عن ستارة ومزلاج، أما الباب فلا يمكن إقفاله.

مـــثل أي ســـرير مستشفى آخر، لسرير باربارة دواليب. مساء الخميس، مع اقتراب منتصف الليل، يستطيع بيلي جرّ سريرها بعيداً عن هـــنا، حـــيث يتوقع القاتل العثور عليها، ووضعها في غرفة أخرى، في مكان أكثر أماناً.

ليـــست متـــصلة بأجهزة داعمة للحياة أو بأجهزة مراقبة، مورد الطعام والمضخة يتدليان من قضيب مثبت بإطار السرير.

من مكتب الممرضات وسط الردهة الأساسية الطويلة، لا يستطيع أحد رؤية الزاوية المؤدية إلى هذه الغرفة في الجناح الغربـــي، إذا حالفه

الحـــظ، قد يتمكن من نقل باربارة في اللحظة المناسبة من دون أن يراه أحد، ثم يعود إلى هنا لانتظار القاتل.

علـــى افتراض أن الأمور وصلت إلى هذا الحدّ، فهذا افتراض آمن إن لم يكن سعيداً.

ترك باربارة وحدها، ومشى في الجناح الغربـــي، ملقياً نظرة على غرف المرضى الآخرين، متحققاً من خزانة اللوازم، وغرفة الاستحمام، مراجعاً الاحتمالات.

عـــندما عاد إلى غرفتها، كانت تتكلم: "... مبلل بالماء... ملطخ بالوحل... مغطى بالحجارة...".

أوحـــت كلماتهـــا بحلـــم سيئ، لكن نبرة صوتها لم توحِ بذلك، تحدثت بهدوء كما لو أنها مقتادة.

"... مقطـــع بالـــصوّان... ملـــدوغ بالأشواك... ممزق بالورد البري..."

نـــسي بيلي دفتره الصغير وقلمه. لكن حتى لو تذكرهما، لن يملك الوقت للجلوس وتسجيل هذه التمتمات.

قالت: "بسرعة".

وقف قرب سريرها، ووضع يده على كتفها.

همست بإلحاح: "اضربه على فمه".

توقع جزئياً أن تفتح عينيها وتثبتهما عليه، لكنها لم تفعل.

عندما صمتت باربارة، جلس بيلي القرفصاء بحثاً عن الحبل المشغّل لآلية تعديل الفراش في السرير. إذا احتاج إلى تحريكها في الليلة التالية، عليه سحب ذلك الحبل.

علـــى الأرض، مباشرة تحت السرير العالي، وجد صورة ملتقطة بكاميرا رقمية، رفع بيلي الصورة ووقف ليتأملها في الضوء.

همست باربارة: "... ازحف وازحف..."

برم الصورة في اتجاهات ثلاثة قبل أن يدرك أنها صورة يسروع يتضرع، وهو ميت على ما يبدو، وشاحب جداً.

"... ازحف وازحف... ومزقه لفتحه..."

فجأة أصبح صوتها الهامس مثل صورة يسروع يحتضر وتغلغل بسرعة عبر أذنيّ بيلي، ما سبب له الارتعاش.

خلال ساعات الزيارات العادية، يدخل أهل المرضى وأصدقاؤهم عبر الأبواب الأمامية ويذهبون إلى حيث يريدون، من دون الحاجة إلى التوقيع على سجل.

همست: "... يديّ الميت..."

بما أن باربارة تستلزم انتباهاً أقل من المرضى الواعين ومشاكلهم العديدة وطلباتهم الكثيرة، لا تزورها الممرضات كثيراً مثلما يزرن المرضى الآخرين.

"... حجارة رائعة... حمراء غاضبة..."

يستطيع الزائر السريع المكوث هنا نصف ساعة من دون أن يراه أحد قرب هذا السرير- أو وهو يدخل أو يغادر.

لا يريد ترك باربارة وحدها، تتحدث إلى غرفة فارغة، بالرغم من أنها فعلت ذلك مرات عدة في مناسبات سابقة. أمسية بيلي، الغارقة أصلاً تحت وطأة المواعيد، باتت أكثر تعقيداً بإضافة مهمة جديدة أكثر إلحاحاً.

"... سلال متدلية... مريع..."

وضع بيلي الصورة في جيبه.

انحنى صوب باربارة، وقبّلها على جبينها، كان حاجبها بارداً، مثلما هو بارد دوماً.

أمام النافذة، أسدل الستارة.

كره المغادرة، فوقف في باب الردهة ونظر إليها.

قالت شيئاً طنّ في أذنيه، ولكن من دون أن يعرف السبب.

قالت: "سيدة جو. سيدة جو".

لا يعـــرف سيدة جو أو سيدة جوزيف أو سيدة جوهانسون أو سيدة جوناس، أو أي شخص له اسم مماثل للاسم الذي لفظته باربارة، وبالرغم من ذلك، ثمة شيء لفته.

طنّ صوت شبح يسروع في أذنيه مجدداً، ارتعش عموده الفقري.

بتـــضرع حقيقـــي فعلاً وليس مثل تلك التي كذب بشأها أمام غريتـــشن نـــورلي، ترك باربارة وحدها في هذه الليلة الأخيرة التي قد تكون فيها آمنة.

بقـــيت أقل من ثلاث ساعات من ضوء النهار في سماء جافة جداً لتحمل غيمة، فسطعت الشمس بإشراق تام، وصمت الهواء كما لو أنه يتحضر لانفجار كوني.

الفصل 43

لا يحتوي الفناء الأمامي المسيّج على عشب يحتاج إلى الزجّ، وإنما احـــتوى بـــدل ذلك على سجادة من النباتات الكثيفة، وتحت الباقات الجميلة من شجيرات الفليفلة، أزهار متشابكة.

ثمة نفق مشجّر مكلل بكروم العنب ظلل الممشى الأمامي، رفعت الأبواق القرمزية الصامتة أجراسها المتفتحة إلى الشمس.

الـــنفق المقوّس المغطى بالشبيكة أفضى إلى مصطبة أمامية مشمسة حيث أوعية مليئة بأزهار بلون العقيق الأحمر.

المنـــــزل بـــنغالو إسباني، متواضع وإنما جميل، ويحظى بصيانة ممتازة.

تم رســـم شـــكل أســـود لعصفور على الباب الأمامي الأحمر، الجناحان مرتفعان إلى الأعلى والعصفور في زاوية تحليق إلى الأعلى.

فيما طرق بيلي نصف طرقة صغيرة على الباب، فتح الباب، كما لو أن حضوره كان متوقعاً وتم انتظاره بتوقع قوي.

قالـــت آيفي إيلجين: "مرحبا بيلي". من دون دهشة، كما لو أنها رأته عبر نافذة، لكن لا توجد أي نافذة.

حافـــية القدمين، ارتدت سروالاً قصيراً باللون الكاكي وقميصاً قطنياً أحمر خالياً من أي علامة، بالرغم من بساطتها، بقيت آيفي تشع جمالاً وجاذبية.

قال: "لم أكن واثقاً من أنني سأجدك هنا".

"عطلتي يوم الأربعاء" تراجعت عن الباب.

تردد بيلي لبرهة على العتبة، ثم قال: "نعم. لكن لديك حياة".
"أنا أقشر الفستق الحلبـــي في المطبخ".
اســـتدارت، ودخلت المنـــزل، وتركته يتبعها كما لو أنه جاء إلى هنا قبلاً ألف مرة، إنها زيارته الأولى.
تناســـق نور الشمس المظلل بستائر سميكة مع نور مصباح أرضي مغطى بالحرير الفيروزي في غرفة الجلوس.
تأمـــل بيلي الأرضية الداكنة، والمفروشات الموهير باللون الأزرق الكحلي، وسجادة من الطراز الفارسي. بدا العمل الفني وكأنه يعود إلى ثلاثينيات القرن العشرين.
أصـــدر بعض الضجيج على أرضية الخشب، لكن آيفي لم تصدر أي ضـــجيج، اجتازت الغرفة كما لو أن رقاقة من الهواء فصلت دوماً بين قدميها والألواح الخشبية في الأرضية، تماماً مثل تختار الذبابة العبور فوق بركة من دون التأثير في سطح الماء.
في الجهـــة الخلفـــية مـــن المنـــزل، تطابق المطبخ مع حجم غرفة الجلوس، واحتوى على مساحة لتناول الطعام.
ألـــواح خـــشبية زخرفية، أبواب خزانات فرنسية الطراز، أرضية بيضاء مطعمة بأشكال ماسية سوداء، وترتيب ممتاز جعله يتذكر سحر نيو أرليانـــز.
كانت النافذتان الفاصلتان بين المطبخ والمصطبة الخلفية مفتوحتين للتهوئة، ثمة عصفور أسود كبير جاثم على نافذة.
أوحى السكون المثالي للعصفور بأنه محنّط، ثم حرّك رأسه.
بالـــرغم مـــن أن آيفي لم تقل أي شيء، شعر بيلي أنه مدعو إلى الجلـــوس أمام الطاولة، وعندما جلس، وضعت كوباً من الثلج أمامه، رفعت إبريقاً عن الطاولة، وسكبت الشاي.

ثمـــة كوب آخر من الشاي على شرشف الطاولة المطبع بمربعات بيـــضاء وحمراء، وطبق من الكرز الطازج، وصينية مليئة بكومات عالية من الفستق غير المقشر.

قال بيلي: "منـــزلك جميل".

"كـــان هـــذا منـــزل جدتي، هي تولت تربيتي". أخذت ثلاث حبات كرز من الطبق.

تحدثت آيفي بهدوء، مثلما تفعل دوماً، حتى في المشرب، لا ترفع صوتها أبداً، لكنها تحرص دوماً على إبقاء صوتها مسموعاً.

مـــن دون وجود أحد يتجسس، تفاجأ بيلي لسماع نفسه يسأل، بصوت هادئ مثل صوتها: "ماذا حصل لأمك؟".

قالـــت آيفي فيما وضعت حبات الكرز على حافة النافذة قرب العصفور: "ماتت في أثناء الولادة، غادر بعدها والدي للتو".

تمت تحلية الشاي برحيق المشمش، مع القليل من النعناع.

فيما عادت آيفي إلى الطاولة، وجلست، وتابعت تقشير الفستق، راقب العصفور بيلي، وتجاهل حبات الكرز.

سأل بيلي: "هل هذا العصفور لك؟".

"نحـــن نملك بعضنا بعضاً، نادراً ما يدخل أبعد من النافذة، وحين يفعل، يحترم قواعدي في النظافة".

"ما اسمه؟".

"لم يخبرني بعد، سيفعل في النهاية".

لم يـــشعر بيلي أبداً في حياته، لغاية الآن، بهذا القدر من الارتياح والتشوش في الوقت نفسه، وإلا لما وجد نفسه يطرح سؤالاً غريباً آخر: "أيهما جاء أولاً، العصفور الحقيقي أو العصفور على الباب الأمامي؟".

قالت: "وصلا معاً". بحيث لم يكن جوابها أقل غموضاً من سؤاله.

"ما نوعه، غراب؟".

قالت: "إنه أكثر وقاراً من ذلك، إنه غراب أسود، يريدنا أن نعتقد أنه ليس أكثر من ذلك".

لم يعرف بيلي ماذا يقول، ولذلك لم يقل أي شيء، شعر بالارتياح في الصمت، وهي أيضاً على ما يبدو.

أدرك أنه فقد إحساس الإلحاح الذي كان معه عندما غادر وايسبرينغ باينز، لم يعد الوقت يمرّ بسرعة على ما يبدو، في الواقع، بدا الوقت غير مهم هنا.

أخيراً، استدار العصفور نحو حبات الكرز، مستخدماً منقاره لكشط اللب عن النوى بفاعلية مذهلة.

بدت أصابع آيفي الطويلة والممشوقة تعمل ببطء، لكنها أضافت بسرعة حبات الفستق المقشرة إلى الوعاء.

قال بيلي: "هذا المنزل هادئ جداً".

"لأن الجدران لم تتشبع بسنوات من الكلام العديم الفائدة".

"لم تفعل؟".

"كانت جدتي صمّاء، كنا نتواصل بلغة الإشارة والكلام المكتوب".

وراء المصطبة الخلفية، ثمة حديقة من الأزهار متفتحة بألوان حمراء أو زرقاء أو أرجوانية، فإذا تحركت ورقة، إذا تحرك زيز، إذا حامت نحلة حول وردة، لا يدخل أي صوت عبر النوافذ المفتوحة.

قالت آيفي: "قد تحب بعض الموسيقى، لكنني لا أفضل شيئاً".

"ألا تحبين الموسيقى؟".

"أسمع منها ما يكفي في المشرب".

"أحب زيديكو، والألحان الغربية، تكساس توب هاندس، بوب ويلز وتكساس بلاييويز".

قالت: "على كل حال، توجد أصلاً موسيقى إذا جلست ساكناً كفاية لسماعها".

لا بد أنه ليس ساكناً كفاية.

أخـــرج بيلـــي صـــورة اليسروع الميت من جيبه ووضعها على الطاولـــة، وقـــال: "وجـــدت هـــذه على الأرض في غرفة باربارة في وايسبرينغ باينـــز".

"يمكنك الاحتفاظ بها إذا أردت".

لم يعرف ماذا يفعل بهذا. "هل كنت تزورينها؟".

"أجلس معها أحياناً".

"لم أكن أعرف".

"كانت لطيفة معي".

"لكنك بدأت العمل في المشرب بعد سنة واحدة من دخولها الغيبوبة".

"عرفتها قبلاً".

"حقاً".

"كانت لطيفة معي عندما كانت جدتي تموت في المستشفى".

كانت باربارة ممرضة، وممرضة جيدة.

سأل بيلي: "كم مرة تزورينها؟".

"مرة كل شهر".

"لماذا لم تخبريني أبداً آيفي؟".

"سنضطر حينها إلى التحدث عنها، أليس كذلك؟".

"نتحدث عنها؟".

ســـألت آيفي: "نتحدث عن حالها، وما عانته؛ هل يعطيك ذلك السلام؟".

"السلام؟ لا. وكيف ذلك؟".

"هل تشعر بالسلام عند تذكر كيف كانت، قبل الغيبوبة؟".

فكر قليلاً "أحياناً".

رفعت نظرها عن حبات الفستق، والتقت عيناها الرائعتان بعينيه.

"دعنا لا نتحدث إذاً عن الموضوع الآن، نتذكر فقط".

انتهـــى الغـــراب مـــن تناول حبتين من الكرز، ثم توقف لتمديد جناحيه، فتح الجناحان بصمت، وأغلقهما بصمت.

عندما نظر بيلي إلى آيفي مجدداً، عاد انتباهها إلى يديها.

ســـألها: "لمـــاذا أخـــذت هـــذه الصورة معك عندما ذهبت إلى زيارتها؟".

"آخذها معي إلى كل مكان، أحدث صور الأشياء الميتة".

"لكن لماذا؟".

ذكّرته: "توقع المستقبل، أقرأ في هذه الصور، إنها تتوقع المستقبل".

ارتشف الشاي.

راقبه الغراب، ومنقاره مفتوح، كما لو أنه ينعب، لكنه لم يصدر أي صوت.

سأل بيلي: "ماذا تقول عن باربارة؟".

هـــدوء آيفي وقدرتها على الاستبصار أخفيا ما إذا كانت تحسب جـــوابها أم أنها ترددت بدل ذلك لأن أفكارها مشتتة بين هنا ومكان آخر. "لا يوجد شيء".

"ليس من شيء على الإطلاق".

لقد أعطت جوابها، لا تملك جواباً آخر.

على الطاولة، في الصورة، لم يقل اليسروع شيئاً لبيلي.

سأل: "من أين جاءتك فكرة قراءة الأشياء الميتة؟ من جدتك؟".

"لا. عارضتني. كانت كاثوليكية ملتزمة".

"لكنك لم توافقيها الرأي".

قالت آيفي بهدوء أكثر من المعتاد: "أوافقها ولا أوافقها".

بعـــدما انتهى الغراب من حبة الكرز الثالثة، بقيت حبات النوى العارية مصفوفة على حافة النافذة، كما لو أنها اعتراف بقواعد النظافة والترتيب في المنـــزل.

قالت آيفي: "لم أسمع أبداً صوت أمي".

لم يعرف بيلي ماذا يفعل عند سماع هذه الجملة، ثم تذكر أن أمها ماتت خلال الولادة.

قالـــت آيفي: "منذ صغري، أعرف أن أمي تملك شيئاً مهماً جداً لقوله لي".

للمـــرة الأولى، لاحـــظ ساعة على الجدار، لا عقارب للثواني أو للدقائق أو للساعات فيها.

قالـــت آيفي: "لطالما كان هذا المنـــزل هادئاً على الدوام، هادئاً جداً، عليك الإصغاء هنا".

أصغى بيلي.

قالت آيفي: "الموتى يملكون أشياء لقولها لنا".

نظر الغراب إلى سيدته بعينين رماديتين لامعتين.

قالـــت: "الجـــدار أرقّ هنا، الجدار الفاصل بين العالمين. تستطيع الروح التحدث عبره إذا أرادت ذلك بشدة".

دفعت القشور الفارغة جانباً، ووضعت حبات الفستق في الوعاء، فأصـــدرت سمفونية ناعمة من الأصوات، أكثر هدوءاً من صوت الثلج الذائب في كوبيّ الشاي.

قالت آيفي: "أحياناً عند الليل، أو في لحظة ساكنة من بعد الظهر، أو عـــند غـــروب الشمس حين يبتلع الأفق الشمس ويسود الصمت،

أعرف أنها تناديني. أكاد أسمع نوعية صوتها... ولكن ليست الكلمات، ليس بعد".

فكّر بيلي في باربارة وهي تتحدث من أعماق نومها غير الطبيعي، بحيث تكون كلماتها من دون معنى للجميع، وإنما مليئة بالمعنى الغامض بالنسبة إليه.

وجد آيفي إيلجين مثيرة للقلق بقدر ما هي مثيرة للجاذبية، تبدو براءتها أحياناً أقرب إلى الطهارة، حذر بيلي نفسه أنه في أعماق قلبها، كمـــا هي حال قلب أي رجل وامرأة، لا بد من وجود مكان لا يصله النور، حيث لا يمكن بلوغ الصمت الهادئ.

لكن، وبغض النظر عن رأيه الشخصي في الحياة والموت، وبالرغم مـــن كـــل الحوافز غير النقية التي تدفع آيفي، إذا كانت هناك حوافز تدفعها، شعر بيلي أنها صادقة في اعتقادها أن أمها تحاول الوصول إليها، وستستمر في المحاولة، إلى أن تنجح في النهاية.

الأكثـــر أهمـــية أنهـــا أثّرت فيه، ليس بالمنطق وإنما بحكم لاوعيه المتكـــيف، بحيث لا يستطيع اعتبارها مجرد فتاة غريبة الأطوار، في هذا المنــــــزل، قد تكون الجدران الفاصلة بين العالمين رقيقة جداً، ومشبعة بسنوات طويلة من الصمت.

نادراً ما تصح التفاصيل في توقعاتها المرتكزة على قراءة المستقبل، تقـــول إن هذا يعزى إلى عدم خبرتها في قراءة الإشارة، ولا تعترف أبداً بالاقتراحات القائلة إن توقع المستقبل عديم الفائدة بحدّ ذاته.

فهـــم الآن بيلي عنادها، إذا لم يكن في وسع الشخص قراءة المستقبل في الظروف الفريدة لكل شيء ميت، قد يكون صحيحاً أيضاً أن الموتى لا يملكـــون شيئاً لإخبارنا به وأن الولد الذي ينتظر سماع صوت أم ضائعة لن يسمعه أبداً مهما أصغى أو مهما بقي صامتاً ومنتبهاً.

هكذا، تتأمل صور حيوانات أبوسوم الميتة على جوانب الطرقات، واليساريع الميتة، والطيور الواقعة من السماء.

تمشي بصمت في منزلها، تقشر الفستق من دون ضجيج، تتحدث بهدوء إلى الغراب أو لا تتحدث إطلاقاً، وفي بعض الأحيان يصبح الهدوء سكوناً مثالياً.

سيطر الآن هذا السكون عليهما، لكن بيلي كسره.

اهتم في رد فعل آيفي أكثر مما اهتم في تحليلها، وراقبها بتمعن أكثر مما فعل الطير الأسود، وقال بيلي: "في بعض الأحيان، يحتفظ المجرمون المريضون نفسياً بتذكارات لتذكيرهم بضحاياهم".

بالرغم من أن تعليق بيلي لم يكن أكثر غرابة من الإشارة إلى الحرّ، توقفت آيفي لارتشاف الشاي، ثم عادت لتقشير الفستق.

شك في أن أي شيء يقوله أي كان لآيفي لا يثير مفاجأة لديها، كما لو أنها تعرف دوماً الكلمات قبل أن يتم لفظها.

تابع بيلي القول: "سمعت عن هذه القضية التي قام فيها مجرم كبير بقطع وجه الضحية وحفظه في وعاء من الفورمالديهايد".

غرفت آيفي قشور الفستق عن الطاولة، ووضعتها في سلة المهملات قرب كرسيها، لم توقعها في السلة وإنما *وضعتها* في سلة المهملات بطريقة لم تصدر أي صوت.

عند مراقبة آيفي، لم يستطع بيلي أن يعرف ما إذا كانت سمعت قبلاً بقصة سارق الوجه أو أن الخبر جديد عليها.

"إذا صادفت ذلك الجسم الخالي من الوجه، ماذا تقرأين فيه؟ ليس المستقبل، وإنما هو، القاتل.

قالت من دون تردد: "مسرح".

"لم أفهم ماذا تقصدين".

"يحب المسرح".

"لماذا تقولين هذا؟".

قالت: "دراما قطع وجه".

"لم أجرِ هذا الرابط".

أخذت حبة كرز من طبق مسطح.

قالت: "المسرح هو خيبة أمل، ما من ممثل يؤدي شخصيته الحقيقية".

كل ما استطاع بيلي قوله هو "حسناً". ثم انتظر.

قالت: "في كل دور، يختار الممثل هوية زائفة".

وضعت حبة الكرز في فمها، بعد برهة، بصقت النواة في راحة يدها، وابتلعت الثمرة.

سواء أكانت تريد الإشارة إلى أن النواة هي الحقيقة القصوى للكرز أم لا، هذا ما فهمه.

مرة جديدة، نظرت آيفي في عينيه: "لم يرد الوجه لأنه وجه، أراده لأنه قناع".

كانت عيناها جميلتين أكثر مما يمكن قراءتهما، لكنه لا يظن أن بصيرتها تصيبها بالقشعريرة مثلما فعلت به، عندما تمضي حياتك ربما وأنت تصغي إلى أصوات الموتى، لا تصيبك القشعريرة بسهولة.

قال: "هل تقصدين أحياناً، أنه عندما يكون وحيداً وعلى مزاجه، يخرج القناع من الوعاء ويضعه؟".

"ربما يفعل ذلك، أو يريده ربما لأنه يذكّره بدارما مهمة في حياته، في أداء مفضل".

أداء.

لقد أثّرت فيه هذه الكلمة عندما لفظها رالف كوتل، قد تكون آيفي كررتها عن معرفة، أو بكل براءة، لا يستطيع أن يعرف.

استمرت في النظر إليه. "هل تظن أن كل وجه هو قناع، بيلي؟".

"وأنتِ؟".

"جـــدتي الـــصماء، اللطيفة والرقيقة مثل الصالحة، لا تزال تحمل أسرارها. إنها أسرار بريئة، لا بل فاتنة، كان قناعها شفافاً مثل الزجاج؛ لكنها كانت تضع واحداً".

لم يعرف لماذا تخبره بذلك، وما الذي أرادت الإيحاء به مما أخبرته، لم يصدق أن سؤالها مباشرة سيفضي إلى جواب أكثر صراحة.

لم تقـــصد بالضرورة أن تسبب خيبة الأمل، كان حديثها مراوغاً أكثـــر مما هو صريح في أغلب الأحيان، ليس بسبب النية وإنما بسبب طبيعتها، كل شيء قالته بدا صافياً مثل رنين الجرس على الأذن؛ وإنما في الوقت نفسه صعب قليلاً على التفسير.

في أغلـــب الأحيان، يقول صمتها أشياء أكثر من الكلمات التي تلفظها، وهذا منطقي بالنسبة إلى فتاة ربّتها جدة صمّاء.

إذا قـــرأها جـــيداً، لم تكن آيفي تحاول تخييب أمله بأي طريقة، ولكن لماذا قالت إن كل وجه، بما في ذلك وجهها، هو قناع؟

إذا كانت آيفي تزور باربارة فقط لأن باربارة كانت لطيفة قبلاً معها، وإذا كانت تأخذ معها صور الأشياء الميتة إلى وايسبرينغ باينـــز فقط لأنها تأخذها إلى كل مكان، يعني ذلك أن صورة اليسروع ليست لها علاقة بالفخ الذي وجد بيلي نفسه عالقاً فيه، ولا تعرف أبداً بشأن القاتل.

في هـــذه الحال، يستطيع أن ينهض ويفعل الأشياء الملحة الواجب إنجازها، إلا أنه بقي جالساً أمام الطاولة.

أخفضت عينيها مرة جديدة إلى حبات الفستق، وعادت يداها إلى التقشير الهادئ والمفيد.

قالت آيفي: "كانت جدتي صمّاء منذ الولادة، لم تسمع أبداً أي كلمة ملفوظة و لم تعرف كيف تركّب الكلمات".

راقب بيلي أصابعها الرشيقة، وشك في أن أيام آيفي مليئة بالعمل المفيد- الاعتناء بحديقتها، إبقاء هذا المنـــزل الجميل في وضعه الحالي من المثالية الخالية من الشوائب، الطهو- وتفادي الكسل بأي ثمن.

"لم تـــسمع أبداً أي شخص يضحك، لكنها كانت تعرف كيف تفعل ذلك، كانت تملك ضحكة جميلة ومعدية، لم أسمعها أبداً تبكي إلا حين أصبحت في الثامنة".

فهم بيلي دوافع آيفي، وتعاطف معها، استلطفها، بغض النظر عن التفكير في ما إذا كان بالإمكان الوثوق فيها أم لا.

قالت آيفي: "عندما كنت أصغر سناً، لم أفهم تماماً ماذا يعني أن أمي توفيت في أثناء الولادة. كنت أظن أنني المسؤولة نوعاً ما عن موتها".

على حافة النافذة، مدد الغراب جناحيه مجدداً، بصمت مثلما فعل قبلاً.

قالـــت آيفي: "كنت في الثامنة عندما أدركت أنني لست مذنبة، وعـــندما أشرت إلى جدتي بإدراكي، رأيتها تبكي للمرة الأولى، يبدو ذلك مضحكاً، لكنني افترضت أنه عندما تبكي، سيكون بكاؤها نحيباً صـــامتاً، لا شيئاً سوى دموع وتشنجات صامتة، إلا أن بكاءها كان عاديـــاً مثل ضحكتها، بالنسبة إلى هذين الصوتين، لم تكن امرأة مختلفة عن أي امرأة تستطيع السماع والتحدث، إنها واحدة من المجتمع".

ظن بيلي أن آيفي تفتن الرجال بجمالها وجاذبيتها، لكن الفتنة التي تلقيها حولها تكشف عن مصدر أعمق.

عرف أنه أراد كشف الحقيقة فقط عندما خرجت الكلمات من فمه: "عندما كان عمري أربعة عشر عاماً، أطلقت النار على أمي وأبـــي".

قالت "أعرف" من دون أن تنظر إليه.

"حتى الموت".

"أعرف، هل فكرت يوماً في أن واحداً منهما يرغب في التحدث إليك عبر الجدار؟".

"لا، أبداً، وأتمنى ألا يفعلا ذلك أبداً".

قشرت الفستق، ونظرت إليه، وقالت: "عليك أن تذهب".

حسب نبرتها، قصدت أنه يستطيع البقاء لكنه فهم أنه عليه المغادرة.

قال "نعم". ونهض عن كرسيه.

"أنت في مشكلة، بيلي، أليس كذلك؟".

"لا".

"هذه كذبة".

"نعم".

"ولا يمكنك إخباري"

لم يقل أي شيء.

"جئت إلى هنا بحثاً عن شيء ما، هل وجدته؟".

"لست أكيداً".

قالت: "أحياناً، يمكنك الإصغاء بشدة إلى أخف الأصوات بحيث لا تسمع حتى الأصوات العالية".

فكّر في الأمر لبرهة ثم قال: "هل سترافقينني إلى الباب؟".

"أصبحت تعرف الطريق الآن".

"عليك إقفال الباب ورائي".

"يقفل الباب وحده عندما يغلق".

"ليس هذا جيداً كفاية، قبل الظلام، عليك إقفال كل الأبواب، وإقفال النوافذ".

قالت: "لا أخاف من أي شيء، لم أخف يوماً".

"لطالما خفت".

قالت: "أعرف، طوال عشرين عاماً".

في طريق خروجه، أصدر بيلي ضجيجاً أقل على الأرضية الخشبية مما فعل في أثناء دخوله، أغلق الباب الأمامي، وجرّب القفل، مشى في الرواق المظلل بالأشجار وصولاً إلى الشارع، تاركاً آيفي إيلجين مع الشاي والفستق، والغراب المراقب خلفها على حافة نافذة المطبخ حيث الساعة تفتقد إلى العقارب.

الفصل 44

استأجر ستيف زيليس منـــزلاً بطابق واحد من دون هندسة مميزة في شارع يبدو فيه أن الفلسفة الطاغية بين الجيران هي إهمال الملكية.

المنـــــزل الوحـــيد الذي حظي بصيانة جيدة يقع مباشرة شمال منـــزل ستيف، صديقة جاكي أوهارا، سيليا رينولدز، تعيش هناك.

زعمت أنها رأت زيليس في نوبات غضب وهو يقطع الكراسي، والبطيخ والعارضات البلاستيكية في الفناء الخلفي لمنـــزله.

يقـــع المـــرأب في الجهة الجنوبية لمنـــزله، بعيداً عن مرأى سيليا ريـــنولدز، بعدما نظر مرات عدة إلى مراياه وتأكد من عدم لحاق أحد به، ركن بيلي السيارة بجرأة في الممشى.

بـــين زيلـــيس وجارته الجنوبية ثمة جدار ارتفاعه ثماني أقدام من أشجار الأوكالبتوس غير المشذبة التي توفر الخصوصية.

عـــندما خـــرج بيلي من سيارة الإكسبلورر، اقتصر تخفيه على اعتمار قبعة بايسبول زرقاء، أخفضها فوق جبينه.

منحـــته علـــبة الأدوات شرعية الحضور، رجل مع علبة أدوات، يتحرك بسرعة، يفترض أن يكون عامل صيانة، ولا يثير أي شبهات.

بـــصفته نادل مشرب، يملك بيلي وجهاً معروفاً في دوائر معينة، لكنه لا يتوقع أن يبقى في العلن لوقت طويل.

مـــشى بين أشجار الأوكالبتوس العطرة والمرأب. مثلما أمل، عثر علـــى باب بحجم رجل، بما أن المكان كان مهملاً والإيجار رخيصاً، ثمة قفل بسيط يغلق الباب، ما من قفل محكم.

استخدم بيلي بطاقة رخصة القيادة خاصته لفتح القفل، أخذ علبة معداته إلى المرأب وأنار الضوء.

في طريقه من وايسبرينغ باينـــز إلى منـــزل آيفي إيلجين، مرّ أمام المشرب، كانت سيارة ستيف مركونة في المرأب.

يعيش زيليس وحده، المكان إذاً خال.

فتح بيلي المرأب، وأدخل سيارته إلى الداخل، وأغلق الباب، تحرك بطريقة عفوية، كما لو أنه غير مستعجل للابتعاد عن الأنظار.

ليالي الأربعاء تكون عادة مزدحمة في المشرب، لن يعود ستيف إلى المنـــزل إلا بعد الثانية من فجر يوم الخميس.

إلا أن بيلـــي لا يستطيع المجازفة بالبقاء سبع ساعات في المنـــزل وتفتيشه، في مكان آخر، ثمة جثتان مدمغتان بالأدلة ضده يجب التخلص منهما قبل بزوغ الفجر.

كـــان المـــرأب مليئاً بالعناكب والغبار، وخالياً من الأغراض، في عـــشر دقائـــق، عثر على عناكب ولكنه لم يعثر على مفتاح احتياطي للباب الداخلي.

أراد تفـــادي علامات الدخول الإكراهي، إلا أن فتح القفل ليس سهلاً مثلما يبدو في الأفلام، ولا إغراء امرأة أو قتل رجل، أو أي شيء آخر.

بمـــا أنـــه وضع أقفالاً جديدة في منـــزله، تعلم بيلي كيف ينجز العمل بطريقة صحيحة وتعلم أيضاً أنه يمكن إنجاز العمل بطريقة سيئة، أمل في أن يكون العمل سيئاً هنا، وهكذا كان.

تم تركيب الباب ربما ليفتح من الجهة غير الصحيحة، فبدل أن يتم تركيب الباب للتطابق مع القفل، تم تركيب القفل في الجهة المعاكسة، وكانت الجهة الداخلية نحو المرأب.

بدل أن يكون غطاء ثقب المفتاح ثابتاً، وجد واحداً مثبتاً ببرغيين، أما ثقب المفتاح فهو مزود بمقبض للسحب.

فـــتح الباب في وقت أقل من ذلك الذي احتاج إليه للبحث عن مفـــتاح احتياطي، وقبل المتابعة، أعاد تركيب القفل، نظّف كل الأدلة المشيرة إلى أفعاله ومسح كل بصماته عن الباب.

عـــاد إلى علبة الأدوات، وأخرج منها مسدسه، لتسهيل الخروج السريع، وضع الأدوات في سيارة الإكسبلورر.

بالإضـــافة إلى علـــبة الأدوات، أحـــضر معـــه علبة من قفازات اللاتكس. وضع زوجاً من القفازات في يديه.

الآن، مـــع بقـــاء ساعة من ضوء النهار، قام بجولة في المنـــزل، وأشعل الأنوار في كل غرفة.

كانت العديد من الرفوف في غرفة الطعام فارغة، اقتصرت مؤونة ســـتيف على بعض علب الحساء، وعلب اليخنات، ورقاقات البطاطا المقلية، والبوشار، والبسكويت المملح.

الأطـــباق والطناجر الوسخة الموجودة في حوض غسل الصحون كانـــت أكثـــر من عدد الأغراض النظيفة الموجودة في الخزانات، التي كانت بمعظمها فارغة.

في درج، عثر على مجموعة من المفاتيح الاحتياطية الخاصة بسيارة وأقفـــال منـــزل، للمنـــزل ربما. جرّب بعض المفاتيح في الباب الخلفي ووجـــد واحداً يعمل، وضع ذلك المفتاح الاحتياطي في جيبه قبل إعادة بقية المفاتيح إلى الدرج.

يحتقـــر ســـتيف زيلـــيس المفروشات، في غرفة الطعام الملاصقة للمطـــبخ، لم يـــتطابق الكرســـي الوحـــيد مـــع طاولة الفورمايكا القديمة.

احتوت غرفة الجلوس على أريكة قديمة، ومتكأ من الجلد المشقق، مـــع تلفـــاز ومشغل أقراص دي في دي على طاولة ذات دواليب، تم تكديس المجلات على الأرض، وثمة زوج من الجوارب الوسخة قربها.

باستثناء قلة الملصقات، كان الديكور شبيهاً بديكور غرفة طالب جامعة، استمرار المراهقة مرض لكنه ليس جرماً.

إذا جـــاءت امرأة يوماً للزيارة، لا تعود مجدداً؛ أو تنام، فالقدرة علـــى ربط أعناق حبات الكرز باللسان ليست أمراً كافياً لضمان حياة غنية بالرومنسية.

غرفة النوم الاحتياطية لا تحتوي على مفروشات، وإنما على أربع عارضـــات بلاســـتيكية، كلها عارضات إناث، عارية، من دون شعر، صلع، تم العبث بثلاث منها.

ثمـــة عارضة مستلقية على ظهرها على الأرض، في وسط الغرفة، ثمة سكينان كبيرتان فيها، تم غرز كل سكين في حنجرتها، كما لو أنها طعنت نفسها مرتين.

تم ثقب فتحة بين ساقيها، تم أيضاً إدخال قضيب مستدق الرأس مأخـــوذ من سياج حديدي بين ساقيها، تم غرز الطرف مستدق الرأس في المهبل المستحدث.

بـــدل القـــدمين، حملت العارضة يدين في طرفيّ ساقيها، كانت الـــساقان محنيـــتين للـــسماح لليدين الإضافيتين بالإمساك بالقضيب الحديدي.

ثمة زوج ثالث من اليدين مقطوع من المعصمين خرج من الثديين، ارتفعـــت هاتان اليدان نحو الهواء، بتوق وشوق، كما لو أن العارضة لا تشبع.

الفصل 45

إذا طفتَ خلسة في معظم المنازل، يمكن اكتشاف أدلّة على أسرار انحراف.

وبما أنه تم تخصيص عناية كبيرة لتشويه هذه العارضات، وتكريس الكثير من الوقت لذلك، بدت أنها تمثل شيئاً أكثر من هذا، لم يكن ذلك تعبيراً عن الرغبة وإنما عن توق نهم، عن *حاجة* كبيرة لا يمكن إشباعها أبداً.

ثمة عارضة أخرى جلست وظهرها إلى الجدار، مع ساقين مفتوحتين، تم اقتلاع عينيها، وجرى غرز أسنان مكانهما.

بدت أنها أسنان حيوان، ربما أسنان زواحف وربما حقيقية، أنياب معقوفة وقواطع مكسورة.

تم لصق كل سن بعناية في حافة المحجر، بدا وكأنه جرى لصق كل سن بعناية وتصميم للحصول على الشكل الأكثر ترويعاً وإرهاباً.

تم قطع الفم وتجويفه كثيراً، ملأت أسنان غير بشرية فم العارضة.

مثل بتلات الوردة المتفتحة، كانت الأذنان محاطتين بأسنان متوازنة.

نتأت أسنان من الحلمتين ومن السرّة، كشف المهبل المحفور عن أنياب أكثر من الفتحات الأخرى.

لا يعرف بيلي، ولا يبالي، إذا كانت هذه الصورة المروّعة تمثل الخوف من الأنوثة الطاغية أو إشباعاً للرغبة الذاتية.

أراد فقط الخروج من هنا، لقد رأى ما يكفي، إلا أنه تابع المراقبة.

العارضـــة الثالثة جلست أيضاً وظهرها إلى الجدار، وضعت يديها في حـــضنها وأمسكت بوعاء. الوعاء هو في الواقع القسم العلوي من جمجمتها، تم نشره بالمنشار.

ثمـــة صـــور لأعضاء تناسلية رجالية ملأت الوعاء، لم يلمسها بيلي.

ثمة باقة من صور متشابهة، الكثير منها، فاضت من أعلى الجمجمة المفتوحة، وفاض المزيد من الصور من فم العارضة.

يبدو جلياً أن ستيف زيليس أمضى الكثير من الوقت وهو يلتقط صوراً لنفسه من زوايا مختلفة، في وضعيات مختلفة.

أدت قفـــازات بيلي دوراً إضافياً غير الحماية من ترك البصمات، فلولا القفازات، لشعر بالغثيان من الحاجة إلى إمساك مقابض الأبواب، والضغط على المفاتيح الكهربائية، وأي شيء آخر في المنـــزل.

العارضـــة الرابعة لم يتم تشويهها بعد، يتحرق زيليس شوقاً على الأرجح للانقضاض عليها.

خـــلال دوام عملـــه في المشرب، فيما يسكب شراب الشعير من الـــصنبور، ويخبر النكات، وينجز ألاعيبه، *هذه* هي الأفكار التي تراوده وراء الابتسامة المشعة.

كانـــت غـــرفة نوم ستيف مفتقدة إلى المفروشات تماماً مثل بقية المنـــــزل، سرير، منضدة ليلية، مصباح وساعة، لا يوجد أعمال فنية على الجدران، لا زخارف صغيرة تافهة، لا أشياء جديرة بالتذكر.

شراشف السرير كانت مبعثرة، ثمة وسادة على الأرض.

بدا جلياً أن زاوية من الغرفة تُستخدم بمثابة سلة للغسيل؛ قمصان مجعـــدة، ســـراويل، جينـــزات وملابس داخلية متسخة مكدسة فوق بعضها فيما يرميها ستيف.

البحث في غرفة النوم والخزانة أفضى إلى اكتشاف مزعج آخر، تحت السرير، هناك عشرات الأفلام الإباحية التي كشفت أغطيتها عن صور نساء عاريات مقيدات بالأغلال، بالسلاسل، بعضهن معصوبات العيون وبعضهن الآخر مهددات برجال ساديين.

ليست هذه الأفلام مصورة في المنزل، إنها أفلام موضبة بطريقة مهنية ومتوافرة ربما في أي متجر لأفلام الفيديو، إما في الشوارع أو عبر شبكة الإنترنت.

أعادها بيلي إلى حيث عثر عليها، وفكر ما إذا كان قد اكتشف ما يكفي لإنذار الشرطة.

لا. فلا العارضات ولا الأفلام الإباحية تثبت أن ستيف زيليس أذى أي كائن بشري حقيقي، وإنما أشبع فقط حياة خيالية مريضة.

في غضون ذلك، ثمة رجل ميت ملفوف بالنايلون ينتظر أن يتم التخلص منه وهو مخبأ وراء الأريكة في منزل بيلي.

إذا أصبح مشتبهاً به في جريمة جيزيل وينسلو في نابا أو إذا تم العثور على جثة لاني أولسن وأصبح بيلي مشتبهاً به في تلك الجريمة، سيوضع على الأقل تحت المراقبة، سيخسر حرية التصرف.

إذا عثروا على جثة كوتل، سيتم اعتقاله.

لن يفهم أو يصدق أحد الخطر المحدق بباربارة، لن يأخذوا تحذيراته على محمل الجد، عندما تكون شخصاً مشتبهاً به، لا تريد الشرطة أن تسمع منك إلا ما تتوقع سماعه منك، وهو اعتراف.

يعرف كيف يحصل ذلك، يعرف تماماً كيف يحصل.

خلال الأربع والعشرين ساعة أو الثماني والأربعين ساعة - أو الأسبوع أو الشهر أو السنة - التي سيحتاج إليها لإثبات براءته، إذا استطاع إثباتها، ستكون باربارة في خطر، من دون أي حراسة.

لقد غاص كثيراً في اللعبة، لن يستطيع أحد إنقاذه إلا هو.

إذا عثـــر علـــى الوجه في وعاء الفورمالديهايد وعلى تذكارات أخرى مقرفة، قد يتمكن من دفع السلطات إلى اعتقال زيليس، وإلا لن يستطيع أي شيء آخر إقناعها.

كما هي حال معظم المنازل في كاليفورنيا، لا يحتوي هذا المنـــزل علـــى طابـــق سفلي، وإنما له عليّة، يحتوي سقف الردهة على باب له مقبض مربوط بحبل.

عندما شدّ الحبل، نـــزل سلم مطوي من الفتحة.

سمـــع شـــيئاً خلفه، رأى في عقله عارضة مع أسنان في محجريّ عينيها، تتمدد نحوه.

استدار وأمسك بالمسدس الموضوع تحت حزامه، إنه وحده، لقد سمع ربما صوت ترسب، صوت منـــزل قديم واقع تحت وطأة الجاذبية.

في أعلـــى الـــسلم، عثر على مفتاح كهربائي في إطار العلية، ثمة مـــصباحان عاريـــان، مليئان بالغبار، أنارا مساحة فارغة من كل شيء باستثناء رائحة عفن الخشب.

بـــدا جلـــياً أن القاتل حذر كفاية لإبقاء أدلته الجرمية في مكان آخر.

رأى بيلـــي أن زيلـــيس يقيم في هذا المنـــزل المستأجر، لكنه لا يعـــيش هـــنا بالمعنى الحقيقي للكلمة؛ فمع الحد الأدنى من المفروشات والافتقاد التام إلى الأغراض الزخرفية، بدا المكان وكأنه محطة، لا يملك ستيف زيليس جذوراً هنا، إنه يمرّ فيه مرور الكرام.

يعمل في المشرب منذ خمسة أشهر، أين كان بين جامعة كولورادو في دنفـــر، قـــبل خمـــسة أعوام ونصف العام، عندما اختفت جوديث كيسلمان، وهذا المكان؟

عبر شبكة الويب، ارتبط اسمه باختفاء واحد فقط، ولكنه لم يرتبط بأي جريمة على الإطلاق، إذا بحث بيلي عن نفسه في الغوغل، لن يبدو أكثر نظافة من ذلك.

لكن في حال وجود لائحة بالمدن التي استقر فيها ستيف زيليس لبعض الوقت، وفي حال البحث عن الجرائم والاختفاءات التي حصلت في تلك المدن، قد تصبح الحقيقة أكثر وضوحاً.

المجرمون الأكثر نجاحاً هم الذين يتنقلون كثيراً، ويجوبون أراضٍ كثيرة بين الجريمة والأخرى. فعندما تفصل بين عمليات القتل مئات الأميال والعديد من السلطات القضائية، يتضاءل احتمال ربط الجرائم ببعضها؛ الأنماط في المشهد الطبيعي، الممكن رؤيتها من الطائرة، نادراً ما يمكن ملاحظتها من قبل رجل على قدميه.

نادل المشرب المتجول الذي يجيد خلط المشروبات ببعضها، ويستطيع جذب الزبائن، يمكنه العثور على عمل في أي مكان، إذا تقدم بطلب للعمل في الأماكن الصحيحة، لن يتم سؤاله غالباً عن تاريخه الرسمي في العمل، وإنما يسألونه فقط عن بطاقة الضمان الاجتماعي، ورخصة القيادة، وتقرير نظيف من هيئة مراقبة الشراب. جاكي أوهارا لا يتصل مثلاً بأصحاب العمل السابقين لموظفيه، يتخذ قراره بقبول الموظف استناداً إلى فطرته.

أطفأ بيلي الأنوار فيما غادر المنزل، استخدم المفتاح الاحتياطي لإغلاق الباب وراءه، ووضعه مجدداً في جيبه لأنه توقع العودة.

الفصل 46

ألقت الشمس المائلة إلى الغروب بنورها الأحمر الوحشي على اللوحة الجدارية قيد التشييد عبر الطريق السريع مقابل المشرب.

فيما كان بيلي عائداً إلى منزله لإحضار جثة كوتل، لفت انتباهه هذا المشهد المتلألئ، لفت انتباهه بشدة لدرجة أنه توقف على جانب الطريق.

خارج الخيمة الصفراء والأرجوانية الكبيرة التي يجتمع فيها فنانو المشروع وعماله بشكل منتظم لتناول الغداء، وعقد اجتماعات، وإقامة حفلات استقبال على شرف العديد من الشخصيات الفنية والأكاديمية، اجتمعوا الآن لتقييم هذا العمل الرائع للطبيعة.

قرب الخيمة، انتصب المنزل المتحرك العملاق باللونين الأصفر والأرجواني، المشيّد على هيكل باص والموقع باسم *فاليس*، وكشف عن الكثير من الكروم والفولاذ بحيث سطعت عليه الشمس مثل النار المحترقة. تألقت النوافذ الملونة بوهج برونزي قرمزي، حزين ودخاني، وإنما متألق.

لكن لم تكن الخيمة الاحتفالية أو المنزل المتحرك أو الفنانون المشهورون المستمتعون بجمال غروب الشمس ما دفع بيلي إلى التوقف.

في البداية، كان ليقول إن التوهج القرمزي والذهبي للمشهد الطبيعي هو ما أوقفه، إلا أن هذا التحليل الذاتي يفتقد إلى الحقيقة.

البناء قيد التشييد لونه رمادي شاحب، لكن انعكاسات الشمس أضفت عليه توهجاً لامعاً. في الحقيقة، إن هذا التوهج اللامع والحرارة

التي أشبعت الهواء المنبعث من الأسطح المطلية اجتمعا معاً لتوليد مظهر اللوحة الجدارية المذهلة.

لـــبرهة، *بدا* أن هذا ما دفع بيلي إلى التوقف على جانب الطريق: هـــذا المـــشهد المستبـــصر للبناء المتوهج، الذي ستتم إزالته بعد انتهاء عمليات البناء.

هذا توقع مريع ناجم عن ضوء موسمي وظروف مناخية، النار الآتية، حتى الرماد النهائي يمكن اعتباره بمثابة كآبة كامنة تحت اللهب المشتعل.

مـــع ازديـــاد كـــثافة هذا العرض الناري بالترافق مع آخر نور للـــشمس، اتضح لبيلي السبب الحقيقي للقوة المغناطيسية للمشهد، فما فتـــنه هو الصورة الكبيرة العالقة بين الآلات، ذلك الرجل الذي يكافح للصمود بين العجلات الطاحنة العملاقة، والمحركات الكبيرة، والمكابس الضاربة.

خلال أسابيع البناء، فيما تم إعداد اللوحة الجدارية وصقلها، لطالما بدا الرجل في الآلة وكأنه عالق فيها، تماماً مثلما أراد الفنان، إنه ضحية قوى أكبر منه.

الآن، مـــع الروعة الغريبة لشمس الغروب، لم يبدُ الرجل وكأنه يحتـــرق مـــثلما بـــدت أشكال الآلات حوله. كان مشرقاً، نعم، وإنما بطريقة فريدة، مشرقاً وصلباً وقوياً، غير محترق باللهب وإنما منيع لها.

ما من شيء في الآلة الدائمة التغير كشف عن منطق هندسي، إنها مجرد جمع *لرموز* آلات، من دون غرض وظيفي.

والآلـــة المفتقدة إلى وظيفة إنتاجية تفتقد إلى المعنى، لا يمكنها أن تصلح حتى كسجن.

يـــستطيع الرجل الخروج من الآلة عندما يشاء، ليس عالقاً فيها، *يعتقد* فقط أنه مسجون، وهذا اعتقاد ناجم عن الإعتقاد الذاتي باليأس،

وتبين هنا أنه زائف، يجدر بالرجل الابتعاد عن الأشياء العديمة المعنى، والعثور على معنى، واتخاذ غرض له من هذا المعنى.

ليس بيلي وايلز رجلاً مؤمناً، التبصر والألم مرادفان له.

إلا أنه اعتبر هذا بمثابة إيمان، و لم يهرب منه، بدل ذلك، فيما عاد لسلوك الطريق السريع والتوجه إلى المنزل مع نور مغيب الشمس، تسلق سلماً عقلياً من التضمينات المتصاعدة، ووصل إلى منعطف في السلم، وتسلق، ووصل إلى منعطف آخر.

لم يعرف ماذا يفعل بهذا الإدراك الفطري المفاجئ، قد لا يكون رجلاً كفاية لفعل أي شيء جديد به، لكنه عرف أنه سيفعل *شيئاً ما*.

عندما وصل إلى المنزل تحت السماء الكحلية فيما بقي دليل بسيط جداً للنور في الغرب، أوقف بيلي السيارة في الممشى، على المرج الخلفي. ركن السيارة بحيث يكون صندوق السيارة إلى الخلف قرب درجات المصطبة لتسهيل عملية تحميل رالف كوتل.

لا يمكن رؤيته من الطريق الريفي أو من منزل أقرب جار، خرج من سيارته الرباعية الدفع، وسمع صوت أول بومة ليلية، وحدها البومة ستراه، والنجوم.

في الداخل، أخرج السلم الصغير من غرفة الطعام وتحقق من مسجلة الفيديو في الخزانة فوق المايكروويف، أعاد عرض الشريط المسجل بسرعة، فكشف التسجيل أن أحداً لم يدخل إلى المنزل في غياب بيلي، أو على الأقل ليس عبر المطبخ.

لم يتوقع رؤية أحد، ستيف زيليس يعمل في المشرب.

بعد إبعاد السلم الصغير، جرّ كوتل عبر المنزل، وصولاً إلى المصطبة الخلفية وعلى الدرجات، باستعمال مقبض الحبل الذي ربطه

حـــول الجثة الملفوفة بالنايلون، إلا أن وضع كوتل في الصندوق الخلفي لسيارة الإكسبلورر استلزم صبراً وقوة أكثر مما توقع بيلي.

نظـــر عــــبر الفناء الخلفي إلى الغابة المظلمة، وصفوف الأشجار، أحس أنه غير مراقب، شعر أنه وحيد تماماً.

بالــــرغم مـــن أن إقفال المنـــزل بدا عديم الجدوى، أقفل الباب، وأخذ سيارة الإكسبلورر إلى المرأب.

عـــند رؤيـــة المنشار والمثقاب والأدوات على طاولته، أراد بيلي الهـــروب مـــن الأزمـــة التي يعيشها، أراد شمّ رائحة الخشب المقطوع حديثاً، والإحساس بالرضى الناجم عن صناعة مفصل تعشيقة.

في الأعـــوام الأخيرة، صنع معظم أغراض المنـــزل، لنفسه، فقط لنفســـه، إذا أراد الآن صنع أشياء للآخرين، لبدأ حتماً بما تبرز الحاجة إليه: توابيت، لقد صنع لنفسه مهنة في التوابيت.

أخـــذ لفافات نايلون كبيرة أخرى، ورزمة حبل سميك، وشريطاً لاصـــقاً، ومـــصباحاً وامـــضاً وأغراض أخرى ضرورية ووضعها في الإكـــسبلورر، أضـــاف بعض البطانيات المطوية وعلبتين فارغتين من الكرتون ووضعها كلها فوق الجثة لتمويه الشكل.

تنتظـــر بيلي ليلة طويلة من الموت والمقابر، وليس خائفاً فقط من القاتـــل المجـــرم وإنمـــا أيضاً من العديد من الأمور في الظلام، فالظلام يستحـــضر الكثير من الرعب في العقل، لكن صحيحاً أيضاً أن الظلام يذكّـــرنا بالـــنور؛ وقد استمد الأمل من ذلك. النور، بغض النظر عما ينتظره في الساعات القليلة المقبلة، أعتقد أنه سيعيش في النور مجدداً.

الفصل 47

لم تكـــن كافـــية الساعات الأربع من النوم المساعد بالفيسودين وشراب الشعير الدانماركي.

لقـــد مـــرّت أكثـــر من اثنتيّ عشرة ساعة على نهوض بيلي من الـــسرير، لا يزال يملك قوى جسدية، لكن عجلات عقله، التي تعمل مـــنذ وقت طويل، لم تعد تدور بسرعة مثل قبل، بسرعة مثلما يحتاج إليها.

كـــان واثقـــاً من أن سيارة الإكسبلورر لا تبدو مثل سيارة دفن الموتـــى، فـــتوقف أمام متجر، اشترى دواء أناسين للصداع وعلبة من أقراص الكافيين المضادة للنعاس.

تـــناول قطعتين من المافن عند الفطور، ثم تناول لاحقاً سندويش مارتاديلا. إنه يعاني من نقص في الوحدات الحرارية، ويرتجف كله.

يقـــدم المتجـــر سندويـــشات موضبة بالنايلون مع مايكروويف لتسخينها. لسبب ما، شعر بالغثيان في معدته لمجرد التفكير في اللحم.

اشترى ستة ألواح من شوكولاته هيرشي للسكر، وستة ألواح من بـــسكويت الفـــول السوداني للبروتين، وقنينة بيبسي لابتلاع الحبوب المضادة للنعاس.

عـــند النظر إلى كل السكاكر، قال الموظف على الصندوق: "هل هذا احتفال العشاق في شهر يوليو أم ماذا؟".

أجاب بيلي: "إنه هالووين".

جلس في سيارته، وتناول الأناسين وحبة مضادة للنعاس.

على المقعد قرب السائق، استراحت الجريدة التي اشتراها من نابا. لم يجد الوقت بعد لقراءة القصة عن جريمة وينسلو.

مع الجريدة، هناك بضع مقالات من *دنفر بوست* قام بتحميلها من كمبيوتر المكتبة، جوديث كيسلمان، مفقودة إلى الأبد.

فيما تناول لوح شوكولا هيرشي، ولوح بسكويت الفول السوداني، قرأ المقالات المطبوعة؛ تحدث أشخاص من الجامعة، وأناس عاديون، ومسؤولون في الشرطة. قال الجميع، باستثناء الشرطة، إنهم واثقون أن جوديث بخير.

كان رجال الشرطة حذرين في تصريحاتهم، على عكس الأكاديميين، والبيروقراطيين ورجال السياسة، تجنب رجال الشرطة الكلام الفارغ، كانوا الوحيدين الذين بدوا وكأنهم يهتمون فعلاً لمصير الشابة.

الشرطي المسؤول عن التحقيق كان التحري رامسي أوزغارد، يناديه بعض زملائه باسم أوز.

كان أوزغارد في الرابعة والأربعين عندما حصل الاختفاء. في تلك المرحلة من مهنته، كان قد حاز على ثلاثة تنويهات بالشجاعة.

في عمر الخمسين، لا يزال ربما في الخدمة، وهذا احتمال مدعوم بالمعلومة الشخصية الوحيدة عنه في المقالات، عندما كان في الثامنة والثلاثين، أصيب رامسي أوزغارد بطلق ناري في ساقه اليسرى، تمت المصادقة على إصابته بإعاقة دائمة، لكنه رفض ذلك، فهو لا يعرج.

أراد بيلي التحدث إلى أوزغارد، لكن لفعل ذلك، لن يستخدم اسمه الحقيقي أو هاتفه الخاص.

فيما بدأت السكاكر والبيبسي والأقراص المضادة للنعاس تعطي مفعولها في تزييت عقله، توجه بيلي إلى منزل لاني أولسن.

لم يركن السيارة أمام دار العبادة للمشي، مثلما فعل قبلاً، عندما وصـــل إلى المنـــزل المعزول في نهاية الطريق، أدخل السيارة عبر الفناء الخلفي.

تحـــول المـــرج إلى عشب طويل وشجيرات متناثرة هنا وهناك، امتلأت الأرض بالحجارة والأخاديد.

توقـــف في ثلثـــيّ الطـــريق الصاعد إلى المنحدر، وأوقف سيارة الإكسبلورر وضغط على مكبح الطوارئ.

يمكنه الاستفادة من الأضواء الأمامية للسيارة، لكن نظراً لارتفاع الهضبة، يمكن رؤية هذه الأضواء من المنازل القريبة من الطريق الريفي.

خـــاف مـــن لفت الانتباه وجذب الفضول، أوقف عمل محرك السيارة وأطفأ الأضواء.

ترجل على قدميه، واستعمل المصباح الوامض، وعثر بسرعة على فتحة التهوئة، الموجودة على مسافة عشرين قدماً من السيارة.

قـــبل زرع الكروم، وقبل وصول الأوروبيين، وقبل مجيء أجداد الهـــنود الأميركيين من آسيا، قامت البراكين بصياغة هذا الوادي، وقد حددت مستقبله.

فقد تم تشييد مصنع شراب روسّي قديم تحول الآن إلى قبو لتعتيق شـــراب هايتـــز، ومبانٍ أخرى في الوادي بواسطة الريوليت، الشكل البركاني للغرانيت، المساحة التي يقع عليها منـــزل أولسن مؤلفة أساساً من البازلت، وهو حجر بركاني آخر، داكن وكثيف.

عـــند انفجـــار البركان، يترك وراءه فجوات من الحمم، وأنفاقاً طـــويلة عـــبر الحجارة المحيطة، لا يعرف بيلي الكثير عن علوم البراكين ليستنتج ما إذا كانت الفتحة في هذا المكان فجوة حمم أو منفذاً بركانياً يطلق الغازات.

إلا أنـــه يعرف أن عرض هذه الفتحة هو أربع أقدام عند الفوهة فيما العمق كبير جداً.

هـــذا المكان مألوف جداً بالنسبة إلى بيلي لأنه عندما كان عمره أربعة عشر عاماً وكان وحيداً، أعطته بيرل أولسن منـــزلاً، لم تخف منه أبـــداً، مثلما فعل بعضهم، عرفت الحقيقة حين سمعتها، فتحت له قلبها الطيب، وبالرغم من إصابتها بالسرطان، قامت بتربيته كما لو أنه ابنها.

الاثـــنا عشر عاماً التي تفصل بين عمر بيلي وعمر لاني تعني أنهما ليـــسا أبـــداً مـــثل أخوين، بالرغم من أنهما عاشا في المنـــزل نفسه، بالإضافة إلى ذلك، لطالما كان لاني منطوياً على نفسه وكان يلهي نفسه برســـم الـــصور المتحركة عندما يكون خارج دوام العمل في مكتب الشريف.

كـــان الرجلان ودودين مع بعضهما، وبين الحين الآخر، تصرف لاني بمثابة العم الحنون.

في أحد الأيام، قام لاني بإقناع بيلي بمحاولة تحديد عمق الفتحة.

بالـــرغم مـــن أن الـــولدين الصغار لا يلعبان عادة بين النباتات الشائكة، قلقت بيرل على سلامتهما، لذا، قامت قبل أعوام عدة بتثبيت إطـــار من الخشب الأحمر على الحافة الحجرية للفتحة. ثم جرى تثبيت غطاء من الخشب الأحمر بالإطار.

بعـــد إزالة الغطاء، بدأ لاني وبيلي بحثهما بواسطة مصباح يدوي مـــزود بالطاقـــة مـــن محرك شاحنة صغيرة، سطع ضوء المصباح على الجـــدران لغاية عمق ثلاث مئة قدم تقريباً ولكن من دون العثور على القعر.

بعـــد الفـــوهة، اتسع النفق ليصبح عرضه ثماني إلى عشر أقدام، الجدران متموجة وغريبة.

قاما بربط باوند من الحلقات النحاسية بطرف حبل طويل وأنزلا هذا الحبل في وسط الفتحة، وأصغيا إلى رنين الحلقات وهي ترتطم بقعر الفتحة، امتلكا فقط ألف قدم من الحبل، وتبين أن هذا الطول غير كافٍ.

رميا أخيراً كرات فولاذية في الفتحة، وقاما بتوقيت سرعة سقوطها، مستخدمين الصيغ الحسابية لحساب المسافة، لم ترتطم أي كرة بالقعر قبل ألف وأربع مئة قدم.

قعر الفتحة إذاً أعمق من ألف وأربع مئة قدم.

بعد هذا النفق العمودي الطويل، بدا وكأن الفتحة تنعطف في زاوية، وتغير اتجاهها أكثر من مرة واحدة أيضاً، بعد *الطقطقة* القاسية للضربة الأولى، تمايلت كل كرة من جدار إلى جدار، مع صوت خشخشة، ولم يتوقف الضجيج أبداً فجأة وإنما راح يخبو شيئاً فشيئاً إلى أن تحول إلى صمت.

اعتقد بيلي أن أنبوب الحمم طوله أميال عدة وعمقه آلاف الأقدام تحت أرض الوادي.

الآن، بمساعدة وهج المصباح الوامض، استخدم مفك براغٍ بالبطارية لإزالة الاثني عشر برغياً فولاذياً التي تثبت غطاء الفتحة؛ علماً أن هذا الغطاء أكثر حداثة من ذاك الذي قاما بإزالته قبل عشرين عاماً تقريباً، وضع الغطاء جانباً.

لم يخرج أي شيء من الفتحة، لم يشمّ بيلي أي شيء باستثناء رائحة رماد خفيفة، والقليل من رائحة الملح والحامض.

بذل كل جهده لإخراج الرجل الميت من السيارة وسحبه إلى الفتحة.

لم يكترث للآثار التي تركها على العشب أو للآثار التي تركتها سيارة الإكسبلورر، فالطبيعة متمردة، بعد أيام قليلة، لن تبقى الآثار

ظاهـــرة للعيان، بالرغم من أن الرجل الميت ما كان ليوافق ربما، لكونه عضواً في جمعية المشككين، تمتم بيلي بدعاء وجيز له قبل رمي جثته في الفتحة.

أصدر رالف كوتل ضجيجاً أكبر من ذلك الذي أصدرته الكرات عـــند نـــزوله في الفتحة. بدت الأصوات الأولى وكأنها أصوات تكسر عظام.

ثم صـــدر صـــوت صـــفير طويل فيما انحرف النفق من الشكل العمودي إلى زاوية وانـــزلقت الجثة الملفوفة بالنايلون بسرعة كبيرة في الأعماق، ودارت ربما بين جدران أنبوب الحمم مثلما تدور الرصاصات في أسطوانة المسدس.

الفصل 48

ركن بيلي سيارة الإكسبلورر في المرج وراء المرأب، حيث لا يستطيع أن يراه أي راكب دراجة نارية قد يستخدم الطرف النهائي للطريق للانعطاف، ووضع قفازا لاتكس في يديه.

استخدم المفتاح الاحتياطي الذي أخذه من الفتحة في جذع السنديانة قبل نحو تسع عشرة ساعة، ودخل إلى المنزل عبر الباب الخلفي.

حمل معه لفافة النايلون، والشريط اللاصق والحبل. وطبعاً المسدس عيار 0.38 ملم.

فيما تحرك بيلي في الطابق الأرضي، أشعل الأنوار.

الأربعاء والخميس هما يوما الإجازة عند لاني، ولن يفتقده أحد بالتالي قبل ست وثلاثين ساعة. لكن إذا جاء صديق للقيام بزيارة غير معلنة، ورأى الأنوار في المنزل، لكنه لم يحصل على جواب بعد الرنّ على الجرس، ستبدأ المشاكل.

أراد بيلي إنجاز عمله بأسرع ما يمكن والخروج وإطفاء الأنوار بعده.

لا تزال الأيدي الكرتونية، المشيرة إلى مكان الجثة، ملصقة على الجدران، سيزيلها لاحقاً، كجزء من عملية التنظيف.

إذا تم دمغ جثة لاني بأدلة مدينة لبيلي، مثلما قال كوتل إنه حصل مع جثة جيزيل وينسلو، لن يُستخدم أي من هذه الأدلة في المحكمة إذا استراح لاني إلى الأبد على عمق ميل أو أكثر تحت الأرض.

أدرك بيلي أنه عند التخلص من الأدلة التي تدينه، فإنه يقضي أيضاً على أي دليل قد يشير إلى ذنب القاتل تركه هذا الأخير عن غير قصد. إنه يقضي على الأدلة المدينة لهما معاً.

البراعة التي اعتمدت لتصميم هذا الشرك والخيارات الأولى التي اتخذها بيلي فيما اتضح *الأداء* أكثر فأكثر تؤكد أنه كان سيصل إلى هذه المرحلة وينجز ما ينجزه الآن.

لا يبالي، لا يهمه أي شيء سوى باربارة، عليه البقاء حراً لحمايتها، لأنه ما من أحد آخر سيفعل ذلك.

إذا أصبح بيلي مشتبهاً به في قضية قتل، سيعتقله جون بالمر بسرعة، سيبحث الشريف عن الأدلة المدينة لأنه مقتنع بمسؤولية بيلي عن الجريمة، وإذا حصل على تلك الأدلة، سيستخدمها لإعادة التاريخ أيضاً.

يمكنهم توقيفه لمجرد الشك فيه، لا يعرف لكم من الوقت، لكن حتماً لثماني وأربعين ساعة.

في هذا الوقت، تكون باربارة قد ماتت، أو اختفت مثل جوديث كيسلمان، طالبة الموسيقى، محبة الكلاب، وعاشقة التنزه على الشواطئ.

سينتهي الأداء، سيضع القاتل ربما وجهاً آخر في وعاء آخر.

الماضي، الحاضر، المستقبل، كل الوقت الموجود هنا وأبداً، *والسباق*- أقسم إنه يستطيع سماع عقارب ساعته تتكتك - ولذلك أسرع نحو السلالم وتسلقها.

حتى قبل الوصول إلى هذا المنزل، خشي ألا يعثر على جثة لاني في الكرسي في غرفة النوم حيث رآها للمرة الأخيرة، خطوة أخرى في اللعبة، انحراف آخر في الأداء.

عندما وصل إلى أعلى السلم، تردد وتوقف بسبب الخوف، تردد مجدداً أمام باب غرفة النوم الرئيسة، ثم اجتاز العتبة وأنار الضوء.

جلـــس لاني في الكرســـي والكتاب في حضنه، وصورة جيزيل وينسلو في الكتاب.

لم تكـــن الجثة في حال جيدة، نجح مكيف الهواء في تأخير الأمر قليلاً ربما، بحيث لم يحدث التحلل الظاهري بعد، إلا أن الأوعية الدموية في وجهه بدأت تتحول إلى اللون الأخضر.

تحركت عينا لاني للحاق بيلي في الغرفة، لكنها كانت مجرد حيلة ضوئية.

الفصل 49

بعـــد بسط لفافة النايلون على الأرض، ولكن قبل فعل أي شيء آخـــر، جلس بيلي على طرف السرير ورفع الهاتف، حرص على عدم ارتكـــاب الخطـــأ الذي زعم أنه ارتكبه في وقت سابق من هذا اليوم، فطلب الرقم 411، وحصل من عاملة الهاتف على رمز منطقة دنفر.

حـــتى لـــو كان رامسي أوزغارد لا يزال يعمل كتحرٍ مع شرطة دنفـــر، يحتمل ألا يقطن في المدينة. إنه يعيش ربما في إحدى الضواحي، وســـيكون العـــثور عليه في هذه الحال صعباً جداً، كما أن رقم هاتف منـــزله قد لا يكون مذكوراً في الدليل.

عـــندما اتصل بيلي بعاملة الهاتف في دنفر، كان محظوظاً، يستحق في النهاية بعض الحظ، ثمة رقم هاتف باسم رامسي ج أوزغارد في المدينة.

إنها الساعة 10:54 في كولورادو، لكن التوقيت قد يجعل الاتصال يبدو وكأنه أكثر إلحاحاً وبالتالي أكثر مصداقية.

أجـــاب رجـــل بعـــد الرنة الثانية، فقال بيلي: "حضرة التحري أوزغارد؟".

"نعم بنفسه".

"ســـيدي، أنـــا الرقيب لاني أولسن من مركز الشريف في شرطة نابـــا، هـــنا في كاليفورنيا، أريد أولاً الاعتذار على إزعاجك في هذه الساعة".

"أعـــاني مـــن الأرق طوال حياتي أيها الشرطي، وأملك الآن نحو ســـت مئة قناة على التلفاز، ولذلك أشاهد حلقات معادة من مسلسل

جزيـــرة *جيلـــيجان* أو أي شيء آخر حتى الساعة الثالثة بعد منتصف الليل، ما الأمر؟".

"سيدي أنا أتصل بك من منـــزلي للتحدث عن قضية توليتها قبل بـــضعة أعوام، يمكنك الاتصال بمسؤول المراقبة في مركز الشرطة عندنا للـــتأكد من أنني أعمل في المركز، والحصول على رقم هاتف منـــزلي لمعاودة الاتصال بـــي".

قال أوزغارد: "أملك جهازاً لكشف رقم المتصل، أعرف الآن من تكـــون بالـــضبط. إذا كان ما تريده مني يبدو صعباً جداً، سأفعل ما تقوله، لكن في الوقت الحاضر، أخبرني بما لديك".

"شكراً لك سيدي، ثمة قضية توليتها بنفسك عن شخص مفقود ولها بعض الصلة بوضع هنا، قبل خمسة أعوام ونصف العام تقريباً...".

قال أوزغارد: "جوديث كيسلمان".

"بالضبط".

"حـــضرة الشرطي، لا تخبرني أنك عثرت عليها، على الأقل، لا تخبرني أنك وجدتها ميتة".

"لا سيدي، لا حية ولا ميتة".

قال رامسي: "فليكن الله في عونها، لا أتوقعها حية، لكنني سأشعر بالتعاسة حين أتأكد أنها ميتة. أحب تلك الفتاة".

قال بيلي متفاجئاً: "سيدي؟".

"لم ألتقِ بها أبداً لكنني أحبها، مثل ابنة، عرفت الكثير عن جودي كيـــسلمان بحـــيث أصـــبحت أعرفها أكثر من العديد من الأشخاص الموجودين فعلاً في حياتي".

"أفهم".

"كانت شابة رائعة".

"هذا ما سمعته".

"تحدثت إلى العديد من أصدقائها وأفراد عائلتها، لم تصدر كلمة سوء عن أي منهم، الأشياء التي فعلتها للآخرين، لطافتها... تعرف أحياناً كيف تصبح مهووساً بفكرة معينة، كيف تعجز عن التحلي بالموضوعية؟".

قال بيلي: "طبعاً".

قال أوزغارد: "أنا مهووس بهذه الفتاة، كانت كاتبة عظيمة، عندما يدخل أحد إلى حياتها، تتشبث به، ولا تنساه، وتبقى على اتصال معه. قرأت المئات من رسائل جودي، المئات أيها الشرطي أولسن".

"وهكذا أدخلتها إلى حياتك".

"لا يمكنك مقاومة ذلك، تدخل من دون استئذان، إنها رسائل شابة تحب الناس، تعطي قلبها للجميع. رسائل *مشرقة*".

وجد بيلي نفسه يحدق إلى فجوة الرصاصة في جبين لاني أولسن، نظر نحو الباب المفتوح والردهة المؤدية إلى الأعلى.

قال: "لدينا وضع هنا، لا أستطيع البوح عنه بالتفصيل في الوقت الحاضر لأننا لا نزال نعمل على الأدلة ولسنا مستعدين بعد لإلقاء التهم".

طمأنه أوزغارد: "أفهم".

"لكن ثمة اسم أريد نقله لك، لأرى إذا كان يعني لك شيئاً".

قال أوزغارد: "بدأ يقشعرّ بدني. أتمنى أن يكون ذلك مفيداً".

"بحثت عبر الغوغل عن رجلنا والشيء الوحيد الذي حصلت عليه كان مرتبطاً باختفاء كيسلمان، بالرغم من أن ذلك لم يكن مهماً جداً".

قال أوزغارد: "أخبرني إذاً".

"ستيفن زيليس".

في دنفر، حبس رامسي أوزغارد أنفاسه.

قال بيلي: "هل تذكره؟".

"أوه طبعاً".

"هل كان مشتبهاً به؟".

"ليس رسمياً".

"لكنك شعرت شخصياً..."

"جعلني أشعر بعدم الارتياح".

"لماذا؟".

صمت أوزغارد. قال بعدها: "لا يمكنك الاستخفاف بسمعة الرجل حتى لو كنت لا ترغب في شرب شراب الشعير معه، أو كنت لا ترغب في مصافحته".

طمأنه بيلي: "هذه خلفية سرية، أخبرني بقدر ما تريد وبقدر ما يمكنني استيعابه".

"القصة هي أنه في اليوم الذي اختطفت فيه جودي- إذا تم خطفها، وأعتقد أنه تم خطفها- طوال ذلك اليوم، طوال الأربع والعشرين ساعة، امتلك زيليس أعذار تبرئة لا يمكن ضحدها على الإطلاق".

"لقد حاولت".

"صدقني، لكن حتى لو لم يملك أعذار تبرئة، ما من دليل ضده".

"ما الذي جعلك إذاً تشعر بعدم الارتياح حياله؟".

"كان متطوعاً جداً لتقديم المساعدة".

لم يقل بيلي أي شيء، وإنما خاب أمله، إنه واثق من تورط زيليس، ولا يريد أوزغارد الإفصاح عن أي شيء.

لاحظ التحري خيبة الأمل تلك، فتوسع في ما قاله: "جاء إليّ قبل أن أنتبه إليه، في الواقع، ما كنت لأنتبه إليه أبداً لو لم يأتِ إليّ. أراد تقديم الكثير من المساعدة، تحدث وتحدث، اهتم بها كثيراً، كما لو أنها أخت حبيبة، لكنه *عرفها فقط قبل شهر واحد*".

"قلت إنها كانت استثنائية في العلاقات، وتحب الناس، وترتبط بهم".

"حسب أصدقائها المقربين، لم تكن تعرف زيليس جيداً، فقط بصورة عرضية".

أدى بيلي دور المبرر على مضض وقال: "لقد شعر ربما بالقرب إليها أكثر مما فعلت هي، أقصد أنه إذا كانت تملك ذلك النوع من المغناطيسية، الجاذبية..."

قال أوزغارد: "كان عليك رؤيته، رؤية طريقة تعاطيه معي، بدا وكأنه *أراد* أن أشك فيه، أن أحقق معه، وأعثر على أعذار التبرئة لديه، وبعدما فعلت، برز ذلك الاعتداد بالنفس عنده".

لاحظ بيلي الاشمئزاز الهادئ في صوت أوزغارد فقال: "لا تزال منزعجاً".

"أنا منزعج، زيليس يعود إليّ مثلما هو، لبرهة، قبل أن يختفي أخيراً، دأب على محاولة المساعدة، والاتصال، والمرور، وتقديم الأفكار، فيما ينتابك إحساس أن كل هذا هراء، وهو فقط يؤدي دوراً".

قال بيلي: "الأداء. أشعر بذلك أنا أيضاً، أحتاج فعلاً إلى المزيد".

"إنه محتال، لا يعني ذلك أنه أسوأ من ذلك، لكنه محتال معتدّ بنفسه، حاول ذلك المحتال التصرف وكأننا صديقان، أنا وهو، لا يفعل ذلك أبداً من هو مشتبه محتمل، ليس ذلك طبيعياً، أنت تعرف هذا، لكنه يملك ذلك الأسلوب السهل والكثير المزاح".

"كيف حالكم أيها الرفاق؟".

سأل أوزغارد: "اللعنة، هل ما زال يقول ذلك؟".

"نعم، لا يزال".

"إنه محتال، يخفي احتياله بهذا الشعور الفاتن الظاهري، لكنه محتال".

"لقد طاردك إذاً ثم اختفى".

"اختفـــى التحقيق بكامله، رحلت جوديت وكأنها لم تكن أبداً، انـــسحب زيليس من الجامعة في نهاية تلك السنة، سنته الجامعية الأولى، لم أره أبداً مجدداً".

قال بيلي: "حسناً إنه الآن هنا".

"أتساءل أين كان في الفترة الفاصلة".

"ربما سنعرف".

"أتمنى أن تعرف".

قال بيلي: "سأعاود الاتصال بك".

"في أي وقت بشأن هذه القضية، في أي وقت، يجري دم الشرطة في عروقك، حضرة الشرطي؟".

لم يـــستوعب بيلي الفكرة لبرهة، وكاد ينسى من يفترض به أن يكـــون، لكنه أعطى الجواب الصحيح: "نعم، لقد كان والدي شرطياً، تم دفنه مع بذلته العسكرية".

قـــال أوزغارد: "كان والدي وجدي من رجال الشرطة، يجري ذلـــك في عروقـــي بشدة بحيث لا يحتاج الناس إلى بطاقتي العسكرية ليعـــرفوا مـــن أكـــون، لكن جوديث كيسلمان تجري في عروقي مثل الـــشرطة، أريدها أن ترتاح باحترام، وليس فقط... أن تكون مطمورة في مكـــان مـــا، لا يوجد الكثير من العدل، لكن لا بد أن يكون **هناك** بعض العدل في هذه القضية".

بعـــدما أقفـــل الخـــط، لم يستطع بيلي لبرهة التحرك عن طرف السرير، جلس يحدق إلى لاني، وبدا كأن لاني يحدق إليه.

لا يـــزال رامسي أوزغارد موجوداً، يسبح بين الأمواج، من دون الاكـــتفاء بالمشي بعناية على الشاطئ. إنه مغمور بحياة مجتمعه، وملتزم بها.

سمـــع بيلي التزام التحري عبر الخط من دنفر، وكان واضحاً جلياً كما لو أن الرجلين كانا في الغرفة نفسها، عند سماع ذلك، أدرك بيلي كم كان انعزاله كاملاً، وكم هو خطير.

بـــدأت باربارة تصل إليه؛ ومن ثم حساء الفيشيسواز، وجهت له الحياة ضربة مزدوجة: الوحشية والسخافة.

إنـــه الآن بين الأمواج، ولكن ليس باختياره. لقد *دفعته* الأحداث إلى أعماق المياه.

أثقلـــته وطـــأة عشرين عاماً من العواطف المكبوحة، من التجنب المـــدروس، مـــن الانطواء الدفاعي. ها هو الآن يحاول تعلم السباحة مجـــدداً، لكن مداً قوياً يحاول إبعاده عن أي مجتمع، ويقوده إلى انعزال أكبر.

الفصل 50

كمـــا لو أنه عرف إلى أين سيذهب، عبر أنبوب الحمم من دون الحصول على دفن أو وداع، لم يشأ لاني أن يتم لفه بالنايلون.

لم يحدث إطلاق النار في هذه الغرفة، ولا توجد بالتالي بقع دم أو دماغ على الجدران أو المفروشات. وبما أنه أراد أن يختفي لاني بطريقة تولد أكبر الشكوك، ولا تفضي بالتالي إلى استهلال تحقيق فوري، أمل بيلي في إبقاء كل شيء نظيفاً.

أخـــرج مـــن الخـــزانة الكثير من المناشف الزغبة، لا يزال لاني يستخدم دواء الغسيل ومطرّي الغسيل اللذين كانت تستخدمهما بيرل، تعرّف بيلي إلى الرائحة المميزة والنظيفة.

لـــف المناشف فوق ذراعيّ ومتن الكرسي حيث كانت الجثة، إذا كان سيخرج أي شيء من الجرح في الجهة الخلفية للجمجمة، ستمتصه المناشف الملفوفة بعناية.

أحـــضر مـــن المنـــــزل كيساً من النايلون يستخدم في سلات المهمـــلات الصغيرة، تفادى العينين الناتئتين، فوضع الكيس فوق رأس الـــرجل الميت وختمه بأفضل طريقة ممكنة حول العنق بواسطة الشريط اللاصق؛ وهذه ضمانة إضافية لعدم خروج أي شيء من الجمجمة.

بالـــرغم مـــن معـــرفته أنه لن يصاب أحد بالجنون نتيجة العمل المـــروّع، وإدراكه أن الرعب يأتي بعد الجنون، وليس قبله، تساءل عن عدد الموتى الذين سيواجههم قبل أن يتحول حلمه، أو ساعات يقظته، إلى جنون حقيقي.

أنـــــزل لاني عن الكرسي إلى شرشف النايلون بسهولة كافية، لكـــنه أصبح غير متعاون بعدها، استلقى على الأرض في وضعية رجل جالس في كرسي، و لم يستطع تمديد ساقيه.

تخـــشبت الجـــثة، كانت الجثة متخشبة وستبقى هكذا إلى أن يحصل تحلل متقدم كفاية لتطرية الأنسجة التي أصبحت صلبة نتيجة تخشب الجثة.

لا يملـــك بيلـــي فكـــرة عن الوقت الذي يستغرقه ذلك. ست ساعات؟ اثنتا عشرة ساعة؟ لا يستطيع الانتظار ليعرف.

حاول لف لاني بالنايلون، بدت مقاومة الرجل الميت أحياناً واعية وعنيدة.

التوضـــيب النهائي بدا غريباً وإنما كان مختوماً بعناية، أمل في أن يثبت مقبض الحبل.

كانت المناشف خالية من أي بقع. طواها وأعادها إلى الخزانة.

لم تعد رائحتها جميلة مثلما كانت قبلاً.

جـــرّ لاني إلى أعلـــى السلالم كان سهلاً، لكن إنـــزال لاني إلى الطابق الأول أصدر صوتاً مزعجاً، في وضعية نصف منتصبة، طقطقت الجثة على كل درجة، وبدا الصوت كأنه صادر من العظام والغضروف في الوقت نفسه.

عـــند منبـــسط الدرج، ذكّر بيلي نفسه أن لاني خانه في محاولة لإنقاذ مهنته ومعاش تقاعده، وأنهما الآن هنا بسبب ذلك، هذه الحقيقة، التي لا يمكن الفرار منها، لم تجعل نـــزول الدرجات الأخيرة من السلم أقل إزعاجاً.

ســـحب الجثة عبر الممر السفلي، والمطبخ، وعبر المصطبة الخلفية كان سهلاً كفاية، المزيد من الدرجات، ومنبسط صغير، ووصلا أخيراً إلى الفناء.

فكر في وضع الجثة في الإكسبلورر وقيادة السيارة إلى أقرب نقطة ممكنة من الفوهة. إلا أن المسافة ليست بعيدة، وبدا أن جرّ لاني إلى مكان رقاده الأخير لا يتطلب جهداً أكبر من ذلك اللازم لوضعه في السيارة ومن ثم إخراجه منها مجدداً.

مثل فرن ساخن، أعادت الآن الأرض الحرارة المخزنة من النهار، لكن نسمة خفيفة هبّت أخيراً.

خلال الطريق، بدا الفناء المنحدر والعشب الطويل والأجمات المرتفعة حتى مستوى الركبة أطول مما تخيل عند درج المصطبة، بدأ يشعر بالألم في ذراعيه وكتفيه وعنقه.

جروح الصنانير، التي لم تزعجه أخيراً، عادت لتنبض بقوة مع الحرارة الجديدة.

في مكان ما، أدرك أنه يبكي، أخافه ذلك، عليه البقاء صامداً.

فهم مصدر الدموع، كلما اقترب أكثر من أنبوب الحمم، تضاءلت قدرة بيلي على اعتبار حمله بمثابة جثة مورطة في جريمة، إنه لاني أولسن، ابن المرأة الجيدة التي فتحت قلبها ومنزلها لشاب محطم عاطفياً عمره أربعة عشر عاماً.

الآن، تحت ضوء النجوم، بدا مقبض الصخرة المعانقة لأنبوب الحمم مثل جمجمة أمام عينيّ بيلي المتكيفتين مع الظلمة.

مهما كان الشيء الذي أمامه، سواء أكان جبلاً من الجماجم أو سهلاً واسعاً منها، لا يستطيع العودة، ولا يستطيع حتماً إعادة لاني إلى الحياة مجدداً، لأنه فقط بيلي وايلز، نادل مشرب جيد وكاتب فاشل، ليست لديه أعاجيب، وإنما لديه فقط أمل عنيد وقدرة على المثابرة القوية.

هكذا، تحت ضوء النجوم والنسيم الدافئ، وصل إلى مكان الجمجمة. هناك، لم يتأخر، ولا حتى لالتقاط أنفاسه، دفع الجثة في الفوهة.

استلقى على إطار الخشب الأحمر، محدقاً إلى السواد الخالي من القعر، مصغياً إلى النزول الطويل للجثة، لأن هذه الطريقة الوحيدة التي تشهد على اختفائها.

عندما ساد الصمت، أغمض عينيه في الظلمة وقال: "لقد انتهى".

لا شك في أن هذه المهمة فقط انتهت، وثمة مهام أخرى في انتظاره، بعضها سيئ بهذا القدر ربما، لكنها ليست حتماً أكثر سوءاً.

ترك المصباح الوامض ومفك البراغي على الأرض قرب أنبوب الحمم، أعاد تثبيت الغطاء الأحمر في مكانه، وأخرج البراغي الفولاذية من جيبه وثبتها في مكانها.

غسل العرق الدموع الأخيرة عن وجهه عندما عاد إلى المنزل.

وراء المرأب، ترك مفك البراغي والمصباح الوامض في سيارة الإكسبلورر. كان قفاز اللاتكس ممزقاً، نزعه ورماه في كيس النفايات في السيارة، ووضع زوجاً جديداً من القفازات.

عاد إلى المنزل لفحصه من الأعلى إلى الأسفل. لا يجرؤ على ترك أي شيء يشير إلى وجوده أو وجود جثة هنا.

في المطبخ، لم يعرف ماذا يفعل بالشراب، والكولا، وشرائح الليمون، والأغراض الأخرى الموضوعة على الطاولة. أعطى نفسه الوقت للتفكير فيها.

أراد الصعود إلى الأعلى، والدخول إلى غرفة النوم الرئيسة، فمشى في الردهة المكسوة بسجادة مطبعة بالأزهار والمؤدية إلى الجهة الأمامية للمنزل، حين اقترب من الردهة، أدرك وجود ضوء غير متوقع إلى يمينه، وراء قنطرة غرفة الجلوس.

المسدس في يده أصبح فجأة أداة أساسية أكثر مما هو وزناً غير ضروري.

خــــلال جولته الأولى في المنـــزل، في طريقه إلى الأعلى لرؤية إذا كانـــت جثة لاني لا تزال في الكرسي في غرفة النوم، أطفأ بيلي أنوار غرفة الجلوس، فقط لا غير، لم يكن هناك أي ضوء آخر.

مـــرتاحاً في أريكة، أمام القنطرة، جلس رالف كوتل كما لو أنه شهادة على الجنون واللامنطق.

الفصل 51

نجح رالف كوتل في نزع غطاء النايلون عنه بطريقة غير معقولة، وصعد آلاف الأقدام من تحت أرض الوادي، ودخل منزل أولسن، بعد أربعين دقيقة فقط من نزوله عبر أنبوب الحمم، وبقي في الوقت نفسه ميتاً ومشككاً.

كانت رؤية كوتل محيرة جداً لدرجة أن بيلي اعتقد لبرهة أن الرجل عاد إلى الحياة، وأنه لم يمت أبداً نوعاً ما، لكنه أدرك في اللحظة التالية أن الجثة الأولى التي رماها في الفوهة البركانية لم تكن جثة كوتل، وأنه تم استبدال الجثة بجثة أخرى.

سمع بيلي نفسه يقول "من؟" للسؤال عن الجثة التي كانت ملفوفة، وبدأ يستدير نحو الممر خلفه، بهدف إطلاق النار على أي شخص يصادفه، من دون طرح أي أسئلة.

إلا أن ضربة قوية، أو شيئاً من هذا القبيل، أصابته ببراعة في النقطة الصحيحة فوق الجهة الخلفية لعنقه، عند قاعدة الجمجمة، مولدة الألم واللون في الوقت نفسه، بالفعل، امتزج في رأسه وميض مبهر وإنما وجيز باللونين الأزرق الكهربائي والأحمر الملتهب وامتد الوميض إلى عينيه.

لم يشعر أبداً أنه ارتطم بالأرض، ولما بدا ساعات طويلة، سقط سقطة حرة في أنبوب الحمم، متسائلاً كيف يستمتع الموتى في القلب البارد لبركان منطفئ.

بدا أن الظلمة تريده أكثر من الضوء، إذ استيقظ على نحو متقطع، غارقاً مجدداً في الأعماق كلما طفا على سطح الوعي.

تحـــدث إليه صوت قوي مرتين، أو أنه سمع ذلك مرتين، فهم في كلتا المرتين، لكنه لم يتمكن من الإجابة إلا في المرة الثانية.

بالـــرغم مـــن شعوره بالدوار والارتباك، أراد بيلي أن يصغي إلى الـــصوت، أن يذكـــر النبرة واللكنة ليتمكن من التعرف إلى الصوت لاحقاً، سيكون التعرف صعباً لأن الصوت لم يكن صوتاً بشرياً: خشناً، غريباً، مشوهاً، مع نبرة سؤال مستمر.

"هل أنت مستعد لجرحك الثاني؟"

بعد التكرار، اكتشف بيلي أنه استطاع الإجابة: "لا".

بعـــد أن وجد صوته، وخشي أن يكون صافراً جداً، وجد أيضاً القوة لفتح عينيه.

بالـــرغم من أن رؤيته كانت مشوشة وبدأت تصفو ببطء، استطاع رؤيـــة الـــرجل بقناع الثلج والملابس الداكنة واقفاً فوقه، كانت يدا القاتل مغلفتين بقفاز من الجلد الطري، واحتاج إليهما معاً لحمل مسدس متطور.

قال بيلي مجدداً: "لا".

اســـتلقى علـــى ظهره، بحيث كان نصفه على السجادة المطبعة بالأزهـــار ونصفه الآخر على الأرضية الخشبية الداكنة، وذراعه اليمنى فـــوق صدره، فيما ذراعه اليسرى إلى جانبه، والمسدس ليس في أي من اليدين.

اختفـــى أخـــيراً الارتجاج من رؤيته، ولاحظ بيلي أن المسدس لا يوفـــر في النهاية حماية من مسافر عبر الزمن أو من زائر غير أرضي، إنه ببساطة واحد من الأسلحة المحمولة المحدودة الاستعمال.

كانت يده اليسرى على الأرض وراحتها إلى الأعلى، فقام الرجل صاحب القناع بتثبيتها على الأرضية الخشبية بواسطة مسمار.

القسم الثالث

كل ما لديك هو كيف تعيش

الفصل 52

الألم والخوف يعكّران المنطق، يشوشان العقل.

ثقب اللحم بوسطة مسمار أدى ببيلي إلى إطلاق صرخة قوية، أدت موجة كبيرة من الرعب إلى إبطاء أفكاره فيما أدرك أنه مسمّر بالأرض، عاجز عن الحركة أمام القاتل.

يمكن تحمل الألم والتغلب عليه فقط في حال قبوله، فعند إنكاره أو الخوف منه، يزداد في الإدراك إن لم يكن في الحقيقة.

أفضل استجابة للرعب هي الغضب المحق، الثقة في العدالة النهائية، رفض الخضوع للترهيب.

إلا أن هذه الأفكار لم تخطر الآن وفق التسلسل الصحيح في عقله، إنها حقائق محفوظة في لا وعيه، استناداً إلى تجربة قاسية، وهو يعمل وفقها كما لو أنها غرائز ولدت باللحم والدم.

عندما سقط، أفلت المسدس، يبدو أن القاتل لم يأخذه، قد يكون السلاح في متناول يده.

برم بيلي رأسه، وفتش الممر، تحسس الأرض قرب جانبه الأيمن بواسطة يده الطليقة.

رمى القاتل شيئاً في وجه بيلي.

أغمض عينيه، متوقعاً المزيد من الألم، مجرد صورة فوتوغرافية.

لم يستطع رؤية الصورة، هزّ رأسه لإبعاد الصورة عن وجهه.

انقلبت الصورة على صدره، حيث ظن أن القاتل سيسحبها فجأة.

لا. حـــاملاً مسدسه، مشى القاتل بعيداً في الردهة، نحو المطبخ، مسمار واحد مثبت جيداً، انتهى عمله هنا.

الحـــصول علـــى صورة له، حفظها في الذاكرة، الطول والوزن التقريبيان، عريض الكتفين أو لا؟ عريض الوركين أو لا؟ أي شيء مميز في طريقة المشي، رشيقة أو لا؟

الألم، والخوف، وارتجاج الرؤية، وخصوصاً زاوية الرؤية القصوى - كـــان بيلي مستلقياً على ظهره، فيما القاتل عند قدميه - حالت كلها دون إنشاء صورة لبنية الرجل خلال الثواني القليلة التي رآه فيها.

اختفى القاتل في المطبخ، تحرك هناك، مصدراً ضجيجاً، بحث عن شيء ما، فعل شيئاً ما.

لمح بيلي فولاذاً ساطعاً على الأرض الخشبية الداكنة في الردهة؛ إنه المسدس، السلاح موجود وراءه وبعيداً عن متناول يده.

بعـــد أن ذهب إلى مكان الجماجم، بعد أن جرّ لاني إلى أنبوب الحمم، فقد بيلي كل قدرة لديه على الخوف، أو ظن ذلك إلى أن أدرك أنه عليه اختبار مدى إحكام تثبيت المسمار له بالأرض، نفر من تحريك يده.

كان الألم مستمراً وإنما مقبول، سيئاً وإنما ليس مريعاً مثلما تخيل، إلا أن محاولة تحريك اليد، أو محاولة إرخاء المسمار، ستكون مثل مضغ التوفي بسنّ مسوسة.

لم ينفر فقط من تحريك يده وإنما أيضاً من النظر إليها، بالرغم من إدراكـــه أن الـــصورة المرســـومة في عقله ستكون أسوأ من الحقيقة، انكمشت معدته فيما برم رأسه، وركّز نظره على جرحه.

باســـتثناء فائض عدد الأصابع، جعل قفاز اللاتكس الأبيض يده تبدو مثل يد ميكي ماوس، مثل الأيدي الكرتونية الملصقة على الجدران

والمـــشيرة إلى مكـــان الكرسي حيث تم وضع جثة لاني مع أحد كتب أمه، ثنية القفاز كانت مبرومة قليلاً.

ثمة شيء زحف على معصمه، تبين أنه خيط من الدم أكد فظاعة الكوميديا المأساوية.

توقع أن يكون النـــزف أسوأ بكثير من هذا، لقد أوقف المسمار تدفق الدم، وعندما أخرجه...

حبس بيلي أنفاسه وأصغى. لا ضجيج في المطبخ، يبدو أن القاتل ذهب.

لا يريد أن يسمعه القاتل وهو يصرخ مجدداً، لا يريد أن يمنحه هذا الرضى.

المـــسمار، لم يتم تسطيح أعلى المسمار على اللحم، تفصل مسافة ثلاثة أرباع الإنش بين أعلى المسمار وراحة يده. استطاع رؤية القسم الفولاذي من المسمار.

ليست لديه طريقة لمعرفة طول المسمار، بالحكم على قطره، قدّر أن يكون طوله ثلاثة إنشات على الأقل من الرأس إلى الأعلى.

عـــند حذف القسم الموجود فوق راحة يده والقسم المنغرز داخل يـــده، يمكـــن القـــول إن مسافة إنش ونصف الإنش انغرزت ربما في الأرض، بعـــدما دخل سطح الأرضية الخشبية وحشوة الأرضية، يبقى القليل من المسمار للانغراز في عارضة تدعيم الأرضية.

لكـــن إذا كـــان طول المسمار *أربعة* إنشات، قد يكون منغرزاً بإحكـــام في عارضـــة تدعـــيم الأرضية، وإرخاء ذلك الإنش سيكون مزعجاً جداً.

كانـــت المـــنازل تـــشيّد بطريقة جيدة عندما جرى تشييد هذا المنـــــزل. هكذا، فإن عوارض اثنين بأربعة، أو اثنين بستة، مثبتة على

الأرجـــح علـــى مسافة اثني عشر إنشاً، لدعم حشوة الأرضية، إلا أن تقديـــراته كانت جيدة، ففي كل أربعة عشر إنشاً من عرض الأرض، هناك أربعة إنشات فقط من عارضة تدعيم الأرضية.

في حـــال طرق عشرة مسامير بالأرضية بطريقة عشوائية، ينغرز ثلاثـــة منها فقط في عارضة تدعيم الأرضية، أما المسامير السبعة الباقية فتدخل في المساحات الفارغة بين العوارض.

عندما حاول طيّ يده اليسرى لاختبار مرونتها، أحسّ بصرخة ألم كبيرة تخرج منه، لم يستطع قمعها بالكامل.

لم تصدر أي ضحكة من المطبخ، ما يدعم الشك في أن القاتل قد رحل.

تـــساءل بيلـــي فجأة إذا كان القاتل قد طلب الرقم 911 قبل أن يغادر.

الفصل 53

بقدر ما تكون الجثة ساكنة ويقظة، جلس رالف كوتل على الأريكة.

قـــام القاتل بشبك الساق اليمنى للرجل الميت فوق ساقه اليسرى ووضع يديه في حضنه لمنحه وضعية عفوية، بدا وكأنه ينتظر بصبر كي يأتي مضيفه مع صينية مشروبات، أو الرقيبين نابوليتينو وسوبياسكي.

بالرغم من أنه لم يتم تشويه كوتل أو التلاعب بجثته، فكر بيلي في العارضات البلاستيكية التي تم تشويهها بعناية في منـــزل ستيف زيليس.

زيليس يعمل الآن في المشرب، لقد رأى بيلي سيارته هناك قبلاً، عندما توقف أمام المشرب لرؤية انعكاس مغيب الشمس على الجدارية العملاقة.

كوتل لاحقاً، زيليس لاحقاً، الآن المسمار.

استدار بيلي بعناية إلى جانبه الأيسر لمواجهة يده المثقوبة.

أمسك بالطرف العلوي للمسمار بإبهام وسبابة يده اليمنى، حاول تحـــريكه برفق جيئة وذهاباً، على أمل كشف بعض الحركة فيه، لكن المسمار كان متصلباً، منغرزاً تماماً.

لو كان الرأس صغيراً، لحاول ربما زلّ يده فوق الجزء المستقيم من المسمار لإرخائها، وترك المسمار في الأرض.

لكـــن الرأس عريض، حتى لو استطاع تحمل ألم برم المسمار إلى الخلف عبر يده، سيلحق ضرراً كبيراً بنفسه في أثناء ذلك.

عندما حرّك المسمار بقوة أكبر، حاول الألم تجميده، سحق الألم بين أسنانه، سحقه بقوة كبيرة لدرجة أن أضراسه اصطكت بين فكّيه.

إلا أن المسمار لم يتحرك في الخشب وبدا أنه سيخسر أسنانه قبل اقتلاع ذلك المسمار، ثم تحرك.

ارتخى المسمار قليلاً، ولكن ليس كثيراً، بين إبهامه المثقوب والإصبع، وفيما تحرك المسمار في خشب الأرضية، تحرك أيضاً في لحم يده.

كان الألم مثل البرق، مثل البرق المتسلسل، بحيث توهج داخله ومض وتوهج.

شعر أن الجزء المستقيم من المسمار يحتك بعظم. إذا كسر المسمار عظماً، سيحتاج إلى عناية طبية عاجلاً وليس آجلاً.

بالرغم من أن هواء المنزل كان مكيفاً، لم يكن المنزل بارداً قبلاً إلى هذا الحد، بدا العرق الآن وكأنه يتحول إلى جليد على بشرته.

حرّك بيلي المسمار، وازدادت قوة الألم داخله أكثر، أكثر فأكثر إلى أن ظن أنه أصبح شفافاً، بات الألم الآن مرئياً، ساطعاً من داخله، لن يراه أحد هنا سوى كوتل.

بالرغم من أن احتمالات انغراز المسمار في عارضة تدعيم الأرضية ضئيلة، يبدو أن هذا المسمار لم ينغرز فقط في الأرضية وحشوة الأرضية وإنما انغرز أيضاً في عارضة تدعيم الأرضية، أول حقيقة محزنة في لعبة قمار اليأس: تختار الأحمر فيأتي الأسود.

أصبح المسمار رخواً، وفي لحظة انتصار وغضب، رماه بيلي بعيداً عنه، إلى غرفة الجلوس، بما أنه فعل ذلك، عليه الذهاب لإيجاده لأن دمه ملتصق على الجزء المستقيم من المسمار.

وضع المسمار على الأرض قرب الفتحة التي أحدثها.

تحول الألم القوي إلى جمرات نابضة، ووجد أنه يستطيع الوقوف على قدميه.

نـــــزفت يده اليسرى من نقطتيّ الدخول والخروج، ولكن ليس بقوة، في النهاية، تم ثقبه بمسمار وليس بمثقاب، و لم يكن الجرح عريضاً.

وضـــع يـــده اليمنى تحت يده اليسرى لتفادي سيلان الدم على سجادة الممر والأرضية الخشبية، وذهب مسرعاً إلى المطبخ.

ترك القاتل الباب الخلفي مفتوحاً، ليس على المصطبة، وليس ربما في الفناء الخلفي أيضاً.

أمـــام حـــوض غسل الصحون، فتح بيلي الصنبور، ووضع يده اليسرى تحت الماء المتدفق إلى أن أصبح نصف خدر نتيجة الماء البارد.

تحول دفق الدم سريعاً إلى نـــزّ.

سحب مناديل ورقية من علبة ولف طبقات عدة منها حول يده.

خـــرج إلى المصطبة الخلفية، حبس أنفاسه، مصغياً ليس إلى القاتل وإنما إلى سيارات الشرطة الآتية.

بعد دقيقة، قرر أنه لم يحصل اتصال بالرقم 911 هذه المرة. القاتل، *المؤدي*، يفتخر بذكائه، لا يكرر أي حيلة.

عاد بيلي إلى الجهة الأمامية للمنـــزل، رأى الصورة الفوتوغرافية التي رماها القاتل في وجهه والتي نسيها، فرماها في أرضية الممر.

إنها امرأة صهباء جميلة، تنظر إلى الكاميرا، مذعورة.

ذات ابتسامة جميلة.

لم يـــرها أبـــداً مـــن قبل، لا يهم ذلك، إنها ابنة شخص ما، ثمة أشخاص يحبونها.

اعف الساقطة.

هذه العبارة، التي ترددت في ذاكرته، أوقعت بيلي تقريباً على ركبتيه.

طـــوال عـــشرين عاماً، لم تكن عواطفه مكبوتة تماماً، تم إنكار بعضها، لطالما سمح لنفسه أن يشعر فقط بما بدا آمناً الشعور به.

سمح لنفسه أن يغضب فقط باعتدال، و لم يسمح بالكراهية على الإطلاق، خشي أنه عند الاعتراف بقطرة واحدة من الكراهية، قد يطلق العنان لتيارات غاضبة قد تدمّره.

إلا أن التحفظ أمام وجه الشرّ ليس فضيلة، وكره هذا القاتل المجرم ليس خطيئة، إنه شعور محق، ملتهب أكثر من الاشمئزاز، أقوى من الألم الذي بدا وكأنه حوّله إلى مصباح ضوئي.

حمل المسدس، ترك كوتل وحده في غرفة الجلوس، وصعد بيلي السلالم، متسائلاً إذا كان سيجد الرجل الميت على الأريكة حين يعود.

الفصل 54

في خـــزانة أدوية لاني الموجودة في الحمام، عثر بيلي على مطهر للجـــروح، وعلبة غير مفتوحة من الضمادات السائلة، ومجموعة من قـــناني الأدويـــة التي كتب عليها كلها: تنبيه! عدم تركها في متناول الأولاد.

المسمار كان نظيفاً وليس بالتالي مصدر التهاب بحدّ ذاته، إلا أنه نقل البكتيريا ربما من سطح البشرة إلى داخل الجرح.

صبّ بيلي المطهر فوق يده اليسرى، على أمل أن تتغلغل جيداً في الجرح المفتوح، بعد برهة، بدأ الوخز.

بما أنه حرص على عدم ثني يده أكثر من اللزوم، توقف النـــزف، لم يـــبدأ مجدداً نتيجة المطهر، إنه تعقيم غير مثالي، لا يملك الوقت ولا المصادر لفعل شيء أفضل.

دهـــن الضماد السائل على مدخل الجرح ومخرجه، من شأن ذلك الحؤول دون دخول الأوساخ إلى الجرح.

الأهم من ذلك، أن الضماد السائل- الذي جفّ وتحول إلى طبقة مطاطية مرنة- يحول دون المزيد من النـــزف.

احتوت مجموعة قناني الأدوية على بضعة أقراص أو كبسولات، لا شك في أن لاني كان مريضاً سيئاً لا ينهي أبداً علبة الدواء، وإنما يحتفظ دوماً بحصة تتيح له معالجة نفسه في المستقبل.

عثـــر بيلـــي على نوعين من المضاد الحيوي؛ سايبرو 500 ملغ، احتوت أول علبة على ثلاثة أقراص، والثانية على خمسة.

جمـــع الأقراص الثمانية في علبة واحدة، نـــزع اللصيقة عن العلبة ورماها في سلة المهملات.

خشي من الالتهاب أكثر مما خشي من تلوث الجرح، إذا تورمت يده وتصلّبت، لن يكون جاهزاً في أي مواجهة قادمة.

بـــين الأدويـــة، اكتشف فيسودين، لن يحول دون الالتهاب وإنما سيخفف الألم إذا أصبح أسوأ. بقيت أربعة أقراص، فأضافها إلى أقراص السايبرو.

نـــبض الألم بقوة في يده المجروحة، وعندما نظر مجدداً إلى صورة المرأة الصهباء، انتابه ألم من نوع آخر، ألم عاطفي أكثر مما هو جسدي.

الألم نعمة، فالبشرية، من دون ألم، لا تعرف الخوف أو الشفقة، فمـــن دون خوف، لا يمكن أن يكون هناك تواضع، ويصبح كل رجل وحشاً، فرؤية الألم والخوف عند الآخرين يولد فينا الشفقة، وفي شفقتنا تكمن إنسانيتنا، خلاصنا.

في عـــينيّ المرأة الصهباء برز رعب واضح، فمن وجهها، بدا أنها عرفت قدَرها.

لم يتمكن من إنقاذها، لكن إذا أدّى القاتل اللعبة وفق قواعده، لم تتعذب.

فـــيما انـــتقل انتباه بيلي من وجهها إلى الغرفة خلفها، تعرف إلى غرفة نومه، تم أسرها في منـــزل بيلي، تم قتلها هناك.

الفصل 55

جلـــس علـــى حافة المغطس في حمام لاني، وأمسك بصورة المرأة الصهباء، واسترجع بيلي التسلسل الزمني للجريمة.

لقـــد اتصل المريض النفسي -متى؟- قرابة الثانية عشرة والنصف تقـــريباً بعـــد الظهر، من هذا اليوم نفسه، بعدما غادر الرقيبان وبعدما جـــرى لـــف كوتل بالنايلون للتخلص منه، بالنسبة إلى بيلي، قام ببث الـــشريط المـــسجل الذي عرض خيارين: تعذيب المرأة الصهباء حتى الموت؛ أو قتل المرأة الصهباء بطلقة أو طعنة واحدة.

حتى في ذلك الوقت، كان القاتل قد أسر الضحية، جعلها تصغي حتماً إلى الشريط فيما قام ببثه عبر الهاتف.

عند الساعة الواحدة، غادر بيلي إلى نابا، بعد ذلك، أحضر القاتل المرأة إلى المنـــزل، والتقط هذه الصورة الفوتوغرافية، وقتلها.

عـــندما عثر القاتل على رالف كوتل ملفوفاً بالنايلون ومخبأ وراء الأريكـــة، تفجرت روح الدعابة لديه، فاستبدل الجثتين، ووضع المرأة الشابة في النايلون.

قـــام بيلـــي عن غير قصد برمي المرأة الصهباء في أنبوب الحمم، وبالتالي حرم عائلتها من العزاء الصغير الذي قد تجده عبر دفن جثتها.

هذا التبديل للجثث يذكّر بزيليس: هذه الدعابة المراهقة، العفوية التي يمكن لشخص ما أن يقول دعابة تافهة.

لم يـــذهب ستيف إلى العمل إلا عند السادسة مساء، كان يملك الوقت للعب.

لكن الحقير موجود *الآن* في المشرب، لا يمكن أن يكون وضع كوتل على الأريكة، وقام بغرز المسمار فيه.

نظر بيلي إلى ساعة يده، الحادية عشرة وإحدى وأربعون دقيقة.

أجبر نفسه على النظر إلى المرأة الصهباء مجدداً لأنه فكّر في أنه سيجمع الصورة مع أدلة أخرى لرميها في الفوهة البركانية، أراد أن يتذكرها فوجد نفسه مجبراً على حفر صورة وجهها في ذاكرته إلى الأبد.

عندما بث القاتل الرسالة المسجلة عبر الهاتف، إذا كانت المرأة موجودة هناك، مكبّلة ومصغية، فإنها سمعت على الأرجح جواب بيلي: *اعفِ الساقطة*.

هذه العبارة أعفتها من العذاب، لكنها الآن تعذب بيلي.

لا يستطيع رمي صورتها، الاحتفاظ بالصورة ليس تصرفاً حكيماً، لا بل إنه خطير، إلا أنه طواها وحرص على عدم تجعيد وجهها، ووضعها في محفظته.

خرج منهكاً إلى سيارة الإكسبلورر، أراد أن يعرف إذا كان القاتل لا يزال في الجوار، يراقب، بدا الليل آمناً ونظيفاً.

وضع قفاز اللاتكس المثقوب في كيس النفايات، وأخرج واحداً جديداً، رفع هاتفه الخلوي عن الركيزة وأخذه معه.

عاد إلى المنزل مجدداً، وفتش في كل الغرف من الأعلى إلى الأسفل، جامعاً كل الأدلة في كيس نفايات بلاستيكي، بما في ذلك صورة جيزيل وينسلو (التي لن يحتفظ بها)، والأيدي الكرتونية، والمسمار...

بعدما انتهى، وضع الكيس قرب الباب الخلفي.

أخذ كوباً نظيفاً، من الإبريق الموجود على الطاولة، سكب بضع أونصات من الكوكا الفاترة، بسبب الحركة، أصبح الألم في يده أسوأ، فتناول قرص سايبرو، وقرص فيسودين.

قـــرر التخلص من كل الأدلة المشيرة إلى شرب صديقه للشراب، يجب ألا يوفر المنـــزل أي شيء غير اعتيادي للشرطة لتفكر فيه.

عـــندما يبقى لاني مختفياً لوقت طويل، سيأتون إلى هنا، ويطرقون على الباب، وينظرون عبر النوافذ، سيدخلون، إذا رأوا أنه كان يشرب الشراب الثقيل، قد يفكرون في الاكتئاب واحتمال الانتحار.

كلما توصلوا إلى الاستنتاجات بسرعة أكبر، قاموا بتفتيش أرجاء المكـــان بسرعة أكبر، وكلما أخذ العشب المسحوق وقتاً أطول للعودة إلى طبيعته، تضاءل احتمال تركيزهم على غطاء أنبوب الحمم.

بعـــدما أصـــبح كل شيء مرتباً وبعدما تم ربط كيس النفايات المـــشتمل على الأدلة، ولم يبقَ إلا رالف كوتل للتخلص منه، استخدم بيلي هاتفه الخلوي للاتصال برقم هاتف المشرب.

أجاب جاكي أوهارا: "المشرب".

سأل بيلي: "كيف حال الحيوانات المقززة مع الأدمغة البشرية؟".

"إنهم يشربون في مشرب آخر".

"لأن المشرب هو مشرب عائلي".

"هذا صحيح، وسيبقى دوماً هكذا".

"اسمع جاكي...".

"أكره عبارة *اسمع جاكي*. تعني دوماً أنني سأقع في ورطة".

"سآخذ إجازة يوم غد أيضاً".

"أنا في ورطة".

"لا أنت تضخم الأمور".

"لا تبدو مريضاً إلى هذه الدرجة".

"ليس زكاماً في الرأس، إنه شيء في المعدة".

"ضع الهاتف على بطنك ودعني أصغي إليه".

"تصبح فجأة عنيداً".

"من غير الملائم أن يقوم صاحب المشرب شخصياً بالعمل كثيراً".

"المكان مزدحم جداً، لا يستطيع ستيف الاهتمام بزبائن منتصف الليل وحده؟".

"ستيف ليس هنا، أنا وحدي".

انكمشت يد بيلي فوق الهاتف الخلوي. "مررت قبلاً أمام المشرب، كانت سيارته مركونة هناك".

"إنه يوم إجازة بالنسبة إلى ستيف، ألا تذكر؟".

لقد نسي بيلي.

"عندما لم أفلح في العثور على بديل للعمل مكانك، جاء ستيف من الثالثة إلى التاسعة لإنقاذي، وماذا تفعل أنت في السيارة إذا كنت مريضاً؟".

"كنت ذاهباً إلى موعد مع طبيب، استطاع ستيف منحك ست ساعات فقط؟".

"توجب عليه إنجاز أمور قبل ذلك وبعده".

مثل قتل المرأة الصهباء قبلاً، وتسمير يد بيلي بالأرضية لاحقاً.

سأل جاكي: "ماذا قال الطبيب؟".

"إنه فيروس".

"هذا ما يقولونه دوماً عندما لا يعرفون الحقيقة".

"لا، أظن فعلاً أنه فيروس الثماني والأربعين ساعة".

قال جاكي: "كما لو أن الفيروس يعرف من ثماني وأربعين ساعة، تخرج عين ثالثة من جبينك ويقولون إنه فيروس".

"آسف بشأن ذلك جاكي".

"سأصمد، إنه فقط عمل المشرب في النهاية، ليست حرباً".

ضـــغط بيلـــي على الزر الأحمر لإنهاء المكالمة، وشعر أنه فعلاً في حرب.

علـــى رف المطـــبخ، كانت محفظة نقود لاني، ومفاتيح السيارة، ونقـــود معدنـــية، وهاتف خلوي، ومسدس عيار 9 ملم، تماماً حيث كانت كلها الليلة الماضية.

أخذ بيلي محفظة النقود. عندما غادر، أخذ أيضاً الهاتف الخلوي، والمسدس، وقراب ويلسون كومبات.

مـــن الأغـــراض الموجودة في درج الخبز، أخذ نصف رغيف من الخبز الكامل القمحة في كيس نايلون.

في الخـــارج، وقف على الجهة الشرقية من المصطبة، ورمى الخبز على المرج. ستحتفل طيور الصباح.

عاد إلى المنـــزل مرة جديدة، وغطى الكيس بمنشفة.

ثمة خزانة للأسلحة ذات أبواب زجاجية موجودة في المكتب، في الأدراج تحـــت الأبواب، احتفظ لاني بعلب من الذخيرة، بعلب رذاذ مادة مايس الكيميائية، وبحزام شرطة إضافي.

علـــى الحـــزام، كانت هناك جيوب لخراطيش احتياطية، وقراب للمـــسدس، وجـــيب، وعلـــبة للأغلال، وحمالة مفاتيح، ومحمل قلم، وقراب، إنه جاهز للاستعمال.

أخـــرج بيلي من الحزام الذخيرة الاحتياطية، أخذ أيضاً الأغلال الـــيدوية، وعلبة رذاذ مايس الكيميائية، ووضع هذه الأغراض في كيس الخبز.

الفصل 56

ثمــة طــيور سريعة، ربما خفافيش تقتات من العث عند الساعة الأولى من بعد منتصف ليل يوم الأربعاء، حلقت على علو منخفض في الفــناء، فوق بيلي، ثم توجهت عالياً، عندما لحق بصوت ما لم يستطع رؤيته، ارتفع نظره إلى الشكل الفضي الرقيق لهلال جديد.

بالرغم من وجود القمر في السماء قبل ذلك، متوجهاً نحو الغرب، لم يلاحــظ بيلي هذا الهلال الصغير إلا الآن، ليس هذا مستغرباً، فمنذ حلــول الظــلام، لم يكن لديه الوقت للنظر إلى السماء إذ كان انتباهه مركزاً على الأرض.

رالف كوتل، الذي تصلبت أطرافه في زاويا مزعجة نتيجة تخشب المــيت، تم لفــه ببطانية بسبب عدم إمكانية العثور على لفافة نايلون كــبيرة، وجرى ربطه على شكل حزمة بمجموعة ربطات عنق لاني - ثلاث - ثم تم جرّه بصعوبة عبر الفناء المنحدر وصولاً إلى الشجيرات.

قال كوتل إنه ليس بطل أحد، ومات حتماً موت الجبناء.

أراد أن يعيش بالرغم من حياته التعيسة لأنه- *ماذا يوجد هناك؟* - لم يتخيل أنه يوجد ربما شيء أفضل للكفاح من أجله، أو القبول به.

في اللحظــة الــتي دخل فيها نصل السكين بين ضلوعه وأوقف قلــبه، أدرك أنه يمكن الهروب من الحياة، ولكن لا يمكن الهروب من الموت.

شــعر بيلي بتعاطف مع هذا الرجل، الذي كان يأسه أعمق من يأس بيلي وكانت موارده أقل عمقاً.

عندما علقت الشجيرات والأشواك بالبطانية الناعمة وجعلت جرّ الجـــثة أمراً صعباً جداً، رفع الجثة وحملها على كتفه، من دون تذمر أو شـــكوى، تحت العبء، تعثر ولكن من دون أن ينهار، جاء قبل دقائق قلـــيلة لإزالـــة الغطاء مرة جديدة عن الإطار الأحمر الخشبــــي، كانت الفتحة تنتظر، قال كوتل إنه لا يوجد عالم واحد وإنما مليارات العوالم، وإن عالمـــه مخـــتلف عـــن عالم بيلي. سواء أكان هذا صحيحاً أم لا، أصبحت العوالم هنا عالماً واحداً.

سقطت الجثة الملفوفة عبر الفوهة، وارتطمت، وتعثرت، وسقطت في الظلام، الفراغ في الفراغ.

عندما ساد الصمت، موحياً أن المشكك وصل إلى راحته العميقة مع الابـــن الـــصالح والمـــرأة المجهولة، أعاد بيلي الغطاء إلى مكانه، واستخدم المصباح الوامض للتأكد من تحاذي الفتحتين، وقام بتثبيت البراغي مجدداً.

أمـــل ألا يرى هذا المكان أبداً مرة جديدة، إلا أنه شك في أنه لن يملك خياراً آخر سوى العودة.

ابتعد بالسيارة عن منـــزل أولسن، لكنه لم يعرف إلى أين يذهب، في الـــنهاية، عليه مواجهة ستيف زيليس، ولكن ليس فجأة، ليس الآن، عليه أولاً تحضير نفسه.

في عصر آخر، كان الرجال عشية المعركة يذهبون إلى دور العبادة لتحـــضير أنفسهم، روحياً وفكرياً وعاطفياً، لإشعال البخور، وإضاءة الشموع، والحصول على التواضع.

في تلك الأيام، كانت دور العبادة تفتح ليلاً نهاراً، تقدم الملاذ من دون شروط.

إلا أن الأوقـــات تغيرت، هناك بعض دور العبادة التي تبقى الآن مفتوحة على مدار الساعة، لكن العديد من دور العبادة الأخرى تفتح

في ساعات محددة، وتغلق أبوابها قبل ساعات طويلة من منتصف الليل.

تغلق بعض دور العبادة أبوابها بسبب تكاليف التدفئة والكهرباء، الميزانية تتغلب على الرسالة، بدل الانتقال من دار عبادة إلى أخرى، وتجربة أبوابها والعثور على ملاذ وفق موعد مسبق، ذهب بيلي إلى حيث يذهب الرجال العصريون الذين هم بحاجة إلى التأمل في الساعات التالية لمنتصف الليل: محطة شاحنات.

نظراً لعدم وجود طرقات سريعة عريضة في المنطقة الريفية، كانت محطة الشاحنات المتوافرة، على الطريق السريع رقم 29، متواضعة نسبة إلى معايير سلسلة *ليتل أميركا* التي تشغل محطات الشاحنات في البلدات الصغيرة، إلا أنها اشتملت على مجموعات من مضخات الوقود المضاءة بطريقة تنافس ضوء النهار، ومتجر صغير، وحمامات مجانية، ونفاذ للإنترنت، ومطعم 7/24 يقدم أطعمة مقلية وقهوة تجعلك تقشعرّ.

لا يريد بيلي القهوة أو الكولسترول، يريد فقط زحمة التجارة المنطقية لموازنة اللامنطقية التي يعيشها حالياً، ومكاناً عاماً جداً بحيث لا يكون فيه عرضة للهجوم.

ركن السيارة أمام المطعم، تحت عمود كهرباء فيه مصباح قوي جداً بحيث استطاع القراءة تحت الضوء الداخل عبر الزجاج الأمامي.

أخرج من علبة القفازات رزماً من المناديل الرطبة، استخدمها لفرك يديه.

تم ابتكار هذه المناديل لتنظيف الأيدي بعد تناول وجبة بيغ ماك والبطاطا المقلية في السيارة، وليس لتعقيم الأيدي بعد التخلص من الجثث، إلا أن بيلي ليس في موقع - أو مزاج - للتذمر.

كانت يده اليسرى، المثقوبة بمسمار وغير المعالجة، ساخنة ومتصلبة، ثناها ببطء وحذر شديد، بسبب الفيسودين، لم يشعر بألم، قد لا يكون ذلك جيداً، فالمشكلة المتزايدة في اليد قد تتحول إلى ضعف مفاجئ في القبضة في اللحظة التي تبرز فيها أمس الحاجة إلى القوة في هذه الأزمة المتطورة.

بمساعدة البيبسي الفاترة، تناول حبتين إضافيتين من الأناسين، للعمل بمثابة مضاد للالتهاب. لا شك في أن دواء موترين أفضل، لكنه لا يملك الآن سوى أناسين.

يمكن للجرعة الصحيحة من الكافيين أن تعوض نوعاً ما عن قلّة النوم، لكن الكثير من الكافيين قد يوتّر الأعصاب ويدفعه إلى تصرف متهور، تناول حبة إضافية مضادة للنعاس على كل حال.

مضت ساعات طويلة على تناوله لوح شوكولا هيرشي ولوح بسكويت بلانترز، تناول لوحاً جديداً من كل منهما.

فيما تناولهما، فكر في ستيف زيليس، المشتبه به الرئيس، المشتبه به الوحيد.

بدت الأدلة ضد زيليس كثيرة جداً، لكنها كلها أدلة ظرفية.

لا يعني ذلك أن القضية غير صحيحة، فنصف الإدانات أو أكثر التي يتم الحصول عليها في المحاكم الجنائية مستندة على تشابكات مقنعة من الأدلة الجنائية، ويكون أقل من واحد في المئة منها إخفاقاً للعدالة.

لا يترك المجرمون بالضرورة أدلة مباشرة في مسرح الجريمة، ففي هذا العصر من مقارنة الحمض النووي (دي. أن. أيه)، يمكن لأي شخص يملك تلفازاً أن يشاهد برامج CSI ويتعلم الخطوات البسيطة الواجب اعتمادها لتفادي الإدانة الذاتية.

إلا أن كـــل شيء، من المضادات الحيوية إلى موسيقى الزيديكو، يكشف عن سلبياته وعرف بيلي جيداً مخاطر الأدلة الظرفية.

ذكّر نفسه أن المشكلة لم تكن في الأدلة، المشكلة كانت في جون بالمـــر، الـــذي أصـــبح الآن شريفاً، وكان حينها ملازماً طموحاً يحلم بالترقي إلى رتبة نقيب.

اللـــيلة التي جعل فيها بيلي من نفسه يتيماً، كانت الحقيقة مريعة وإنما واضحة وسهلة التحديد.

الفصل 57

من حلم فاحش، استيقظ بيلي وايلز ابن الأربعة عشر عاماً بسبب أصوات مرتفعة وصراخ غاضب.

في البداية، شعر بالارتباك، شعر وكأنه انتقل من حلم جميل إلى آخر مزعج.

وضع وسادة فوق رأسه، ودفن وجهه في وسادة أخرى، محاولاً إعادة نفسه مجدداً إلى الحلم الجميل.

إلا أن الحقيقة بقيت، الحقيقة *أصرّت*.

الصوت كان صوت أمه وأبيه، في الأسفل، وكان الصوت عالياً جداً بحيث لم ينجح السقف الفاصل بين الطابقين في إخماده.

قصصنا الخرافية غنية بالشخصيات الفاتنة: حوريات بحر تغني للبحارة على الصخور، شريرة تحول الرجال إلى حيوانات مقززة، عازفو مزامير يعزفون للأولاد يوم مماتهم، إنها استعارات للحاجة السرية إلى التدمير الذاتي التي ترافقنا منذ أيام التفاحة الأولى.

بيلي نفسه هو عازف مزمار، فسمح لنفسه بالنهوض من السرير بسبب أصوات أهله العالية.

الجدال ليس شائعاً في هذا المنزل، لكنه ليس نادراً أيضاً، إلا أن الخلافات تبقى عادة هادئة، كثيرة، ووجيزة، إذا استمر الانزعاج لوقت طويل، يتم التعبير عنه بصمت حزين يشفي مع الوقت، أو هكذا يبدو.

لا يعتبر بيلي أن أهله غير سعيدين في زواجهما، إنهما يحبان بعضهما بعضاً، يعرف ذلك.

حـــافي القدمين، عاري الصدر، مرتدياً سروال بيجاما، مستيقظاً تدريجياً فيما مشى، مشى بيلي وايلز في الممر، ونـــزل السلالم...

لا يـــشك في أن أهلـــه يحبانه، بطريقتهما، يعبّر والده عن عاطفة صـــارمة، تـــراوح عاطفة أمه بين الإهمال الحميد وحب الأم الصادق والمفرط.

لطالما بقيت طبيعة المشاكل بين أمه وأبيه غامضة بالنسبة إلى بيلي، وبدت أنها لا تفضي إلى أي عواقب، حتى الآن.

عندما وصل إلى غرفة الطعام، بمرأى من باب المطبخ، وجد بيلي نفسه مغموراً غصباً عنه- حقاً؟- بحقائق باردة وأسرار فاضحة متعلقة بالشخصين اللذين اعتقد أنه يعرفهما أفضل من أي شيء آخر في العالم.

لم يتخـــيل أبداً أن والده يمكن أن يكشف عن مثل هذا الغضب الحاقد، لم يقتصر ذلك فقط على حجم الصوت العالي وإنما تعداه أيضاً إلى النبرة المريرة واللغة البذيئة التي كشفت عن استياء طويل الأمد كان يغلي برفق في انتظار اللحظة الملائمة للانفجار.

اتهـــم والـــده أمه بالخيانة المتكررة، قال إنها ساقطة، وأطلق عليها صفات أسوأ، مراوحة من الغضب إلى الغيظ الشديد.

في غـــرفة الطعام، حيث تسمّر بيلي عند سماع الحديث، اضطرب عقلـــه بالاتهامـــات الموجهة ضد أمه، لطالما بدا له والداه غير مهتمين بعلاقتهما، جذابين وإنما غير مباليين لمثل هذه الرغبات.

إذا تـــساءل يـــوماً عن كيفية تكوينه، فإنه يعزو ذلك إلى واجب الزواج والرغبة في تأسيس عائلة وليس إلى الشغف.

ومـــا صـــدمه أكثـــر من الاتهامات كان اعتراف أمه بالحقيقة؛ واتهاماتهـــا المقابلـــة التي كشفت أن والده رجل وأيضاً أقل من رجل، وبّخت زوجها وسخرت منه بلغة أكثر بذاءة من تلك الموجهة إليها.

أدت سـخريتها إلى زيادة غضبه ودفعته إلى الجنون، صفعة اللحم على اللحم أوحت بضرب الوجه باليد بقوة.

بكـت ألمـاً لكنها قالت فجأة: "أنت لا تخيفني، لا تستطيع أن تخيفني".

تبعثـرت الأغراض، وتطايرت وتكسرت، ثم صدر صوت مريع، صوت وحشي مفاجئ، صرخت أمه ألماً، ذعراً.

لا يذكـر بيلـي كيف غادر غرفة الطعام، لكنه وجد نفسه في المطبخ، يصرخ على والده لكي يتوقف، لكن بدا أن والده لم يسمعه أو لم ينتبه حتى إلى وجوده.

كـان والده مأخوذاً، مفتوناً بالقوة الخفية للحقد الموجود داخله، إنه حقد طويل الأمد.

علـى الأرض، بكـت والدة بيلي المحطمة مثل حشرة مسحوقة، عاجزة عن الصراخ، مصدرة أصوات عذاب.

شـاهد بيلي أسلحة أخرى موضوعة على طاولة المطبخ، مطرقة، سكين كبيرة، مسدس.

بدا أن والده رتّب هذه الأدوات الثلاث لإخافة أمه.

يبدو أنها لم تخف، لا بل اعتبرته جباناً وسخيفاً وأحمق، لا شك في أنه جبان، لأنه انقض على امرأة عاجزة، لكنها أساءت أيضاً في الحكم على قوة الشر فيه.

أمسك بيلي بالمسدس وحمله بكلتا يديه، وصرخ على والده لكي يتوقف، وعندما لم يلقَ طلبه صدى، أطلق النار على السقف.

تراجع السلاح الناري على نحو مفاجئ عبر كتفيه، فتمايل بذهول.

اسـتدار والـده نحوه ولكن ليس بخنوع، فالحقد هو وحش ظالم يسيطر على الرجل ويتحكم فيه.

ســـأله والده: "ابن من أنت؟ ابن من كنت أطعم طوال كل هذه السنوات، أيها الحقير الصغير؟".

تـــصاعد الرعب، وعندما أدرك بيلي أن عليه القتل أو يتعرض هو للقـــتل، ضـــغط على الزناد مرة أولى، وثانية، وثالثة، وارتدّت ذراعاه بفعل قوة السلاح.

رصاصتان خائبتان وجرح في الصدر.

تمايـــل والده، وتعثر، وسقط إلى الخلف فيما أفضت الرصاصة إلى تدفق الدم من صدره.

ســـقط على الأرض منهاراً، وبعد ذلك لم يصدر أي صراخ، أي كلمات غضب، وبقي فقط تنفس بيلي وتمتمات أمه اليائسة.

ثم قالـــت: "بابـــا؟". كـــان صوتها متثاقلاً ومليئاً بالألم. "بابا طوم؟".

والدها، الذي كان في المارينـــز، قُتل في أثناء الخدمة عندما كانت في العاشرة، بابا طوم هو زوج أمها.

"ســـاعدني". أصـــبح صوتها أكثر خشونة، وتبدل بطريقة يائسة: "ساعدني بابا طوم".

بابـــا طوم هو رجل جاف، له شعر بلون الغبار، مع عينين بنيتين مـــثل الحجـــر الرملي، كانت شفتاه متشققتين على الدوام، وضحكته المهزولة تثير أعصاب أي مستمع.

فقـــط في الظـــروف القصوى، يطلب أي كان المساعدة من بابا طوم، ولا يتوقع أحد أن يتلقى هذه المساعدة.

"ساعدني بابا طوم".

بالإضـــافة إلى ذلك، يعيش الرجل العجوز في ماساتشوستس، أي على مسافة بعيدة جداً من منطقة نابا.

إلحـــاح الوضـــع تغلغـــل في صدمة بيلي، وتحولت الآن عاطفته المذعورة باتجاه أمه.

بـــدت مـــشلولة، فـــيما انتفض الإصبع الصغير في يدها اليمنى، وانتفض، ولكن لم يتحرك أي شيء آخر فيها.

مـــثل إنـــاء الفخـــار المرمم بطريقة سيئة، برز خطب في شكل جمجمتها ووجهها.

ركزت عينها الوحيدة المفتوحة، عينها الوحيدة الباقية، على بيلي وقالت: "بابا طوم".

لم تتعـــرف إلى بيلي، ابنها الوحيد، وظنت أنه الرجل العجوز من ماساتشوستس.

قالت "أرجوك" وبرز الألم في صوتها.

أوحى الوجه المكسور بضرر فادح في الدماغ لدرجة دفعت بيلي إلى البكاء بقوة.

انـــتقلت عينها الوحيدة من وجهه إلى المسدس في يده. "أرجوك، بابا طوم. *أرجوك*".

إنه فقط في الرابعة عشرة، مجرد ولد، وكان صغيراً، وثمة خيارات تُطلب منه لا يجدر به اتخاذها.

"*أرجوك*".

إنـــه خيار يحطم إنساناً ناضجاً، ولا يستطيع الاختيار، لن يختار. لكن، أوه، ألمها، خوفها، *ذعرها*.

توسلت بلسان متثاقل: "أوه، الله، أوه، الله، أين أنا؟ من أنت؟ من هذا الذي يزحف هناك؟ من أنت هنا تخيفني؟ *تخيفني!*"

يـــتخذ القلب أحياناً قرارات يعجز عنها العقل، وبالرغم من أننا نعـــرف أن القلب مضلل أكثر من أي شيء آخر، نعرف أيضاً أنه في

لحظات التوتر والخسارة الكبيرة، يندفع القلب بالمعاناة.

خلال السنوات القادمة، لن يعرف أبداً إذا كان الوثوق بقلبه في هذه اللحظة هو الخيار الصحيح، لكنه فعل مثلما قال له.

قال: "أحبك" وأطلق الرصاصة القاتلة على أمه.

* * *

كان الملازم جون بالمر أول من وصل إلى مسرح الجريمة.

مـــا بدا أساساً الدخول الجريء لسلطة جديرة بالثقة، سيكون لاحقـــاً، بالنـــسبة إلى بيلـــي، مثل استعجال النسر للانقضاض على الجيفة.

في انتظار الشرطة، عجز بيلي عن الخروج من المطبخ، لم يتحمل ترك أمه وحدها.

شـــعر أنهـــا لم ترحل تماماً بعد، وأن روحها لا تزال هنا وتستمد العزاء من وجوده، أو لم يشعر ربما بأي شيء من هذا القبيل، وتمنى فقط أن يكون هذا صحيحاً.

بالرغم من عدم تمكنه من النظر إليها، إلى ما أصبحت عليه، بقي قربها، حذراً.

عندما دخل الملازم بالمر، عندما لم يعد بيلي وحده ولم يعد بحاجة إلى أن يبقى قوياً، انهار، ارتجف الولد بشدة.

سأل الملازم بالمر: "ماذا حصل هنا بنيّ؟".

مـــع هـــاتين الوفاتين، لم يعد بيلي ابن أحد، وشعر بالوحدة في عظامه، بالفراغ في صميمه، بالخوف من المستقبل.

لـــذا، عـــندما سمع كلمة بنّي، بدت أكثر من مجرد كلمة، بدت وكأنها يد ممدودة، أمل معروض.

تحرك بيلي نحو جون بالمر.

بما أن الملازم يحسب أو بالأحرى بما أنه إنسان، فتح ذراعيه.

ارتمى بيلي المرتجف بين هاتين الذراعين، فشدّه جون بالمر بالقرب منه. "بنيّ؟ ماذا حصل هنا؟".

"ضربها، قتلته، ضربها بمفتاح حديدي".

"قتلته؟".

"ضربها بالمفتاح الحديدي، قتلته، فقتلتها".

يمكن لرجل آخر أن يعتبر ذلك اضطراباً عاطفياً لشاهد صبي، ولكن الاعتبار الرئيس للملازم هو أنه لم يصبح نقيباً بعد، إنه رجل طموح، وغير صبور.

قبل عامين، قام شاب عمره سبعة عشر عاماً في لوس أنجلوس، جنوب نابا، بإطلاق النار على أهله حتى الموت، طلب البراءة بسبب الاعتداء الجنسي طويل الأمد.

تلك المحاكمة، التي انتهت قبل أسبوعين فقط من الليلة المفصلية في حياة بيلي وايلز، أفضت إلى الإدانة، توقع النقاد أن تتم تبرئة الشاب، لكن التحري المسؤول عن القضية كان مجتهداً، وحرص على جمع عدد كبير من الأدلة التي أثبتت كذب الشاب.

خلال الأسبوعين الماضيين، كان ذلك التحري نجم وسائل الإعلام، ظهر كثيراً على شاشات التلفاز، أصبح اسمه مشهوراً أكثر من اسم عمدة لوس أنجلوس.

باعتراف بيلي، لا يرى جون بالمر فرصة لتعقب الحقيقة، وإنما يرى *فرصة*.

"على من أطلقت النار بنيّ؟ عليه أم عليها؟".

"أطلقت النار عليه، أطلقت النار عليها، ضربها بشدة بالمفتاح الحديدي، بحيث توجب عليّ إطلاق النار عليهما معاً".

فـــيما صدحت أصوات الصفارات في البعيد، أخرج الملازم بالمر بيلي من المطبخ، وأوصله إلى غرفة الجلوس، طلب من الصبـــي الجلوس على الأريكة.

لم يعـــد سؤاله *ماذا حصل هنا بنيّ؟* وإنما بات سؤاله الآن: "ماذا فعلت بنيّ؟ ماذا فعلت؟".

لوقت طويل جداً، لم يعرف بيلي وايلز الصبـــي الفرق.

هكذا، بدأت ستون ساعة من الجحيم.

في عمر الرابعة عشرة، لا يمكن محاكمته مثل شخص راشد، وبما أن الحكـــم بالإعـــدام أو بالسجن لمدى الحياة غير واردين، يفترض أن تكون ضغوط الاستجواب أقل مما هي مع مجرم راشد.

إلا أن جون بالمر صمم على تحطيم بيلي، على سحب اعتراف منه أنه هو من ضرب أمه بالمفتاح الحديدي، وأطلق النار على والده عندما حاول والده حمايتها، ثم قضى عليها أيضاً برصاصة.

بمـــا أن عقـــوبة المجرمين الأحداث أقل صرامة مما هي للراشدين، يحمـــي النظام أحياناً حقوقهم باجتهاد أقل مما هو ضروري، فإذا كان المـــشتبه به لا يعرف أنه يجدر به طلب محامٍ، قد لا يتم إبلاغه بهذا الحق في الوقت المناسب والمثالي.

إذا كان افتقاد المشتبه به إلى المصادر يستلزم محامي دفاع عاماً، ثمة احتمال أن يكون الشخص المعين غير كفوء، أو أحمق.

ليس المحامون جميعاً نبلاء مثل أولئك الذين يدافعون عن المظلومين في المسلسلات التلفازية، تماماً مثلما لا يكون المظلمون نبلاء بهذا القدر في الحياة الحقيقية.

ضابط متمرّس مثل جون بالمر، بالتعاون مع رؤساء مختارين، يدفعه الطموح الكبير والرغبة في المجازفة بمهنته، يملك الكثير من الخدع لإبقاء

مشتبه به بعيداً عن المشورة القانونية ومتوافراً لاستجواب غير محدود في الساعات المباشرة التي تلت اعتقاله.

لعل إحدى أكثر الخطط فاعلية هي جعل بيلي *مساعد نادل*، يصل محامـــي الدفاع إلى مركز التوقيف في نابا ليكتشف أنه بسبب المساحة المحـــدودة للزنـــــزانات أو لأسباب أخرى مجهولة، تم نقل موكّله إلى مركـــز شرطة كاليستوغا، وعند الوصول إلى كاليستوغا، يسمع أنه تم ارتكاب خطأ فادح: تم أخذ الولد إلى سانت هيلينا، في سانت هيلينا، أعادوا المحامي إلى نابا.

بالإضـــافة إلى ذلك، خلال نقل المشتبه به، تتعرض السيارة أحياناً لمـــشاكل ميكانيكـــية، وتستغرق رحلة الساعة الواحدة ثلاث أو أربع ساعات حسب التصليحات اللازمة.

خـــلال هذين اليومين ونصف اليوم، تنقل بيلي بين مجموعة من المكاتب، وغرف الاستجواب، والزنـــزانات، كانت عواطفه قوية على الـــدوام، ومخاوفه مستمرة فيما وجبات الطعام غير منتظمة، لكن أسوأ اللحظات حصلت في سيارة الشرطة، على الطريق.

بيلـــي جالس في الخلف، وراء حاجز الأمان، يداه مكبلتان، فيما تم ربط هذه الأغلال بسلسلة متصلة بحلقة مثبتة في الأرض.

ثمـــة سائق لا يملك أبداً أي شيء لقوله، بالرغم من القوانين التي تمنع هذا التدبير، جلس جون بالمر في المقعد الخلفي مع المشتبه به.

المـــلازم رجل كبير البنية، والمشتبه به صبـــي عمره أربعة عشر عاماً، في هذا المكان الضيق، يمكن للاختلاف في الأحجام أن يكون بحد ذاته مصدر قلق بالنسبة إلى بيلي.

بالإضافة إلى ذلك، يعتبر بالمر خبيراً في الترهيب، كلام متواصل وأســئلة مستمرة يفصل بينها فقط صمت اتهامي، بنظرات محسوبة،

بكلمـــات مخـــتارة بعناية، بتقلبات مزاج كبيرة، أدى دوره بفاعلية كبيرة.

الاحتكاك هو الأسوأ.

جلـــس بالمر قريباً جداً في بعض الأوقات، جلس أحياناً قريباً جداً بقـــدر ما يرغب الصبـــي في الجلوس قرب فتاة، وضغط بجانبه الأيسر على جانب بيلي الأيمن.

عبث بشعر بيلي بعاطفة زائفة، وضع يداً كبيرة على كتف بيلي، ومن ثم على ركبته، وبعدها على فخذه.

"قتلهما ليس جريمة إذا كنت تملك سبباً وجيهاً، بيلي. إذا تحرش بك والدك طوال أعوام وكانت أمك تعلم، لن يلومك أحد".

"لم يلمسني أبداً والدي هكذا، لماذا تستمر في تكرار ذلك؟".

"أنا لا أكرر بيلي، أنا أسال، لا داعي لأن تخجل من أي شيء إذا كانـــا يعـــذبانك منذ الصغر، يجعلك ذلك ضحية، ألا تفهم؟ وحتى لو أعجبك ذلك...".

"لم يكن ليعجبني".

"حتى لو أعجبك، لا تملك سبباً للخجل، تبقى ضحية". اليد على الكتف.

"لست ضحية، لم أكن ضحية، لا تقل هذا".

"يفعل بعض الرجال أشياء مريعة بالصبيان العاجزين، ويحب بعض الـــصبيان ذلك". اليد على الفخذ. "لكن هذا لا يجعل الولد غير بريء بيلي، يبقى الولد الوسيم بريئاً".

تمنى بيلي تقريباً لو أن بالمر يضربه، اللمس، اللمس الرقيق والتلميح أســـوأ مـــن الضربة لأنه يبدو أن الضربة ستأتي على كل حال عندما يخفق اللمس.

في أكثر من مناسبة، كاد بيلي يعترف فقط للهروب من الإيقاعات المجنونة في صوت الملازم جون بالمر، للهروب من لمساته.

بدأ يتساءل لماذا... بعدما وضع حداً لمعاناة أمه، لماذا اتصل بالشرطة بدل وضع فوهة المسدس في فمه؟

أخيراً، أُنقذ بيلي بالعمل الجيد للمسعف الطبي ولتقنيي التحريات، وبالأفكار المغايرة لبقية رجال الشرطة الذين سمحوا لبالمر التلاعب بالقضية مثلما يشاء، فالأدلة تدين الوالد؛ ما من أدلة ضد الابن.

البصمة الوحيدة الموجودة على المسدس هي بصمة بيلي، لكن ثمة بصمة واضحة وجزءاً من راحة يد على المقبض الطويل للمسدس الفولاذي تخصان والد بيلي.

استخدم القاتل المفتاح الحديدي بيده اليسرى، على عكس والده، يستخدم بيلي يده اليمنى.

كانت ملابس بيلي ملطخة بمقدار ضئيل من الدم ولكن ليست ملطخة ببقع متناثرة، ثمة رذاذ من الدم على كمّيّ قميص والده.

حاولت المرأة صدّ زوجها، لذا، علق دمه ولحمه، وليس دم بيلي ولحمه، تحت أظافرها.

مع الوقت، أجبر اثنان من رجال القسم على الاستقالة، فيما تم طرد ثالث، وعندما تبدد الدخان، بقي الملازم جون بالمر صامداً من دون أي شائبة.

فكّر بيلي في اتهام الملازم، لكنه خاف من الشهادة، خاف خصوصاً من عواقب عدم الفوز في المحكمة، الحذر نصحه بالانسحاب.

ابقَ منخفضاً، ابقَ هادئاً، دع الأمور بسيطة، لا تتوقع الكثير، استمتع بما لديك، تحرك قدماً.

المـــذهل أن التحرك قدماً عنى في النهاية الانتقال للعيش مع بيرل أولسن، أرملة رجل شرطة ووالدة رجل شرطة.

عرضت إنقاذ بيلي من خدمة رعاية الأولاد، وفي لقائهما الأول، عرف فوراً أنها لن تكون أبداً أكثر أو أقل مما *تبدو* عليه، بالرغم من أنه في الــــرابعة عشرة من عمره فقط، تعلم أن التناسق بين الحقيقة والمظهر قد يكون أكثر ندرة مما يتخيله أي ولد، وهذه ميزة أمل أن يعززها في نفسه.

الفصل 58

ركــن الــسيارة تحت الأنوار الساطعة لمحطة الشاحنات، خارج المطعــم، وتــناول بيلي وايلز لوح شوكولاته هيرشي ولوح بسكويت بلانترز، وفكّر في ستيف زيليس.

الأدلــة ضد زيليس، بالرغم من كونها ظرفية، تدعم على ما يبدو الشك أكثر من أي شيء آخر استخدمه جون بالمر قبلاً لتبرير بيلي.

إلا أنــه خــشي أن يــوجه التهمة إلى رجل بريء، فالعارضات البلاســتيكية، والصور الإباحية، والوضع الإجمالي لمنــزل زيليس تثبت أنه حقير، وحتى مخبول، لكن ما من شيء يثبت أنه قتل أحداً.

خبرة بيلي مع بالمر جعلته يبحث عن اليقين.

أمــل في التوصــل إلى حقيقة واحدة داعمة للقضية، أو حتى إلى شــيء رقيق مثل الهلال الصغير الساطع فوق المطعم، رفع بيلي الجريدة التي اشتراها من نابا و لم يكن لديه الوقت لقراءتها، كُتب على الصفحة الأولى عن جريمة جيزيل وينسلو.

أمل بجنون في أن يعثر رجال الشرطة على عنق حبة كرز مربوط على شكل عقدة قرب الجثة.

لكن ما لفت نظره في المقال، ما *طار* أمام عينيه بلمح البصر، هو أنــه تم بتــر اليد اليسرى لوينسلو، لقد أخذ القاتل معه تذكاراً، ليس وجهاً هذه المرة، بل يداً.

لم يذكــر لاني هــذا، لكن عندما وصل لاني إلى مرأب سيارات المشرب فيما كان بيلي يرفع الورقة الثانية عن الزجاج الأمامي لسيارة

الإكـــسبلورر، كان قد تم العثور حديثاً على جثة وينسلو، لم يتم إبلاغ مركز الشريف بكل التفاصيل.

تذكر بيلي حتماً الورقة التي تم لصقها على براده قبل سبع عشرة ســـاعة والتي حفظها في نسخته من كتاب **في زماننا**، أفادت الرسالة: "ســـيأتي شريك لي لرؤيتك عند الساعة 11:00. انتظره على المصطبة الأمامية".

في الذاكرة، استطاع أن يرى آخر سطرين من الورقة، التي كانت مربكة جداً آنذاك، لكنها لم تعد هكذا الآن.

تبدو غاضباً جداً، ألم أمدّ لك يد الصداقة؟ بلى، فعلت.

حـــتى عند قراءة الورقة للمرة الأولى، بدت السخرية والإهانة في هـــذه العـــبارة، إنها الآن تسخر منه، تتحداه للقبول أنه خسر خسارة كبيرة.

في مكان ما في منـــزله، تنتظر اليد المبتورة حتى يتم اكتشافها من قبل الشرطة.

الفصل 59

خـــرج رجـــل وامرأة، ثنائي يرتدي كل منهما سروال جينـــز وقميـــصاً قطنـــياً وقبعة بايسبول - كُتب على قبعته *بيتر بيلت* وعلى قبعـــتها *ســـيدة الطريق* - من المطعم. نظّف الرجل أسنانه بعود أسنان خشبـــي، فيما تثاءبت المرأة، وبرمت كتفيها، ومددت ذراعيها.

مـــن خلف مقود الإكسبلورر، وجد بيلي نفسه يحدّق إلى يديّ المرأة، مفكراً كم هما صغيرتان، وكم يسهل إخفاء واحدة منهما.

في العلـــية، تحت لوح في الأرضية، وراء الفرن، في الجهة الخلفية لخزانة، في الفراغ تحت إحدى المصطبتين، الأمامية أو الخلفية، في المرأب ربما، أو داخل درج في محترف الخشب، محفوظة في سائل فورمالديهايد أو لا.

إذا تم وضع يد الضحية في منـــزله، لماذا لا يكون هناك جزء من ضـــحية أخـــرى أيضاً؟ ما الذي أخذه القاتل من المرأة الصهباء، وأين وضعه؟

أراد بيلي الذهاب إلى المنـــزل على الفور، لتفتيش المنـــزل جيداً مـــن الأعلى إلى الأسفل، قد يحتاج إلى بقية الليل وكل الصباح للعثور على هذه الأدلة الجرمية المرعبة.

وإذا لم يعثر عليها، هل سيمضي بعد الظهر في البحث أيضاً؟ وهل يسعه فعل غير ذلك؟

حـــين يبدأ التحقيق، سيكون مجبراً، مهووساً بالمتابعة إلى أن يتم اكتشاف الدليل الفظيع.

حسب ساعة يده، إنها الساعة 1:36 بعد منتصف الليل، من صباح الخميس، منتصف الليل القادم بات بعد أقل من اثنتين وعشرين ساعة.

آخر قتل لي: منتصف ليل الخميس.

كان بيلي يعيش على الكافيين والشوكولاته، على الأناسين والفيسودين، إذا أمضى يومه في البحث المجنون عن أجزاء جثة، وإذا لم يتعرف على القاتل أو لم يحصل على أي راحة عند غروب الشمس، سيكون مرهقاً جسدياً وعقلياً وعاطفياً، في تلك الحال، لن يكون حارساً جيداً لباربارة.

لا يجدر به تبديد الوقت في البحث عن اليد.

بالإضافة إلى ذلك، فيما قرأ المقال في الجريدة للمرة الثانية، تذكر شيئاً آخر غير الورقة الملصقة على براده، العارضة البلاستيكية ذات الأيادي الست.

تم تثبيت المعصمين عند طرفيّ الذراعين، وحملت اليدان سكينين تم غرزهما في الحنجرة.

جرى استبدال القدمين بيدين، للإمساك بالقضيب الحديدي بصورة أفضل.

ثمة زوج ثالث من اليدين تم *بترهما* من عارضة أخرى، نتأت اليدان من ثديي العارضة ذات الأيادي الست كما لو أنه وصف فاحش *لكالي*.

بالرغم من أن العارضات الثلاث الأخرى في تلك الغرفة كشفت عن عدد طبيعي لليدين، فإن تلك التي حملت ست أيدي أوحت بأن زيليس مولع بالأيدي ربما.

في الصور الفوتوغرافية على أغطية أفلام الفيديو الإباحية، كانت أيدي النساء مكبّلة في أغلب الأحيان، بأغلال، بحبال، بأساور جلدية مربوطة بإحكام.

حقيقة قطع اليد من جيزيل وينسلو بدت ذات معنى كبير، إن لم تكن مُدينة.

بدأ بيلي يصل، يتوسع، لا يملك دليلاً كافياً لإدانة ستيف زيليس بشكل قانوني.

ألم أمدّ لك يد الصداقة؟ بلى، فعلت.

مزاح صبياني مقرف، استطاع بيلي رؤية زيليس وهو يبتسم ابتسامة متكلفة، استطاع سماعه وهو يقول تلك الكلمات، استطاع سماعه يقولها بذلك الصوت المغرور والمسرحي.

فجأة، بدا أن معظم أعمال زيليس في المشرب تنطوي على استعمال يديه، إنه بارع فيهما بطريقة غير اعتيادية، يتلاعب بحبات الزيتون وأشياء أخرى، يعرف خدع ورق اللعب، وكل الألاعيب اليدوية، يستطيع جعل قطعة نقود معدنية تمشي على أصابعه، أو جعلها حتى تختفي، إلا أن أياً من هذا لم يساعد على تهدئة بيلي.

ستصبح الساعة الثانية بعد منتصف الليل بعد قليل، إذا أراد مطاردة زيليس، يفضل فعل ذلك تحت جناح الليل.

الضماد السائل على الجرحين في يده تعرض للكثير من المشقات، تشقق عند الحواف وتمزق.

فتح القنينة، ودهن طبقة أخرى فوق الطبقة الأولى، متسائلاً إذا كان هناك من مغزى معين لكون الجرح الثاني عبارة عن مسمار في *يده*.

إذا طارد زيليس، سيتحدث معه أولاً، لا شيء أكثر، لا شيء أسوأ، فقط حديث جدي، فإذا كان زيليس هو القاتل، يفترض أن يتم طرح الأسئلة بمساعدة مسدس.

طبعاً، إذا تبين أن زيليس مجرد حقير مقرف لكنه ليس قاتلاً، لن يتفهم، سينزعج كثيراً، قد يرغب في رفع دعوى على الاعتداء عليه، أو ما شابه.

الطريقة الوحيدة لإبقائه هادئاً تقضي بإخافته، ولن يخاف على الأرجح إلا إذا ألحق به بيلي ما يكفي من الأذى للفت انتباهه وإلا إذا اعتقد أنه سيتعرض لأذى أكبر سيتصل بالشرطة.

قبل أن يطارد زيليس، عليه أن يتأكد من أنه يملك القدرة على الاعتداء على رجل بريء ومعاملته بوحشية لإبقائه صامتاً.

ثنى يده اليسرى المتصلبة قليلاً وفتحها، ثناها وفتحها.

إنه خيار غير مفروض عليه تماماً: يستطيع وضع نفسه في موقع يتيح له إيذاء رجل بريء وترهيبه؛ أو التأجيل والتفكير والانتظار حتى تتكشف الأحداث، وبالتالي تعريض باربارة لخطر أكبر.

الخيار خيارك.

لطالما كان كذلك، وسيبقى دوماً كذلك، التصرف أو عدم التصرف، الانتظار أو الانطلاق، إغلاق باب أو فتح آخر، الانسحاب من الحياة أو الدخول إليها.

لا يملك وقتاً أو أياماً لتحليل الوضع، على كل حال، سيتوه في التحليل.

بحث عن الحكمة التي تعلمها من خلال التجربة القاسية لتطبيقها في هكذا وضع، لكنه لم يعثر على أي شيء، الحكمة الوحيدة هي حكمة التواضع.

في النهاية، يستطيع اتخاذ قراره استناداً إلى نقاوة حافزه لا أكثر، وحتى الحقيقة الكاملة للحافز قد لا تكون معروفة.

شغّل المحرك، ابتعد عن محطة الشاحنات.

لم يـــستطع إيجـــاد القمر، ذلك الهلال الفضي الصغير، لا بد أنه وراءه.

الفصل 60

عــــند الـــساعة 2:09 دقائق، ركن بيلي السيارة في شارع سكني هـــادئ، علـــى مـــسافة مبنـــيين ونـــصف المبنى من منـــزل ستيف زيليس.

تـــدلت الأطراف السفلية لأكاليل هندية تحت مصابيح الشوارع، وعـــبر الأرصـــفة المضاءة بمصابيح صفراء، تلألأت ظلال الأوراق مثل كنـــز من النقود المعدنية السوداء.

مشى من دون استعجال، كما لو أنه مصاب دائم بالأرق، اعتاد على التجول خلال هذه الساعات الليلية.

كانـــت نوافذ المنازل مظلمة، ومصابيح المصطبات مطفأة، ما من سيارات مارّة.

إلا أن الأرض عكست الآن الكثير من الحرارة المخزنة من النهار، لم يكن الليل حاراً ولا بارداً.

ربط كيس الخبز المفتول حول حزامه، فتدلى الكيس المغطى بفوطة مطـــبخ، على جانبه الأيسر. توجد فيه أغلال يدوية، وقنينة رذاذ مايس الكيميائية، ومسدس.

تدلى من حزامه على وركه الأيمن قراب ويلسون كومبات، وضع فيه المسدس المحشو بالخراطيش.

سحب قميصه القطني من تحت سروال الجينـــز، لجعله فضفاضاً، فأضفى القميص القطني المسدس نوعاً ما، من مسافة تتعدى بضع أقدام، في الليل، لن يتعرف أحد إلى شكل السلاح تحت القميص.

عندما وصل إلى منـــزل زيليس، انعطف من الرصيف نحو الممشى ثم سار قرب جدار أشجار الأكالبتوس خلف المرأب.

في الجهة الأمامية، كان المنـــزل مظلماً وراء الستائر المسدلة، لكن الأضـــواء ســـطعت برفق من بعض النوافذ الخلفية؛ غرفة نوم زيليس، حمامه.

وقف بيلي في الفناء الخلفي، متأملاً المنـــزل، منتبهاً إلى كل شيء في اللـــيل، جعل عينيه تنسيان مصابيح الشوارع للتكيف بصورة أفضل مع الظلمة.

أدخـــل قميصه القطني تحت سروال الجينـــز مرة جديدة، للنفاذ بسهولة أكبر إلى المسدس الموضوع في القراب.

أخرج من جيبه زوجاً من قفازات اللاتكس، ووضعه في يديه.

المـــنطقة المجاورة هادئة، المنازل غير بعيدة كثيراً عن بعضها، عليه توخـــي الحذر بشأن الضجة حين يدخل، سيُسمع الصراخ، تماماً مثل صوت الرصاص غير المخمد بوسادة.

تـــرك الفناء، ووصل إلى المصطبة المسقوفة، حيث يوجد كرسي واحد من الألمنيوم، لا طاولة، لا منقل للشواء، لا نباتات مزروعة.

عبر الألواح في الباب الخلفي، استطاع رؤية المطبخ مضاء بساعتين رقميتين، واحدة على الفرن وواحدة على المايكروويف.

أرخـــى كـــيس الخبز عن حزامه، وسحب منه قنينة رذاذ *مايس*، خففـــت فـــوطة المطبخ من صوت صليل الأغلال، برم طرف الكيس وعقده مجدداً حول حزامه.

خـــلال زيارتـــه الأولى، سرق مفتاحاً احتياطياً من درج المطبخ، أدخـــل المفـــتاح بحذر، وبرمه ببطء، خشي أن يصدر القفل ضجيجاً وينتقل ذلك الصوت في المنـــزل الصغير.

فـــتح الباب بسهولة، همست المفصلات بالصدأ لكنها لم تصدر صوت صرير.

دخل المنـــزل، وأغلق الباب وراءه.

لدقيقة، لم يتحرك، باتت عيناه متكيفتين جيداً مع الظلمة، لكنه لا يزال بحاجة إلى توجيه نفسه.

خفق قلبه بقوة، عزا ذلك جزئياً ربما إلى أقراص الكافيين.

فـــيما عبر المطبخ، صرّ النعل المطاطي لحذائه الرياضي على أرضية الفينيل، جفل لكنه تابع طريقه.

كانـــت غرفة الجلوس مكسوة بسجادة، تقدم خطوتين صامتتين قبل أن يتوقف مجدداً لتوجيه نفسه.

افتقاد منـــزل زيليس إلى المفروشات كان نعمة، فلا توجد عوائق للقلق بشأنها في الظلمة.

سمـــع بيلـــي أصواتاً خفيفة، فأصغى بحذر، لم يستطع أن يفهم ما تقوله الأصوات.

توقـــع أن يجد زيليس وحده، ولذلك فكر في الانسحاب، لكن عليه معرفة المزيد.

ثمـــة نور خفيف أضاء مدخل الردهة المؤدية من غرفة الجلوس إلى غـــرفتيّ الـــنوم والحمام، ضوء السقف مطفأ، لكن ضوءاً خفيفاً دخل الطرف البعيد من الأبواب المفتوحة للغرفتين الأخيرتين.

تواجه هاتان الغرفتان بعضهما عند الردهة، تذكر بيلي أن الغرفة التي إلى اليسار هي الحمام، فيما غرفة نوم زيليس إلى اليمين.

بـــالحكم علـــى النبرة، وليس على المحتوى، ظن أنه سمع صوتين؛ صوت رجل وصوت امرأة.

أمسك بقنينة رذاذ *مايس* في يده اليمنى ووضع الإبهام تحت الزناد.

شعر بفطرته أنه يجدر به استبدال قنينة *مايس* بالمسدس. لكن لا يمكن الوثوق في الفطرة أكثر من المنطق.

إذا باشر بإطلاق النار على زيليس، لن يصل إلى أي مكان، عليه تعطيله أولاً، وليس جرحه، تحرك عبر الردهة، ومرّ أمام الغرفة التي جلست فيها العارضات البلاستيكية.

كلما استطاع سماع الصوتين بصورة أفضل، تحسنت نوعيتهما أيضاً، إنهما ممثلان يؤديان دوراً سيئاً، أوحت نوعية الصوت الرديئة أن الصوتين صادران عبر مذياع تلفاز رخيص.

بكت المرأة فجأة بسبب ألم، وإنما أيضاً بطريقة مثيرة، كما لو أن ألمها هو متعة أيضاً.

كاد بيلي يصل إلى نهاية الممر حين غادر ستيف زيليس الحمام، إلى اليسار.

حافي القدمين، عاري الصدر، مرتدياً سروال بيجاما، كان يفرك أسنانه بفرشاة، مستعجلاً لرؤية ماذا يعرض على التلفاز في غرفة النوم.

اتسعت عيناه حين لمح بيلي، تحدث عبر فرشاة الأسنان: "ماذا تفـ..."

رش بيلي رذاذ مايس عليه.

رذاذ مايس الخاص بالشرطة فعال جداً لمسافة عشرين قدماً، بالرغم من أن مسافة الخمس عشرة قدماً تعتبر مثالية، وقف ستيف زيليس على مسافة سبع أقدام من بيلي.

رذاذ المايس المنتشر في الفم والأنف يقمع نوعاً ما المعتدي، يمكنك إيقافه بقوة وسرعة فقط في حال رش الرذاذ على عينيه.

تدفق رذاذ مايس على كلتا العينين، مباشرة، ودخل أيضاً في منخريه.

أفلت زيليس فرشاة الأسنان، وغطى عينيه بيديه، في وقت متأخر جـــداً، واســـتدار بعيداً عن بيلي، ارتطم بطرف الردهة، أصدر صوت أنين، وانحنى إلى الأمام، وتمدد، وأخرج رغوة معجون الأسنان من فمه كما لو أنه كلب مسعور.

كـــان الحريق في عينيه شديداً، اتسع بؤبؤيه بقوة لكنه رأى فقط إشـــراقاً مشوشاً، و لم يتعرف حتى إلى شكل المعتدي عليه، ولا حتى إلى ظلـــه، احتـــرقت حنجرته أيضاً بالمادة الكيميائية التي دخلت عبر أنفه، وحاولت رئتاه رفض كل نَفَس كريه استنشقه.

انخفـــض بيلي صوبه، ووضع أحد الأغلال حول ساق البيجاما، وأخرج القدم اليسرى للرجل من تحته.

تمدد في الهواء بحثاً عن جدار، أو فتحة باب، أو أي شيء يمكن أن يوفر الدعم، و لم يجد أي شيء، فسقط زيليس بقوة كافية بحيث ارتجت الأرضية الخشبية.

بـــين الشهيق والزفير، بين نوبات الاختناق، صرخ من عينيه، من الأ لم، من الوخز الساطع.

ســـحب بيلـــي مـــسدس عيار 9ملم، وضربه على جانب رأسه بالأسطوانة، بقوة كافية للإيذاء.

صرخ زيليس فقال بيلي: "اهدأ وإلا ضربتك مجدداً، بقوة أكبر".

عندما شتمه زيليس، ضربه بيلي بالمسدس مرة جديدة، ليس بقوة مثلما وعد، وإنما كان ذلك كافياً لإيصال الفكرة.

قـــال بيلـــي: "حسناً. حسناً، لن ترى جيداً لمدة عشرين دقيقة، نصف ساعة..."

اســـتمر زيليس في الشهيق بسرعة، والزفير بسرعة، فقاطع بيلي قائلاً: "الله، أنا أعمى، أنا..."

"إنه فقط رذاذ مايس".

"هل أنت مجنون؟".

"مايس، لا يوجد ضرر دائم".

أصرّ زيليس: "أنا أعمى".

"ابقَ هنا".

"أنا أعمى".

"لست أعمى، لا تتحرك".

"اللعنة، هذا مؤلم".

خـــرج سيل من الدم من فروة رأس زيليس، لم يضربه بيلي بقوة كبيرة، لكن البشرة انخدشت.

قـــال بيلي: "لا تتحرك، أصغِ إليّ، تعاون معي لننتهي من ذلك، سيكون كل شيء على ما يرام".

أدرك أنـــه يـــواجه زيليس كما لو أن براءة الرجل هي استنتاج سابق.

حتى الآن، بدا أن هناك طريقة لفعل ذلك، طريقة لفعل ذلك حتى لو تبين أن ستيف زيليس ليس القاتل، والخروج بأقل أضرار ممكنة.

لكـــن في خـــياله، لم يكن اللقاء الأول بينهما عنيفاً جداً، رشة مايس، أصبح زيليس فجأة معطلاً، مطيعاً، خطة سهلة جداً.

بالكاد بدأا، وبدا الوضع خارجاً عن السيطرة.

حـــاول بيلـــي بشدة أن يبدو واثقاً من نفسه فقال: "لا تريد أن تتأذى، استلقِ إذاً هناك وأنا أقول لك ماذا تفعل".

شهق زيليس.

سأل بيلي: "هل تسمعني؟".

"اللعنة، نعم، وكيف لا أسمعك؟".

"هل تفهمني؟".

"أنا أعمى ولست أصم".

دخل بيلي الحمام، وأوقف الماء الجاري من الصنبور، ونظر حوله.

لم يـــرَ ما هو بحاجة إليه، لكنه رأى شيئاً لا يريد رؤيته: انعكاسه في المـــرآة، لقد توقع أن يبدو مسعوراً، أو حتى خطيراً، وهكذا كان، توقـــع أن يـــبدو مخيفاً، وهكذا كان، لكنه لم يتوقع أن يرى الشر فيه، لكنه هكذا كان.

الفصل 61

على شاشة التلفاز في غرفة النوم، ثمة رجل عارٍ يضع قناعاً أسود ويضرب ثديي امرأة بمجموعة أسواط جلدية.

أطفأ بيلي التلفاز: "كنت أفكر كيف تتعاطى مع حبات الليمون التي تقطعها إلى شرائح للمشروبات، وأريد التقيؤ".

اســـتلقى زيليس عاجزاً في الردهة وراء الباب المفتوح، فلم يسمع بيلي أو تظاهر بأنه لم يسمعه.

لا يملك السرير لوحة رأسية أو لوحة للقدمين، الفراش وضع على إطار معدني بعجلات.

بمــــا أن زيليس لا يهتم بالأناقة المتمثلة بالشراشف والكشاكش، كان إطار السرير مكشوفاً.

أخرج بيلي الأغلال اليدوية من كيس الخبز. وضع أحد الأساور حول الدرابزون السفلي لإطار السرير.

قال: "انهض على يديك وركبتيك، وازحف في اتجاه صوتي".

بقـــي زيلـــيس علـــى أرضية الردهة، وكان يتنفس بسهولة وإنما بصوت مرتفع، سقط بقوة على السجادة، أدت دموعه المنسابة إلى نقل رذاذ مايس إلى شفتيه، ودخل الطعم المرّ إلى فمه.

ذهب بيلي إليه، وضغط بفوهة المسدس على أسفل عنقه.

أصبح زيليس ساكناً جداً، وزفر بنعومة.

قال بيلي: "هل تعرف ما هذا؟".

"يا رجل".

"أريدك أن تزحف إلى غرفة النوم".

"اللعنة".

"أقصد ذلك فعلاً".

"حسناً".

"عند أسفل السرير".

بالـــرغم من أن الضوء الوحيد في الغرفة كان منبعثاً من مصباح خافت قرب السرير، أغمض زيليس عينيه نصف إغماضة لإبعاد الضوء الساطع عنه فيما زحف إلى السرير.

توجب على بيلي إرشاده إلى الطريق مرتين. قال له: "اجلس على الأرض، واســـند ظهرك عند أسفل السرير، هذا جيد، بيدك اليسرى، تحـــسس قـــربك، ثمة مجموعة من الأغلال اليدوية متدلية من درابزون السرير، ها هي".

دمعـــت عينا زيليس كثيراً، ملأ السائل منخريه. "لا تفعل بـــي ذلك أيها الرجل. لماذا؟ ما هذا؟".

"دع معصمك الأيسر في السوار الفارغ".

قال زيليس: "لا أحب ذلك".

"لست مجبراً على ذلك".

"ماذا ستفعل بـــي؟".

"ضع السوار الآن".

بعـــدما تحـــسس زيلـــيس السوار، انحنى بيلي للتأكد من القفل المـــزدوج، الذي كان آمناً، لا يزال زيليس عاجزاً عن الرؤية كما يجب للاندفاع بقوة أو لفعل شيء ما.

يـــستطيع ســـتيف جرّ السرير حول الغرفة إذا أراد، يستطيع قلبه رأســـاً على عقب مع بعض الجهد، وقلب الفراش، وفك الإطار المعدني

بصبر إلى أن يتمكن من تحرير نفسه من الأغلال. لكنه لا يستطيع التحرك بسرعة.

بدت السجادة متسخة، لن يجلس بيلي أو يركع عليها.

ذهب إلى غرفة الطعام وراء المطبخ وعاد مع الكرسي الوحيد الموجود في المنزل، وضعه أمام زيليس، بعيداً عن متناوله، وجلس عليه.

"بيلي، أنا أموت هنا".

"لن تموت".

"أنا خائف بشأن عينيّ، لا أزال عاجزاً عن الرؤية".

"أريد أن أطرح عليك بعض الأسئلة".

"أسئلة؟ هل أنت مجنون؟".

اعترف بيلي: "أشعر أنني كذلك تقريباً".

سعل زيليس، تحول السعال إلى نوبة متسلسلة، ومن ثم إلى اختناق مخيف، لم يكن يتظاهر بأي من ذلك.

انتظر بيلي.

حين استطاع زيليس التكلم، كان صوته خشناً، ومرتجفاً: "أنت تخيفني كثيراً بيلي".

"جيد، أريدك الآن أن تخبرني أين تضع مسدسك".

"مسدس؟ ولماذا أحتاج إلى مسدس؟".

"المسدس الذي قتلته به".

"قتلته؟ قتلت من؟ لم أقتل أحداً، الله، بيلي".

"قتلته في جبينه".

"لا. أبداً، ليس أنا أيها الرجل". غرقت عيناه بالدموع الناجمة عن رذاذ مايس، بحيث لم تظهر خيبة الأمل فيهما، غمز وغمز، محاولاً الرؤية. "أيها الرجل، إذا كنت تمزح معي...".

قال بيلي: "أنت الجوكر، وليس أنا، أنت المؤدي".

لم يتفاعل زيليس مع الكلمة.

ذهب بيلي إلى المنضدة الليلية وفتح الدرج.

سأل زيليس: "ماذا تفعل؟".

"أبحث عن المسدس".

"لا يوجد مسدس".

"لم يكن هناك واحد قبلاً، عندما لم تكن هنا، لكن يوجد واحد الآن. تبقيه قريباً منك".

"جئت إلى هنا قبلاً؟".

"أنـــت منغمس في كل أنواع القذارة، أليس كذلك ستيف؟ أريد أن أستحم بالماء المغلي بعدما أغادر".

فتح بيلي الخزانة في أسفل المنضدة الليلية، وبعثر الأغراض فيها.

"ماذا ستفعل إذا لم تعثر على مسدس؟".

"قد أسمّر يدك بالأرض، وأقطع أصابعك الواحد تلو الآخر".

بدا زيليس كما لو أنه على وشك البكاء فعلاً. "أوه، يا رجل، لا تقل أشياء مجنونة كهذه، ماذا فعلت لك؟ لم أفعل أي شيء لك".

أبقـــى بيلي باب الخزانة مفتوحاً وقال: "عندما كنت في منـــزلي، ستيف، أين وضعت اليد المبتورة؟".

أطلق زيليس صرخة، وبدأ يهزّ رأسه ويقول: "لا، لا، لا، لا".

رف الخـــزانة فـــوق الملابـــس المعلقة كان مباشرة على مستوى العيـــنين. فيما تحسس بيلي الرف بحثاً عن المسدس، قال: "ماذا خبأت أيضاً في منـــزلي؟ ماذا قطعت من المرأة الصهباء؟ أذن؟ ثدي؟".

قال زيليس وهو يرتجف: "لا أفهم شيئاً".

"حقاً؟".

"أنت بيلي وايلز! بالله عليك".

عاد إلى السرير، بحثاً عن المسدس، فتحسس بيلي المساحة الفاصلة بين الفراش وقاعدة السرير، وما كان ليجرؤ على فعل ذلك لو لم يضع القفاز.

كرر زيليس: "أنت بيلي وايلز!".

"ما يعني ماذا؛ هل تظن أنني لا أعرف كيف أهتم بنفسي؟".

"لم أفعل أي شيء، بيلي، أي شيء".

ذهب بيلي إلى الجهة الأخرى من السرير، وقال: "حسناً، أعرف كيف أهتم بنفسي، حسناً، حتى لو كنت لا أعرف كيف أرن الجرس".

تعرف زيليس إلى كلماته وقال: "لم أكن أقصد أي شيء بذلك، هل اعتبرتها إهانة؟ لم أكن أقصد ذلك على كل حال".

بحث بيلي بين الفراش وقاعدة السرير مجدداً، لا شيء.

"أقول أشياء، بيلي، تعرف كيف أنا، أنا أمزح دوماً، أنت تعرفني، اللعـــنة، بيلـــي، أنا أحمق، تعرف أنني أحمق، أتحدث طوال الوقت، ولا أصغي نصف الوقت إلى نفسي".

عاد بيلي إلى الكرسي وجلس مجدداً. "هل يمكنك أن تراني بصورة أفضل ستيفي؟".

"ليس كثيراً، لا، أحتاج إلى بعض المناديل".

"استخدم شرشف السرير".

بـــيده الطليقة، أفلت زيليس الشرشف الرقيق الذي كان مقحماً تحـــت الفـــراش، حرر زاوية من الشرشف، ومسح وجهه بها، ونظف أنفه.

قال بيلي: "هل تملك فأساً؟".

"أوه، يا الله".

"هل تملك فأساً، ستيفي؟".

"لا".

"كن صادقاً معي ستيفي".

"بيلي، لا".

"هل تملك فأساً؟".

"لا تفعل هذا".

"هل تملك فأساً ستيفي؟".

"نعم" اعترف زيليس، وخرجت منه صرخة خوف.

قال بيلي: "إما أنت ممثل محترف أو أنك بالفعل أحمق حقير ستيف زيليس"، وبدأ الاحتمال الثاني يقلقه فعلاً.

الفصل 62

سأل بيلي: "عندما تقطع العارضات البلاستيكية في الفناء الخلفي، هل تحلم أنها نساء حقيقيات؟".

"إنها مجرد عارضات بلاستيكية".

"هل تحب فرم البطيخ لأنه أحمر من الداخل؟ هل تحب رؤية اللب الأحمر وهو يتطاير، ستيفي؟".

بدا زيليس مذهولاً. "ماذا؟ هل أخبرتك عن هذا؟ ماذا أخبرتك؟".

"من تقصد بهي ستيفي؟".

"الحقيرة العجوز المجاورة لي، سيليا رينولدز".

قال بيلي: "لست في موقع للقول عن أي كان إنها حقيرة عجوز، لست في موقع على الإطلاق".

بدا زيليس معاقباً. أومأ برأسه. "أنت محق، أنا آسف؟ إنها فقط وحيدة، أعرف، ولكن، بيلي، إنها امرأة عجوز مزعجة، لا تستطيع الاهتمام بشأنها وحسب، إنها تقف دوماً على النوافذ، تراقب من وراء الستائر، لا يمكنك الخروج إلى الفناء، إلا وتراقبك".

"هناك الكثير من الأمور التي تفعلها والتي لا تريد أن يراها الناس، أليس كذلك، ستيفي؟".

"لا. لا أفعل أي شيء، أريد فقط بعض الخصوصية، لذا، قدّمت لها مرتين استعراضاً بالفأس، فعلت أشياء مجنونة، فقط لإخافتها".

"إخافتها".

"فقط لجعلها تهتم بشؤونها، فعلت ذلك ثلاث مرات فقط، وفي المرة الثالثة جعلتها تعرف أنه استعراض، جعلتها تعرف أنني أراها تراقبني".

"كيف جعلتها تعرف؟".

"لست فخوراً بذلك الآن".

"أنا واثق أن هناك الكثير من الأمور التي لست فخوراً بها، ستيفي".

قال زيليس: "وجهت لها الإصبع، في المرة الثالثة، قطعت عارضة بلاستيكية ورأس بطيخ - علماً أنني لا أتخيلهما أي شيء سوى حقيقتهما - وذهبت إلى السياج، ووجهت لها الإصبع".

"قطعت كرسياً ذات مرة".

"نعم. قطعت كرسياً. ما المشكلة؟".

"الكرسي الذي أجلس عليه الآن هو الكرسي الوحيد الذي تملكه".

"كنت أملك كرسيين، أحتاج فقط إلى واحد، كان مجرد كرسي".

* * *

قال بيلي: "تحب رؤية النساء متألمات".

"لا".

"هل وجدت هذه الليلة بالصدفة الأفلام الإباحية تحت السرير؟ هل جاء شخص ما بالصدفة لوضع الأفلام هناك، ستيفي؟ هل يجدر بنا الاتصال *بأوركين*، والطلب منهم لإرسال فرقة للقضاء على شخص ما؟".

"لسن نساء حقيقيات".

"لسن عارضات".

"أقصد أهن لا يتألمن فعلاً، إهن يمثلن".

"لكنك تحب المشاهدة".

لم يقل بيلي أي شيء، أخفض رأسه.

بطـــريقة ما، كان الأمر أسهل مما توقع بيلي، ظن أن طرح أسئلة مزعجة والإصغاء إلى شخص آخر يبر نفسه سيكون مزعجاً جداً بحيث لـــن يتحمل إجراء استجواب مثمر، إلا أنه أحس بدل ذلك بالقوة التي استمد منها الثقة بالنفس، والرضى، السهولة فاجأته، السهولة أخافته.

"إنها أفلام مزعجة جداً، ستيفي، إنها مقرفة جداً".

قال زيليس بهدوء: "نعم، صحيح، أعرف".

"هـــل مـــثلت يوماً ما **أفلاماً** من هذا النوع وأذيت النساء بهذه الطريقة؟".

"لا، يا الله، لا".

"أنت تهمس ستيفي".

رفـــع ذقنه عن صدره، لكنه لم ينظر إلى بيلي. "لم أؤذِ أبداً امرأة بهذه الطريقة".

"أبداً؟ ألم تؤذِ أبداً امرأة بهذه الطريقة؟".

"لا، أقسم".

"كيف أذيتهن إذاً ستيفي؟".

"لم أؤذِ أحداً، لا أستطيع".

"أنت ولد بريء، أليس كذلك؟".

"أحب... مشاهدتهن".

"مشاهدة النساء وهنّ يتألمن".

"أحب المشاهدة، اتفقنا؟ لكنني أشعر بالخجل".

"لا أظن أنك خجل على الإطلاق".

"بلى، أشعر بالخجل، ليس خلال حضور الفيلم، وإنما بعد".

"بعد ماذا؟".

"بعـــد... المشاهدة. ليس هذا... أوه، أيها الرجل، ليس هذا ما أريد أن أكونه".

"ومن تريد أن تكون ستيفي؟".

"لا أعرف".

"سمّ لي شخصاً، شخصاً تريد أن تكونه".

قال زيليس: "لا أحد ربما".

أصرّ بيلي: "كيف أنت خجل؟".

"رمـــيت أفلام الفيديو، في العديد من المرات، حتى إنني أتلفتها، لكـــن بعـــدها، تعـــرف... بعدها، أشتري أفلاماً جديدة. أحتاج إلى المساعدة للتوقف".

"هل بحثت يوماً عن المساعدة، ستيفي؟".

لم يجب زيليس.

ألح بيلي: "هل بحثت يوماً عن المساعدة؟".

"لا".

"إذا كنت تريد فعلاً أن تتوقف، لماذا لم تطلب المساعدة؟".

"ظننت أنني أستطيع التوقف وحدي، ظننت أنني أستطيع".

بدأ زيليس يبكي، لا تزال عيناه تلمعان من رذاذ مايس، لكن هذه الدموع كانت حقيقية.

* * *

"لماذا فعلت هذه الأشياء بالعارضات في الغرفة الأخرى، ستيفي؟".

"لن تفهم".

"نعم، أنا مجرد الأحمق بيلي وايلز، الذي لا يعرف أي شيء، لكن جربني على كل حال".

"لا يعني ذلك أي شيء، ما فعلته بها".

"لـــشيء لا يعـــني أي شيء، خصصت حتماً الكثير من الوقت والطاقة له".

"لن أتحدث عن ذلك، ليس هذا، لن أفعل". لم يكن يرفض بقدر ما كان يتوسل.

"هـــل يجعلك ذلك تتورد خجلاً، ستيفي؟ هل يهين أحاسيسك الرقيقة؟".

راح زيلـــيس يبكي باستمرار، لا بكاء متقطعاً، بل سيلاً متواصلاً من دموع الذل والخجل.

قال: "فعل ذلك ليس مماثلاً للتحدث عنه".

أوضح بيلي: "تقصد ما تفعله بالعارضات البلاستيكية".

"يمكنك... يمكنك تفجير دماغي، لكنني لن أتحدث عن الموضوع، لن أفعل".

"حـــين تشوه العارضات البلاستيكية، هل تشعر بالإثارة ستيفي؟ هل تكون مشبعاً بالإثارة؟".

هزّ بيلي رأسه، وأخفضه.

ســـأل بيلي: "هل تقصد أن فعل ذلك بها والتحدث عن الموضوع هما أمران مختلفان؟".

"بيلي، بيلي، *أرجوك*. لا أريد أن أسمع نفسي أتحدث عن الموضوع".

"لأنـــه حين تفعل ذلك، يكون مجرد شيء تفعله. لكن إذا تحدثت عنه، يكون شيئاً من حقيقتك".

تعابير زيليس أكدت أن بيلي فهم المسألة جيداً.

لا يمكن كسب الكثير من الاعتداء على العارضات البلاستيكية، إنها ما هي عليه، يمكن لفرك وجه ستيف زيليس في الانحراف أن يفضي إلى عكس النتيجة المرجوة.

لم يحصل بيلي بعد على ما يحتاج إليه، ما جاء به إلى هنا لإثباته.

شــعر فــوراً بالــتعب واليقظة، بالحاجة إلى النوم وإنما بتوق إلى الكافــيين، في بعض الأحيان، آلمته يده المثقوبة، بدأ مفعول الفيسودين يختفي.

بــسبب الإرهاق المترافق مع تأثير المواد الكيميائية، قد لا يجري الاستجواب بذكاء كاف.

إذا كان زيليس هو القاتل، يكون عبقرياً في التمثيل العاطفي.

لكــن هذه هي حال المرضى الاجتماعيين: عناكب مفترسة مع موهبة فريدة في إعطاء صورة مقنعة لكائن بشري معقد تحجب الحقيقة المقرفة للنية الشريرة.

قــال بيلــي: "حين تفعل ما تفعله بالعارضات البلاستيكية، حين تشاهد أفلام الفيديو المقرفة تلك، هل تفكر في جوديث كيسلمان؟".

خــلال هذا اللقاء، تفاجأ زيليس أكثر من مرة، لكن هذا السؤال صدمه، اتسعت عيناه الحمراوان نتيجة تأثير رذاذ المايس، أصبح وجهه شاحباً، كما لو أنه تلقى ضربة.

الفصل 63

كـــان زيليس مقيداً بالسرير، جلس بيلي حراً على الكرسي وإنما أحسّ أكثر فأكثر أنه عالق في شرك مرواغة سجينه.

"ستيفي، طرحت عليك سؤالاً".

"مـــا هذا؟" قال زيليس بجدية ظاهرية وحتى بشيء من التحدي المحق.

"ماذا، ماذا؟".

"ماذا جئت تفعل هنا؟ بيلي، أنا لا أفهم ماذا تفعل هنا".

أصرّ بيلي: "هل تفكر في جوديث كيسلمان؟".

"كيف تعرف عنها؟".

"كيف تظن أنني أعرف؟".

"تجـــيب عن الأسئلة بأسئلة، لكن يفترض بـــي أن أملك أجوبة حقيقية لكل شيء".

"مسكين ستيفي، ماذا عن جودي كيسلمان؟".

"حصل شيء لها".

"ماذا حصل لها ستيفي؟".

"حـــصل ذلـــك في الجامعـــة، قبل خمسة أعوام أو خمسة أعوام ونصف".

"هل تعرف ماذا حصل لها ستيفي؟".

"لا أحد يعرف".

قال بيلي: "لكن أحداً يعرف".

"لقد اختفت".

"كما في استعراض العاب الخفة؟".

"لقد اختفت".

"كانت فتاة رائعة، أليس كذلك؟".

قال زيليس: "أحبها الجميع".

"إنها فتاة رائعة، بريئة جداً، الأبرياء هم الأكثر لذة، أليس كذلك ستيفي؟".

قطّب زيليس وجهه وقال: "لذة؟".

قـــال بيلي: "الأبرياء هم الأكثر نضارة والأكثر إرضاء، أعرف ما حصل لها"، وأراد الإيحاء بأنه يعرف أن زيليس خطفها وقتلها.

ارتعد ستيف زيليس في كل جسمه لدرجة أن الأغلال طقطقت بقوة على إطار السرير المعدني.

سُرّ بيلي بردّ الفعل وقال: "أعرف، ستيفي".

"ماذا؟ ماذا تعرف؟".

"كل شيء".

"ما حصل لها؟".

"نعم، كل شيء".

كان زيليس جالساً وظهره على السرير، فيما تمددت ساقاه على الأرض أمامه، سحب الآن فجأة ركبتيه إلى صدره. "أوه يا الله". صدر منه صوت أنين يأس واضح.

قال بيلي: "بالضبط كل شيء".

ارتخى فم زيليس، وأصبح صوته مرتعداً. "لا تؤذني".

"ماذا تظن أنني سأفعل بك ستيفي؟".

"لا أعرف، لا أريد التفكير".

"تملـــك الكثير من الخيال، الكثير من الموهبة في ما يتعلق بابتكار الطرائق لإيذاء النساء، لكنك فجأة لا تريد التفكير؟".

بـــات زيليس يرتجف الآن بشكل مستمر وقال: "ماذا تريد مني؟ ماذا أستطيع أن أفعل؟".

"أريد التحدث عما حصل لجوديث كيسلمان".

عندما بدأ زيليس يبكي مثل ولد صغير، نهض بيلي عن الكرسي، أحس أن شيئاً مهماً سيحصل.

"ستيفي؟".

"اذهب بعيداً".

"تعرف أني لن أذهب، دعنا نتحدث عن جودي كيسلمان".

"لا أريد ذلك".

"أظـــن أنـــك تـــريد". لم يقترب بيلي من زيليس، وإنما جلس القرفصاء أمامه بحيث أصبح تقريباً على مستواه. "أظن أنك تريد كثيراً التحدث عن الموضوع".

هـــزّ بيلي رأسه بعنف. "لا أريد، لا أريد، إذا تحدثنا عن الأمر، ستقتلني حتماً".

"لماذا تقول هذا ستيفي؟".

"أنت تعرف".

"لماذا تقول إنني سأقتلك؟".

"لأنني أعرف الكثير، أليس كذلك؟".

حدّق بيلي إلى سجينه، محاولاً قراءته.

"أنت فعلتها"، قال زيليس بزمجرة.

"فعلت ماذا؟".

"قتلتها، ولا أعرف لماذا، لا أفهم، لكنك الآن ستقتلني".

أخذ بيلي نفساً عميقاً، وكشّر في وجهه. "ماذا فعلت؟".
اكتفى زيليس بالبكاء.
"ستيفي، ماذا فعلت بنفسك؟".
سحب زيليس ركبتيه إلى صدره، مدد الآن ساقيه مجدداً.
"ستيفي؟".
كان سروال بيجاما الرجل داكناً بالبول، لقد بال في ثيابه.

الفصل 64

بعض الوحوش مرضى أكثر مما هم مجرمون، ملاذهم ليس ملاذاً بالمعنى الحقيقي للكلمة لأنهم لا يمكثون فيه، يختبئون في جحور قذرة، مع عدد ضئيل من المفروشات وأغراض تجسد افتقادهم إلى حس الجمال، يأملون فقط في الانغماس في أوهامهم المريضة وإطلاق العنان لحياتهم الوحشية بأكبر سلام يستطيعون العثور عليه، وهذا أمر نادر جداً، لأنهم يعذبون أنفسهم حتى عندما يتركهم بقية العالم وحدهم.

قاوم بيلي الاستنتاج أن ستيف زيليس هو واحد من هذه السلالة المريضة.

للاعتراف أن زيليس ليس مريضاً اجتماعياً مهووساً بالقتل، يجدر ببيلي القبول أنه تم تبديد الكثير من الوقت الثمين في البحث عن ذئب، يفترض أن يكون مفترساً لكن تبين أنه مجرد كلب جبان.

الأسوأ من ذلك أنه إذا لم يكن زيليس القاتل، لا يعرف بيلي أبداً ماذا سيفعل بعد ذلك، بدت كل الأدلة متجهة نحو استنتاج واحد، الأدلة الظرفية.

الأسوأ من كل شيء، إذا لم يكن القاتل أمامه الآن، يكون قد وصل إلى هذه الوحشية من دون فائدة.

نتيجة ذلك، استمر لبرهة في استجواب أسيره ومضايقته، لكن بدا فجأة أن النقاش بينهما ليس نقاشاً بقدر ما هو قمع، لا يجد مصارع الثيران أي متعة عندما يخسر الثور روح الهجوم ولا ينقض على الراية الحمراء.

أخفى بيلي سريعاً يأسه المتزايد، وجلس على الكرسي مرة جديدة، وتطرق إلى المسألة الأخيرة، على أمل أن يظهر فخ في الوقت الذي لا يتوقعه.

"أين كنت الليلة، ستيف؟".

"تعرف، ألا تعرف؟ كنت في المشرب، أعمل مكانك".

"حتى التاسعة مساء، قال جاكي إنك عملت بين الثالثة والتاسعة لأنه توجب عليك إنجاز أمور قبل ذلك وبعده".

"صحيح، كان لديّ عمل".

"أين كنت بين التاسعة مساء ومنتصف الليل؟".

"ولماذا يهم ذلك؟".

طمأنه بيلي: "هذا يهم، أين كنت؟".

"ستؤذيني... ستقتلني على كل حال".

"لن أقتلك، و لم أقتل جوديث كيسلمان، أنا واثق تماماً من أنك أنت من قتلها".

"*أنا*؟". بدا ذهوله صادقاً مثل أي ردّ فعل آخر كشف عنه منذ أن بدأ ذلك.

أخبره بيلي: "أنت بارع فعلاً في ذلك".

"بارع في ماذا؟ قتل الناس؟ أنت مجنون حقيقي! لم أقتل أبداً أياً كان".

"ستيف، إذا استطعت إقناعي بعذر قوي يبرر غيابك بين التاسعة مساء ومنتصف الليل، ينتهي كل شيء، أخرج من هنا، وتصبح حراً".

بدا زيليس مشككاً. "بهذه السهولة؟".

"نعم".

"بعد كل ذلك؛ بهذه السهولة؟".

"يمكن، حسب العذر المبرر".

قلق زيليس بشأن جوابه.

بدأ بيلي يظن أنه يحاول استنباطه.

ثم قال زيليس: "ماذا لو أخبرتك أين كنت، وتبين أنه لهذا السبب أنـــت هنا، لأنك تعرف أصلاً أين كنت، وتريد أن تسمعني أقول ذلك كي تسخر مني".

قال بيلي: "لا ألاحقك".

"حـــسناً، لا بأس، كنت مع امرأة، لم أسمعها أبداً وهي تذكرك، لكن إذا كان لديك شيء ضدها، ماذا ستفعل بـــي؟".

نظر إليه بيلي غير مصدق. "كنت مع امرأة؟".

"لم أكـــن معهـــا، ليس في السرير، كان مجرد موعد، مجرد عشاء متأخـــر، تأخر قليلاً لأنه توجب عليّ العمل مكانك، كان هذا موعدنا الثاني".

"من هي؟".

حـــاول زيليس حماية نفسه من غضب بيلي الغيور فقال: "أماندا بولارد".

"ماندي بولارد؟ أعرفها، إنها فتاة لطيفة".

قال زيليس بحذر: "صحيح، إنها فتاة لطيفة".

يملـــك آل بولارد كروماً ناجحة، إنهم يزرعون العنب لأحد أهم تجـــار الـــشراب في الـــوادي، ماندي في عمر العشرين تقريباً، جميلة، وودودة، إنهـــا تعمل مع العائلة، وبالحكم على كل الأدلة، إنها حكيمة كفاية للغوص في علاقة أفضل من هذه.

حرّك بيلي نظره في غرفة النوم الرديئة، من أشرطة الأفلام الإباحية الموضوعة على الأرض قرب التلفاز إلى كومة الغسيل القذر في الزاوية.

قال زيليس: "لم تأتِ أبداً إلى هنا، خرجنا فقط في موعدين، أبحث عن مكان أفضل، عن شقة جميلة، أريد التخلص من كل هذه الأشياء، بدء انطلاقة نظيفة".

"إنها فتاة محترمة".

وافق زيليس بحماسة: "صحيح، أعتقد أنه إذا بقيت معي، أستطيع ترتيب أموري، والانطلاق من جديد، وفعل الأمور الصحيحة".

"عليها أن ترى هذا المكان".

"لا، لا، بالله عليك بيلي، ليس هذا ما أريد أن أكون عليه، أريد أن أكون أفضل لأجلها".

"إلى أين ذهبتما لتناول العشاء؟".

ذكر زيليس اسم مطعم. ثم قال: "وصلنا إلى هناك عند التاسعة وعشرين دقيقة تقريباً، غادرنا عند الحادية عشرة والربع لأننا كنا الشخصين الوحيدين في المطعم آنذاك".

"بعد ذلك؟".

"قمنا بجولة في السيارة، جولة جميلة، لا أقصد أننا أوقفنا السيارة، ليست من هذا النوع، قمنا فقط بجولة، وتحدثنا واستمعنا إلى الموسيقى".

"حتى أي وقت؟".

"أوصلتها إلى المنزل بعد الواحدة بقليل".

"وعدت إلى هنا".

"نعم".

"ووضعت فيلماً لرجل يضرب امرأة بالسوط".

"حسناً، أعرف من أنا، لكنني أعرف أيضاً ما أستطيع أن أكونه".

ذهب بيلي إلى المنضدة الليلية، ورفع الهاتف، للهاتف حبل طويل، أحضره إلى زيليس، "اتصل بها".

"ماذا؟ الآن؟ بيلي، تجاوزت الساعة الثالثة بعد منتصف الليل".

"اتــصل بها، أخبرها كم استمتعت بالأمسية، وكم هي مميزة، لن تمانع إذا أيقظتها من أجل ذلك".

قلق زيليس: "لم نصل بعد إلى هذا النوع من العلاقة، ستجد الأمر غريباً".

قال بيلي: "اتصل بها، ودعني أصغي إلى الحديث وإلا وضعت هذا المسدس في أذنك وفجرت دماغك، ما رأيك؟".

ارتجفت يدا زيليس بقوة لدرجة أنه أخطأ في طلب الرقم مرتين، نجح في المرة الثالثة.

جلس بيلي قرب أسيره، ووضع فوهة المسدس على رأس زيليس بحيث لا تراوده أفكار أخرى، وأصغى إلى ماندي بولارد وهي تجيب عبر الهاتف، وتعبر عن دهشتها لسماع صوت حبيبها الجديد في مثل هذه الساعة.

قالــت مانــدي لزيليس: "لا تقلق، لم توقظني، أنا مسلتقية هنا أحدق إلى السقف".

ارتعــش صوت زيليس، لكن ماندي افترضت أنه متوتر بسبب اتــصاله بهــا عند هذه الساعة المتأخرة والتعبير لها عن عاطفته بطريقة مباشرة أكثر مما فعل قبلاً.

لبضع دقائق، أصغى بيلي إليهما وهما يتذكران الأمسية – العشاء والجولة في السيارة – ثم أشار إلى زيليس لإنهاء المكالمة.

لقــد أمضت ماندي بولارد الأمسية مع هذا الرجل، وهي ليست فتاة سيئة تخرج مع الشباب السيئين.

بما أن ستيف زيليس تناول العشاء مع ماندي، لا يمكن أن يكون هــو القاتــل الذي وضع جثة رالف كوتل في غرفة جلوس لاني وقام بتسمير يد بيلي في أرضية الممر.

الفصل 65

أعاد بيلي المسدس إلى القراب عند وركه، وقال: "سأتركك مقيداً بالسرير".

بدا ستيف زيليس مرتاحاً لابتعاد السلاح عنه، وإنما بقي حذراً.

نـــــزع بيلـــي شـــريط الهاتف من الجدار ومن الهاتف، وربطه، ووضـــعه في كـــيس الخبز. "لا أريدك أن تتصل بأحد إلى أن يمرّ وقت كاف حتى تهدأ وتفكر في ما سأقوله لك".

"لن تقتلني؟".

"لن أقتلك، سأترك مفتاح الأغلال على رف في المطبخ.

"حسناً. المطبخ. لكن كيف سيساعدني ذلك؟".

"بعـــدما أرحل، يمكنك إبعاد الفراش عن الإطار المعدني، الإطار مثبت ببراغٍ، أليس كذلك؟".

"نعم، لكن...".

"يمكنك فك البراغي بأصابعك".

"إنها صدئة ربما..."

"انـــتقلت للعيش هنا قبل ستة أشهر، لن تصدأ خلال ستة أشهر، إذا كانـــت محكمـــة جـــداً، حاول برم أعمدة السرير والتلاعب قليلاً بالوصلات، ستتدبر الأمر بنفسك".

"أســـتطيع تدبـــر الأمر، طبعاً، لكنني لا أزال لا أفهم لماذا فعلت ذلـــك، لا يمكن أن تصدق أنني قتلت جوديث كيسلمان، مثلما قلت، أعرف أنه لا يمكن أن تصدق ذلك، ما هذا؟".

وضـــع بيلي علبة رذاذ مايس في كيس الخبز، وقال: "لن أشرح، ولا تريد أن تعرف، صدقني، لا تريد".

قـــال زيلـــيس باكياً: "انظر إليّ هنا، لا تزال عيناي تؤلماني، أنا جـــالس في بركة، بالله عليك، هذا مخزٍ، تضربني بهذا المسدس، وتقطع فروة رأسي، وتؤذيني، بيلي".

طمأنـــه بيلـــي: "كان يمكن أن يكون الأمر أسوأ، كان يمكن أن يكون أسوأ بكثير".

قـــرر زيليس اعتبار هذه الكلمات بمثابة تهديد، فأصبح مسترضياً: "حسناً، لا بأس، أسمعك، أنا هادئ".

"حسب مدى إحكام البراغي، ستحتاج إلى ساعة على الأقل، أو ربمـــا إلى ســـاعتين، للإفلات من السرير، مفتاح الأغلال سيكون في المطبخ، بعدما تستعمله، باشر في توضيب أغراضك".

جفل بيلي. "ماذا؟".

"اتصل بجاكي وقل له إنك ستترك العمل".

"لا أريد أن أترك العمل".

"هـــيا ستيف، لن نرى بعضنا كل يوم، ليس بعد ما عرفت عنك وليس بعد ما تعرفه عني، يجب أن ترحل".

"إلى أين؟".

"لا أبالي إلى أين، ولكن ليس في منطقة نابا".

"أحب المكان هنا، بالإضافة إلى ذلك، لا أملك المال للانتقال في الوقت الحاضر".

قـــال بيلي: "اذهب إلى المشرب ليلة الجمعة للحصول على آخر راتـــب لك، سأترك لك مغلفاً مع جاكي، سيحتوي على عشرة آلاف دولار نقداً، سيساعدك ذلك للانطلاق من مكان ما".

"لم أفعل أي شيء، لكن حياتي كلها انقلبت رأساً على عقب، هذا ليس عدلاً".

"أنت محق، هذا ليس عدلاً، لكن هكذا هي الأمور، لا تساوي مفروشاتك أي شيء، يمكنك رميها، وضب أغراضك الشخصية واخرج من البلدة ليلة الجمعة".

"أستطيع الاتصال بالشرطة، أستطيع رفع دعوى".

"حقاً؟ تريد أن يرى رجال الشرطة مسرح الجريمة، فتحضرهم إلى هنا لرؤية الأفلام الإباحية والعارضات البلاستيكية في الغرفة الثانية؟".

بالرغم من أن زيليس لا يزال خائفاً، عثر على جرأة كافية للرد: "من مات وجعلك ...؟".

هزّ بيلي رأسه. "ستيف، أنت مريض، ستأخذ العشرة آلاف دولار، وتسعد أنك لا تزال على قيد الحياة، وتخرج من هنا، ثمة أمر آخر؛ لا تتصل أبداً بماندي بولارد مجدداً".

"انتظر دقيقة، لا يمكنك...".

"لا تتصل بها، لا ترها، أبداً".

"بيلي، تستطيع أن تحدث كل الفرق لي".

"إنها فتاة لطيفة، إنها فتاة محترمة".

"هذا ما أقصده، أعرف أنني أستطيع تحسين أموري إذا...".

قال بيلي: "المرأة الجيدة تستطيع تبديل الرجل، ولكن ليس رجلاً قذراً بقدرك. إذا اتصلت بها أو رأيتها، حتى ولو لمرة واحدة، سأعرف، وسأجدك، هل تصدق ذلك؟".

لم يقل زيليس أي شيء.

قال بيلي: "وإذا لمستها، فليساعدني الله، سأقتلك، ستيف".

عـــندما وضع بيلي يده على مقبض المسدس الموضوع في القراب، قال زيليس: "هاي، حسناً، فهمتك".

"جيد، سأرحل الآن".

قال زيليس: "هذا المكان مقرف على كل حال، كروم العنب هي رديف لكلمة مزرعة، ولست مزارعاً".

قال بيلي عند الباب: "لا، لست كذلك".

"لا يوجد حماسة هنا".

"وافق بيلي: "لا توجد إثارة".

"اللعنة عليك".

قال بيلي: "رحلة موفقة أيها الرفيق".

الفصل 66

بعدما ابتعد مسافة نصف ميل فقط عن منـــزل زيليس، كان بيلي يرتجف بشدة بحيث اضطر إلى توقيف سيارة الإكسبلورر للسيطرة على نفسه.

تحت الضغط، أصبح أكثر شيء يكرهه، لبرهة، أصبح جون بالمر.

إن دفـــع عشرة آلاف دولار لزيليس لا يجعل ذلك بيلي أقل من بالمر أيضاً.

عـــندما توقفت الرجفة، لم يشغل محرك السيارة لأنه لم يعرف إلى أين يذهب من هنا، شعر أنه على شفير الهاوية.

أراد العودة إلى المنـــزل، ولكن ما من شيء هناك سيساعده على إيجاد حل لهذا اللغز.

أراد العـــودة إلى المنـــــزل فقط ليكون في المنـــزل، تعرف إلى الحاجة المألوفة للانعزال، حين يصبح في المنـــزل، يستطيع الجلوس على مقعد النحت أمام كتل السنديان، وليذهب العالم إلى الجحيم.

لكن هذه المرة، سيذهب إلى الجحيم معه، لا يستطيع أخذ باربارة معـــه إلى المنـــزل، وإذا تركها وحدها وفي خطر، يكون قد قضى على عذره الوحيد للعيش.

لقـــد دفعـــته الأحداث إلى الحركة، إلى عجلة الحياة، لكنه شعر بالـــرغم من ذلك بالانعزال واليأس، طوال وقت طويل، لم يزرع جيداً وليس لديه الآن أي شيء لحصاده، أصدقاؤه مجرد معارف، بالرغم من أن الحياة مجتمع، لا يملك مجتمعاً.

في الواقــع، كــان وضعه أسوأ من الانعزال، الأصدقاء الذين هم مجــرد معارف لم يعودوا الآن حتى معارف بقدر ما باتوا مشتبهاً بهم، لقد حفر لنفسه حفرة من الوحدة المليئة بالرهاب الفظيع.

ابــتعد عــن حافة الطريق، وانطلق بيلي في السيارة من دون وجهة محــددة في رأسه، بقدر ما يعي، مثل العصفور، تحول ليلاً، وهو ينوي فقط البقاء عالياً من دون الوقوع في اليأس المطلق قبل أن يظهر بصيص أمل.

عرف عن آيفي إيلجين في زيارة واحدة وجيزة إلى منــزلها أكثر ممــا عــرف عنها طوال السنوات التي عملا فيها معاً، وبالرغم من أنه يــستطلف آيفي، وجدها الآن أكثر غموضاً مما كانت عندما لم يكن يعرفها.

لا يظن أنها تملك أي ارتباط بالقاتل المرتكب لهذه الجرائم، إلا أن تجربته الخاصة مع أمه وأبيه ذكّرته أنه لا يمكن الوثوق بأي كان.

هــاري أفاكــيان هــو رجل لطيف ومحامٍ جيد؛ وإنما أيضاً أحد الأوصياء الثلاثة على السبعة ملايين دولار، وهذا إغراء لا يمكن تجاهله، قــبل باربارة، زار بيلي منــزل هاري مرة واحدة فقط، لكن باربارة أقامت علاقة اجتماعية معه، ذهبا إلى منــزل هاري لتناول العشاء ست مــرات خلال سنة؛ لكن منذ الغيبوبة، لم يقم بيلي بزيارة هاري في أي مكان باستثناء مكتبه.

يعرف هاري أفاكيان، لكنه لا *يعرفه*.

تــوجه عقــل بيلــي إلى الدكتور فيرييه، وهذا جنون، فالأطباء المشهورون في المجتمع لا يقتلون الناس.

إلا أن الدكــتور فيريــيه أراد أن يــتعاون بيلي معه لقتل باربارة مانــدل، عــبر نــزع أنبوب الغذاء من معدتها، وتركها تموت، تركها تتضور جوعاً حتى الموت في غيبوبتها.

إذا توجب عليك التقرير عن شخص آخر- عن شخص لا يشعر بـــألم جلي- فإن نوعية حياتها غير كافية لتبرير نفقات الأموال عليها، فكم هو سهل نـــزع الأنبوب بدل الضغط على الزناد؟

ســـخافة، إلا أنه لا يعرف عن فيرييه شيئاً نسبة إلى ما كان يعرفه عـــن والده، وبالرغم من كل الأمور التي *ظن* بيلي أنه يعرفها، استعمل والده ذلك المفتاح الفولاذي الكبير كما لو أنه لعبة خبيثة.

جون بالمر، إنه رجل يظهر جلياً حبه للقوة، لكن شعوره الداخلي بقي غامضاً بقدر كوكب بعيد.

كلما فكّر بيلي أكثر في الأشخاص الذين يعرفهم، توصل أكثر إلى احـــتمال أن القاتل قد يكون غريباً تماماً، وأصبح بالتالي أكثر اضطراباً من دون هدف.

طلب من نفسه أن يبالي ولا يبالي، أن يبقى ساكناً.

لامتلاك ما لا تملكه، عليك المرور عبر طريق التخلي.

وما لا تعرفه هو الشيء الوحيد الذي تعرفه.

قاد السيارة، وحاول الاستسلام لذلك السكون الداخلي، ووصل فجـــأة، من دون نية واعية، إلى محطة الشاحنات، ركن السيارة حيث ركنها قبلاً، أمام المطعم.

آلمته يده اليسرى، عندما ثناها ثم فتحها، أحسّ أنها بدأت تتورم، لقد اختفى مفعول الفيسودين، لا يعرف ما إذا كان يجدر به تناول حبة أخرى، لكن عليه تناول بعض الموترين.

كـــان جائعـــاً، لكن فكرة تناول لوح آخر من السكاكر أفقدته الشهية، احتاج إلى جرعة كافيين، وإنما أراد شيئاً أكثر من الحبوب.

بعـــدما خبأ المسدس تحت المقعد الأمامي للسيارة، بالرغم من أن النافذة المكسورة تبقي السيارة غير آمنة، دخل إلى المطعم.

عند الساعة 3:40 بعد منتصف الليل، وجد الطاولات فارغة.

جلـــس أربعـــة سائقي شاحنات أمام المشرب، وكانوا يشربون القهوة ويتناولون فطيرة.

ساعدتهم نادلة بدينة لها عنق غليظ ووجه جميل، في ثنايا شعرها، المـــصبوغ بالأســـود اللماع، وضعت أشرطة زينية صفراء على شكل فراشات.

جلس بيلي أمام المشرب.

الفصل 67

حسب اللصيقة الموضوعة على بذلتها، كان اسم النادلة جاسمين، نادت بيلي *عزيزي*، وقدّمت إليه القهوة السوداء وفطيرة الليمون مثلما طلب.

خاضـت جاسمين مع سائقي الشاحنات حديثاً شيقاً عندما استقر بيلـي بيـنهم، حسب الحديث، فهم أن أحد الرجال يدعى كورلي، والـثاني آرفين، لم يوجه أحد الكلام إلى الرجل الثالث إلا بالقول *أنت* وكشف الرابع عن سن ذهبية في الجهة الأمامية لفمه.

في البداية، كانوا يتحدثون عن قارة أتلانتس التائهة. اقترح آرفين أن تـدمير تلك الحضارة الأسطورية أصبح من الماضي لأن الأتلانتيين عملوا في الهندسة الوراثية وابتكروا وحوشاً قضت عليهم.

تحول الحديث بسرعة من أتلانتس إلى الاستنساخ وأبحاث الحمض النووي، ثم ذكر كورلي أنه في جامعة برنستون أو هارفارد، أو يال، في إحدى تلك الجامعات اللعينة، يحاول العلماء ابتكار حيوان مقزز بدماغ بشري.

قالـت جـاسمين: "لست واثقة من أن الخبر جديد، دعوني أقول لكـم، فعلـى مـرّ السنوات، التقيت بالعديد من الحيوانات المقززة البشرية".

تساءل آرفين: "وما الفائدة من حيوان مقزز بشري؟".

قال *أنت*: "فقط ليكون موجوداً".

"أين؟".

أوضح *أنت*: "مثلما يوجد جبل هناك فيقوم بعض الناس بتسلقه، يحـــاول أشخاص آخرون ابتكار حيوان مقزز بشري فقط للإثبات أنهم يستطيعون فعل ذلك".

سأل صاحب السن الذهبية: "وما الجدوى من ذلك؟".

قـــال كـــورلي: "لا أظن أنهم يريدون فعل هذا من أجل جدوى معينة".

قال صاحب السن الذهبية: "يقصدون *شيئًا* من وراء ذلك".

أعلـــنت جاسمين: "ثمة أمر أكيد وهو أن الذين يعتقدون بمذهب الفاعلية سيصابون بالجنون".

سأل آرفين: "أي معتقدون بمذهب الفاعلية؟".

قالـــت: "ناشـــطون من نوع ما، عند ابتكار حيوانات مقززة بأدمغـــة بـــشرية، تكون هذه نهاية إمكانية تناول المارتاديلا أو اللحم المقدد".

قـــال كورلي: "لا أفهم لماذا، فالمارتاديلا واللحم المقدد يأتيان من الحيوانات المقززة التي لا تملك أدمغة بشرية".

تـــوقعت جاسمين: "ستكون مسألة تعاطف، كيف ستبرر تناول المارتـــاديلا واللحم المقدد فيما يذهب أولادك إلى المدرسة مع حيوانات مقززة ذكية ويدعونها إلى منازلهم للنوم عندهم".

قال *أنت*: "لن يحصل ذلك أبداً".

وافق آرفين: "أبداً".

قالـــت جـــاسمين: "مـــا سيحصل هو أن أولئك الحمقى الذين يتلاعبون بالجينات البشرية يفعلون شيئاً غبياً وسيقتلوننا جميعاً".

لم يعارضـــها أي مـــن سائقي الشاحنات الأربعة، و لم يعارضها بيلي أيضاً.

أحس صاحب السن الذهبية أن العلماء يفكرون في عمل ما من أجل الحيوان المقزز البشري. "لا ينفقون ملايين الدولارات على شيء لمجرد المتعة، لا يفعلها أولئك الأشخاص".

عارضت جاسمين: "أوه بلى، فالمال لا يعني لهم شيئاً، ليس مالهم".

قال كورلي: "إنه مال الضرائب، مالك ومالي".

أطلق بيلي تعليقاً أو اثنين، ولكنه أصغى مبدئياً، إذ كان معتاداً على هذه الأحاديث، والغريب أنه يرتاح إليها.

كانت القهوة غنية، ثمة نكهة ليمون رائعة في الفطيرة مع مارنغ لذيذ على سطحها.

تفاجأ بمدى الهدوء الذي شعر به، جلس فقط أمام المشرب، وأصغى.

قال صاحب السن الذهبية: "إذا أردت الحديث عن التبديد الأحمق للمال، انظر إلى تلك الوحشية التي يشيدونها قرب الطريق العام.

سأل آرفين: "ماذا، تقصد قبالة المشرب، ذلك الشيء الذي سيتم إحراقه ما إن ينتهوا منه؟".

ذكّرهم جاسمين: "أوه، لكن هذا فنّ، ألا يدوم الفنّ طويلاً؟".

أخبرهم كورلي: "سيجني الرجل ملايين الدولارات من بيع نسخ عن تلك اللوحة الجدارية، لقد حصل على مئة إعلان ترويجي".

سأل صاحب السن الذهبية: "هل يستطيع أي كان أن يسمي نفسه فناناً؟ ألا يجدر بهم اجتياز فحص أو ما شابه؟".

قال كورلي: "إنه يسمي نفسه فناناً من نوع خاص".

قال آرفين: "مؤخرتي خاصة".

أخبرته جاسمين: "اسمع عزيزي، لا تعتبر ذلك إهانة لكنني لا أرى مؤخرتك خاصة".

قال كورلي: "يسمي نفسه فنان *أداء*".

"ماذا يعني ذلك؟".

قال كورلي: "ما فهمته هو أن الفن لا يدوم، إنه يهدف إلى إنجاز شيء ما، وعند إنجاز الشيء، ينتهي".

تساءل *أنت*: "بماذا ستمتلئ المتاحف بعد مئة عام؟ مساحات فارغة؟".

قالت جاسمين: "لن تبقى هناك متاحف، المتاحف هي للناس، لن يكون هناك ناس، مجرد حيوانات مقززة بشرية".

أصبح بيلي ساكناً جداً، جلس وفنجان القهوة على شفتيه، وإنما عجز عن شربه.

سألت جاسمين: "عزيزي، هل من خطب ما؟".

"لا، لا، أنا بخير، في الواقع، أريد فنجاناً آخر، هل تقدمون القهوة في فناجين كبيرة؟".

"هناك فنجان ثلاثي في وعاء بلاستيكي، نسميه الجرعة الكبيرة".

قال بيلي: "أعطني واحداً منها".

الفصل 68

ثمـــة مختلى خارج المطعم يعمل بمثابة مقهى إنترنت، ست محطات عمل توفر وصلات بشبكة الإنترنت.

جلـــس ســـائق شاحنة أمام كمبيوتر، وضغط على لوحة المفاتيح والفـــأرة، وثبت نظره على الشاشة، إنه يتحقق ربما من مواعيد الشحن في شركته أو يلعب لعبة إنترنت أو يتصفح موقعاً ما.

كان الكمبيوتر مثبتاً على طاولة فيها مساحة للطعام، ثمة فوهة في الطاولة اتسعت لفنجان القهوة الخاص ببيلي.

لا يعـــرف اسم موقع فاليس، ولذلك بدأ بالبحث عن مواقع فن الأداء عموماً إلى أن وصل إلى الموقع www.valisvalisvalis.com.

يملـــك الفنان موقعاً متقناً ومغرياً، شاهد بيلي فيديو ملوناً للجسر الأسترالي الذي ثبت عليه فاليس عشرين ألف بالون أحمر، راقبها وهي تنفجر كلها دفعة واحدة.

عـــرض عينات لمشاريع فردية، كانت تلك المشاريع مفرطة وغير متناسقة كثيراً، حاملة شعار الفن العصري.

في مقابلـــة عاصفة، قال فاليس إن كل فنان رائع هو *صياد سمك*، لأنهـــم يـــريدون "لمس أرواح، وحتى *التقاط* أرواح" الذين يشاهدون أعمالهم.

ساعد فاليس عامة الناس على فهم مغزى كل واحد من مشاريعه عـــبر تـــوفير ثلاثة سطور من *الإرشاد*. احتوى كل سطر على ثلاث كلمات، قرأ بيلي العديد منها.

أخـــرج مـــن محفظته الورقة التي طبعت عليها الأسطر الستة التي كانـــت موجودة في المستندات الثلاثة على القرص الأحمر الذي وجده في يد رالف كوتل، فتح الورقة، وسطّحها على الطاولة.

السطر الأول- *لأنني أنا أيضاً صياد سمك.*

السطر الخامس- *آخر قتل لي: منتصف ليل الخميس*

السطر السادس- *انتحارك: بعد فترة وجيزة*

كـــان الـــسطر الـــثاني والثالث والرابع مشابهة جداً *للإرشاد* الـــذي قدمـــه فالـــيس لمساعدة المعجبين به على فهم أعماله بصورة أفضل.

السطر الأول في هذه الإرشادات أشار إلى *أسلوب* المشروع، إلى *الأداء*، في هذه الحال، الأسلوب هو *وحشية، عنف، موت.*

الـــسطر الثاني يختصر *التقنيات* التي ينوي الفنان تنفيذ العمل الفني بها، مع بيلي، التقنية هي *حركة، سرعة، تأثير.*

السطر الثالث وصف *الوسيلة* أو *الوسيط* الذي يقترحه فاليس، في الأداء الحالي، الوسيلة هي *لحم، دم، عظم.*

في بعض الأحيان، يكون أنجح القتلة مشردين متجولين يسافرون كثيراً بين نشاطاتهم الإجرامية.

لا يعتـــبر القاتل القتل بمثابة لعبة، في جزء منه، يعتبره بمثابة أداء، بالنسبة إليه، الجوهر هو *فنه.*

من مواقع فن الأداء عبر شبكة الوب، عرف بيلي أن فنان الموت هذا خجل دوماً من الكاميرا، زعم فاليس إن الفن أهم من الفنان، نادراً ما تم تصويره.

أتاحـــت لـــه مـــثل هـــذه الفلسفة شهرة وثروة؛ وإنما درجة من الغفلة.

عرض الموقع www.valisvalisvalis.com صورة رسمية، تبين أن هذه الصورة ليست صورة حقيقية بل رسماً بقلم الرصاص أنجزه الفنان بنفسه.

عن قصد ربما، لم يكن الرسم مطابقاً تماماً لمظهر فاليس الحقيقي، لكـــن بيلـــي تعـــرف إليه فوراً، إنه الرجل الذي شرب شراب الشعير الفنلـــندي، بعـــد ظهر يوم اثنين، وجلس يستمع بصبر إلى نيد بيرسال وهو يخبره قصة موت هنري فريدل بسبب تمثال الحديقة.

أنت رجل مثير، بيلي باركيب.

حـــتى آنذاك، عرف القاتل اسم شهرة بيلي، بالرغم من ادعائه بجهلـــها، لا بد أنه كان يعرف كل شيء عنه، لأسباب وحده فاليس يفهمهـــا، تم التعـــرف إلى بيلـــي وايلز، والبحث عنه، واختياره لهذا *الأداء*.

الآن، بالإضـــافة إلى الخيارات الأخرى تحت الصورة، لاحظ بيلي عبارة تقول: "مرحبا بيلي".

بالرغم من أنه لم يعد يملك القدرة للشعور بالدهشة، حدق بيلي إلى العبارة لدقيقة.

أخيراً، حرّك الفأرة، ونقر عليها.

اختفت الصورة، وظهرت على الشاشة تعليمات: *مستوى خاص؛ ادخل كلمة السر.*

شرب بيلي القهوة، ثم كتب وايلز، وضغط على زر الإدخال.

حصل فجأة على جواب: "أنت تستحق العناء".

بقـــيت هـــذه الكلمـــات الثلاث أمامه لعشر ثوانٍ، ثم أصبحت الشاشة فارغة.

فقط هذا ولا شيء آخر.

عادت الصورة المرسومة بقلم الرصاص، لم تعد الخيارات الموجودة تحتها تشمل عبارة *مرحبا بيلي*.

الفصل 69

لم تـــسطع أي أضـــواء على اللوحة الجدارية الكبيرة. العجلات، المحركات، العربات، الوصلات، الأنابيب والصفائح الغريبة تضاءلت في الظلمة.

الـــصورة البـــشرية العملاقة، المعذبة والمحاصرة، كانت معتمة في كفاحها الصامت.

انتصبت الخيمة الصفراء والأرجوانية في أغوار مظللة، لكن ضوءاً خفيفاً سطع من نوافذ المنـــزل المتحرك الكبير.

توقـــف بيلـــي أولاً على جانب الطريق السريع وتأمل العربة من بعيد.

الفـــنانون والحرفيون الستة عشر الذين يشيدون اللوحة الجدارية تحت إشراف فاليس لا يعيشون في الموقع، تم حجز غرف لهم في فندق فينيارد هيلز إن لمدة ستة أشهر.

إلا أن فالـــيس يعيش هناك طوال مدة المشروع، المنـــزل المتحرك مزود باللوازم الكهربائية والمائية.

يـــتم إفراغ خزانات المياه المبتذلة مرتين أسبوعياً بواسطة *شركة غلين للتعقـــيم*. كان غلين غورتنر فخوراً بشهرته نتيجة هذا التعاون، بالرغم من أنه اعتبر اللوحة الجدارية "شيئاً يجب التخلص منه على كل حال".

لم يعرف بيلي ما إذا كان يجدر به التوقف أو متابعة السير، فأبعد الإكـــسبلورر عـــن حافة الطريق، وتوجه نحو منخفض بسيط في مرج أخضر، توجه نحو الطرف البعيد من المنـــزل المتحرك.

كان الباب المؤدي إلى حجرة السائق مفتوحاً، ثمة حصيرة ترحيب ملونة موضوعة على الأرض تحت الدرجات.

توقـــف، أبقى لبرهة محرك السيارة قيد العمل، ووضع قدماً على المكبح فيما القدم الأخرى فوق دواسة الوقود.

كانـــت معظـــم الـــنوافذ غـــير مغطاة، لم يستطع رؤية أحد في المساحات الداخلية.

وحدها النوافذ الموجودة في الجهة الخلفية، التي كانت ربما في غرفة الـــنوم، كـــشفت عن ستائر، توهجت المصابيح هناك، أيضاً، وكانت مغطاة بمادة ذهبية.

استنتج بيلي أن زيارته مرتقبة بلا شك.

اشمـــأز من قبول هذه الدعوة، أراد الابتعاد لكنه ليس لديه مكان للذهاب إليه.

بقـــيت أقل من عشرين ساعة حتى منتصف الليل، حين سيحصل *القتل الأخير*، لا تزال باربارة في خطر.

بـــسبب الأدلـــة التي زرعها فاليس إضافة إلى ما هو موجود على الجـــثث، يبقى بيلي مشتبهاً به في الاختفاءات التي ستعرف بها الشرطة قريباً: لاني، رالف كوتل، المرأة الشابة الصهباء.

كانـــت يد جيزيل وينسلو في مكان ما في منـــزله أو مرأبه، أو مدفونة في فنائه.

ركـــن ســـيارة الإكسبلورر في الموقف، وأطفأ الأضواء الأمامية، لكنه لم يوقف عمل المحرك.

ثمة سيارة لينكولن نافيغاتور مركونة قرب الخيمة المظلمة، إنها بلا شك السيارة التي يستعملها فاليس للتنقلات المحلية.

أنت تستحق العناء.

وضع بيلي زوجاً جديداً من قفازات اللاتكس.

شعر ببعض التيبس، ولكن ليس بالألم في يده اليسرى.

تمـــنى لـــو أنه لم يتناول الفيسودين في منـــزل لاني، على عكس معظـــم مـــسكنات الألم الأخرى، يترك الفيسودين العقل صافياً، لكنه خـــشي أنه إذا تعكر إدراكه ورد فعله، ولو حتى بنسبة نصف في المئة، سيواجه الموت حتماً.

قـــد تعـــوض أقراص الكافيين والقهوة عن ذلك، وكذلك فطيرة الليمون.

أوقـــف عمـــل المحرك، في اللحظة الأولى التي تلت، بدت الليلة صامتة مثل منـــزل أصمّ.

نسبة إلى عدم إمكانية توقع عدوه، استعد للقتل وغير القتل.

وبالنـــسبة إلى اختـــيار السلاح الأكثر فتكاً، فضل المسدس عيار 0.38 ملم لأنه معتاد عليه، فقد قتل به قبلاً.

خرج من سيارة الإكسبلورر.

ارتفعت أصوات حشرات الزيز لكسر الصمت، وكذلك أصوات الضفادع، الرايات على الخيمة رفرفت بفعل نسيم الهواء العليل.

توجه بيلي إلى الباب المفتوح للمنـــزل المتحرك، وقف في الضوء لكنه تردد في صعود الدرج.

من الداخل، عبر مكبرات الصوت العالية الجودة في النظام الصوتي المـــتطور للمنـــــزل المتحـــرك، قال صوت: "يمكن السماح لباربارة بالعيش".

تسلق بيلي الدرجات.

احـــتوت حجـــرة القيادة على كرسيين متحركين أنيقين للسائق ومساعده، كانا منجدين بما بدا جلد نعام.

أُغلــق الباب، الذي يتم التحكم فيه عن بعد، وراء بيلي، افترض أنه تم إقفاله أيضاً.

في هــذه العربة الشديدة التطور، ثمة حاجز يفصل حجرة القيادة عن مكان السكن، ثمة باب مفتوح آخر في انتظاره.

دخــل بيلــي إلى مطــبخ مــذهل، كل شيء بالألوان القشدية والعــسلية، أرض رخامية، خزانات خشبية لها أطراف دائرية متموجة مــثل خزانات السفن، الاستثناءات تمثلت في رفوف الغرانيت السوداء والأدوات الكهربائية الفولاذية.

من مكبرات الصوت المثبتة في السقف، قدّم صوت فاليس الرخيم والإكراهي اقتراحاً: "أستطيع تحضير فطور باكر لك إذا شئت".

اســتمرت الأرض الرخامية في غرفة طعام يمكن أن تتسع بسهولة لستة أشخاص، أو حتى لثمانية، كان سطح الطاولة المصنوع من خشب القــيقب مطعمــاً بخشب أسود لماع وخشب أبيض مثل العظام، على شكل شريط متشابك؛ ما كشف عن براعة يدوية مذهلة ومكلفة.

عبر قنطرة في حاجز آخر، دخل بيلي إلى غرفة جلوس كبيرة.

بلغ سعر الأقمشة خمسمئة دولار على الأقل لليارد المربع الواحد، فــيما ســعر السجادة الضعف على الأقل، المفروشات عصرية، لكن التماثــيل البرونــزية اليابانية العديدة هي نماذج فاخرة على عمل حقبة مايجي.

حــسب بعــض الزبائن الدائمين للمشرب، الذين قرأوا عن هذا المنــــزل المتحــرك عبر شبكة الإنترنت، بلغت كلفته أكثر من مليون ونصف مليون دولار، لا يشمل ذلك سعر التماثيل البرونــزية.

يطلق أحياناً على مثل هذه العربات اسم *اليخوت الأرضية*، وهذه العبارة غير مبالغ فيها.

الـــباب المغلق في الطرف الآخر من غرفة الجلوس يفضي بلا شك إلى غرفة نوم وحمام، إنه مغلق، لا بد أن فاليس موجود في تلك الغرفة، يصغي، يراقب، وهو مسلح تماماً.

استدار بيلي صوب ضجيج خفيف خلفه.

في جهـــة غرفة الجلوس، تم تزيين حاجز غرفة الطعام بطارة جميلة مـــن الخيـــزران المغزول، التفت هذه الألواح بصورة تدريجية لتختفي وتكشف عوضاً عنها عن لوحات عرض سرية.

أسدلت الآن ستائر من الفولاذ المعدني الملون لتغطية كل النوافذ، وإنما بحركة سريعة مفاجئة ومذهلة.

لا يظن بيلي أن هذه الستائر زخرفية فقط، فاختراقها أمر صعب لا بل مستحيل.

خـــلال مرحلة التصميم والتركيب، تم اعتبارها بلا شك وسائل *سلامة*.

فيما استمرت ألواح الطارة المتصاعدة بكشف المزيد من لوحات العرض، صدح صوت فاليس من مكبرات الصوت مجدداً: "يمكنك رؤية مجمـــوعتي، علمـــاً أن عدداً ضئيلاً من الأشخاص فعلوا ذلك، إلا أنه ستتاح لك فرصة مغادرة هذا المكان حياً بعد رؤيتها، استمتع بها".

الفصل 70

كانـــت الألــواح الداخلية للخزانات وراء ألواح الطارة منجدة بالحرير الأسود، ثمة أوعية زجاجية بحجمين شكّلت مجموعة.

كانت قاعدة كل وعاء زجاجي مثبتة بإحكام على رفها، ثمة ملزم أسود لماع يمسك بالغطاء العلوي، لتثبيته بالجهة السفلية للرف العلوي.

لا تتحـــرك هـــذه الأوعية أبداً عند انتقال المنـــزل المتحرك، لا تتمايل على الإطلاق.

كـــان كل وعاء مضاء بخيوط ألياف بصرية تحته، بحيث توهجت المحـــتويات أمـــام الستارة الخلفية من الحرير الأسود، وفيما كان ضوء المـــصابيح في غـــرفة الجلوس خافتاً الآن لتعزيز العرض، فكّر بيلي في أحواض السمك.

إلا أن كل واحد من هذه الأوعية الزجاجية الصغيرة لم يحتوِ على سمك وإنما على ذكرى جريمة، طافت وجوه وأيدٍ في سائل الحفظ.

كان كل وجه شبحياً، مثل يسروع شاحب يسبح باستمرار، ولا يمكن تمييز القسمات بين وجه وآخر.

كانـــت الأيدي مختلفة عن بعضها، وتحدثت عن كل ضحية أكثر مما فعلت الوجوه، وكانت أقل ترويعاً مما افترض، غريبة وأثيرية.

قـــال فاليس: "أليست جميلة؟" وبدا نوعاً ما مثل هال 9000 في فيلم 2001: أوديسيه الفضاء.

قال بيلي: "إنها حزينة".

قال فاليس: "يا لها من كلمة غريبة اخترتها، إنها تفرحني".

"إنها تملأني باليأس".

قال فاليس: "اليأس جيد، يمكن أن يكون اليأس نظير حياة واحدة ونقطة الانطلاق لدخول حياة أخرى، حياة أفضل".

لم يبتعد بيلي عن المجموعة بسبب الخوف أو الاشمئزاز، افترض أنه مراقب بواسطة كاميرات، بدا ردّ فعله مهماً لفاليس.

بالإضـــافة إلى ذلـــك، وبالـــرغم من اليأس الذي توحي به هذه المجموعة، كشفت عن أناقة مخفية وفرضت بعض الإبهار.

لم يكن صاحب المجموعة فظاً جداً بحيث لم يعرض أعضاء تناسلية أو أثداء.

شك بيلي في أن فاليس لا يقتل بسبب إشباع غريزة، ولا يغتصب ضـــحاياه الإناث، لأن فعل ذلك ربما يعني الاعتراف بجانب واحد على الأقل من الإنسانية، بدا أنه يريد اعتبار نفسه كائناً منفصلاً.

لم يشوه الفنان أيضاً مجموعته بأشياء مبهرجة أو فظة، لا مقلات عيون، لا أعضاء داخلية، وجوه وأيدٍ، وجوه وأيد.

حـــدّق بيلـــي إلى الأوعية المُضاءة، وتخيلَ فيها مهرجين يرتدون الأسود مع وجوه مرشوشة بالأبيض ومع أيادٍ مغلفة بالقفازات.

بالرغم من انحرافه، بدا القاتل صاحب عقلٍ جمالي في العمل.

قال بيلي، وهو يصف العرض الحيوي: "مظهر متوازن، تناسق في الخطوط، مراعاة للشكل، والأكثر أهمية ربما، تحفظ محتشم ولكنه ليس نيقاً".

لم يقل فاليس أي شيء.

اللافت أنه عند الوقوف وجهاً لوجه أمام الموت وعدم السماح للخـــوف بالـــسيطرة، لم يعد بيلي يهرب أبداً من الحياة، وإنما على العكس يعانقها.

قال فاليس: "قرأت كتابك المشتمل على القصص القصيرة".

أجابه بيلي: "عند انتقاد عملك، لم أكن أنتظر انتقاداً لعملي".

خرجت ضحكة صغيرة من فاليس، ضحكة دافئة كما بدت عبر مكبرات الصوت. "في الواقع، وجدت قصصك فاتنة وقوية".

لم يجب بيلي.

قال فاليس: "إنها قصص باحث، تعرف حقيقة الحياة، لكنك تحوم حول تلك الفاكهة، تحوم وتحوم، رافضاً الاعتراف بها، تذوقها".

ابتعد بيلي عن المجموعة، وانتقل إلى أقرب تمثال برونـــزي، وهو عـــبارة عـــن زوج أسمـــاك، بسيط وإنما رائع التفاصيل، مصنوع من البرونـــز الذي يحاكي الحديد الصدئ لناحية اللون والتركيبة.

قال بيلي: "القوة، القوة هي جزء من حقيقة الحياة".

وراء الباب المقفل، انتظر فاليس.

قال بيلي: "والفراغ، الفراغ، الهاوية".

انتقل إلى تمثال برونـــزي آخر: تلميذ يرتدي ثوباً، ويجلس جانباً إلى جانب مع أيل، كشف التلميذ عن لحية وكان يبتسم فيما كان ثوبه مطرزاً بخيوط ذهبية.

قـــال بيلـــي: "الخـــيار هو فوضى أو سيطرة، مع القوة نستطيع الابتكار، مع القوة والنية المحتشمة، نبتكر فناً، والفن هو الجواب الوحيد للفوضى والفراغ".

بعـــد صمت، قال فاليس: "ثمة شيء واحد فقط يتشبث بالماضي، أستطيع تحريك منه".

سأل بيلي: "بجريمة أخرى؟".

"لا، تـــستطيع العـــيش، ويمكنك الانتقال إلى حياة جديدة... حين تعرف".

"وما هو الشيء الذي تعرفه ولا أعرفه؟".

قال فاليس: "باربارة، إنها تعيش في ديكنـــز".

سمع بيلي نفسه يشهق، وكان ذلك تعبير مفاجأة واعتراف.

"حـــين كـــنت في منـــزلك بيلي، راجعت الدفاتر الصغيرة التي ملأتها بالعبارات التي قالتها في أثناء غيبوبتها".

"حقاً؟".

"إنها تحب ديكنـــز".

"قرأت كل القصص، مرات عدة".

"ولكن ليس أنت".

قال بيلي: "قرأت قصتين أو ثلاثاً، لم أحب ديكنـــز أبداً".

قـــال فالـــيس: "أعتقد أنه مكان مليء كثيراً بالحياة، مليء كثيراً بالحيوية بالنسبة إليك".

"ربما".

"تعرف هذه القصص جيداً، بحيث تعيشها في أحلامها، الكلمات التي تقولها في غيبوبتها تتوالى في فصول معينة".

قـــال بيلي، وهو يتذكر زيارته الأخيرة إلى باربارة: "سيدة جو، لقد قرأت تلك القصة، زوجة جو غارجري، أخت بيب، المرأة السليطة المتنمرة، ناداها بيب *سيدة* جو".

أكـــد فالـــيس: "*تـــوقعات عظيمة*، تعيش باربارة كل الكتب، خصوصاً المغامرات الخفيفة، وليس الرعب كما في *قصة مدينتين*".

"لم أدرك...".

أكد له فاليس: "إنها تحلم بـــ*أغنية الميلاد* أكثر مما تحلم باللحظات الدموية للثورة الفرنسية".

"لم أدرك ذلك، لكنك فعلت".

"علـــى كل حال، لا تعرف الخوف أو الألم لأن كل مغامرة هي طريق معروف جيداً، مصدر راحة ومتعة".

تحـــرك بيلي في غرفة الجلوس، مرّ أمام تمثال برونـــزي آخر، ثم تجاوزه.

قال فاليس: "لا تحتاج إلى شيء يمكنك منحه لها، أي شيء أكثر مما تملك، إنها تعيش في ديكنـــز ولا تعرف الخوف".

فهم بيلي ما أراد الفنان الوصول إليه، فوضع المسدس على طاولة قديمـــة أثرية إلى يسار باب غرفة النوم، ثم عاد بخطواته إلى وسط غرفة الجلوس، وجلس في كرسي.

الفصل 71

دخل فاليس، وبدا أكثر وسامة من الصورة التي رسمها بنفسه على موقع الوب.

ابتسم، ورفع المسدس عن الطاولة، وتأمله.

قرب الكرسي الذي جلس فيه بيلي، على طاولة صغيرة، ثمة تمثال برونزي ياباني آخر من حقبة مايجي: كلب بدين يبتسم ويحمل سلحفاة على رسنه.

اقترب فاليس من المسدس، تماماً مثل آيفي إيلجين، مشى برشاقة راقص كما لو أن الجاذبية لا تستطيع جذب نعليّ قدميه إلى الأرض.

شعره الكثيف الأسود، كان مطعماً بشعر أبيض عند الصدغين، كانت ابتسامته فاتنة، أشرقت عيناه الرماديتان بوضوح.

امتلك حضور النجم السينمائي، ثقة الملك في نفسه، هدوء الناسك.

وقف أمام الكرسي، ووجه المسدس إلى وجه بيلي وقال: "هذا هو المسدس".

قال بيلي: "نعم".

"قتلت والدك به".

"نعم".

"كيف كان شعورك؟".

حدق بيلي إلى الفوهة وقال: "مرعب".

"وأمك، بيلي؟".

"صحيح".

"هل كان قتلها صائباً؟".

قال بيلي: "في ذلك الوقت، في تلك اللحظة".

"ولاحقاً؟".

"لست واثقاً".

"الخطأ صح، الصح خطأ، كل شيء حسب المنظور بيلي".

لم يقل بيلي أي شيء.

لكـــي تصل إلى ما لست عليه، عليك الذهاب في الطريق الذي لست فيه.

نظر إليه فاليس عبر أسطوانة المسدس وقال: "من تكره بيلي؟".

"لا أفكر في أحد".

"هـــذا جـــيد، هذا صحي، الكره والحب يرهقان العقل، يقمعان التفكير الواضح".

قال بيلي: "أحب هذه التماثيل البرونـــزية كثيراً".

"أليـــست رائعة؟ يمكنك الاستمتاع بالشكل، بالتركيبة، بالمهارة البارعة للفنان، ولا تبالي بالرغم من ذلك بالفلسفة الكامنة وراءها".

قال بيلي: "خصوصاً السمك".

"ولماذا السمك تحديداً؟".

"وهم الحركة، مظهر السرعة، إنها تبدو حرة جداً".

"لقـــد عشت حياة بطيئة، بيلي، أنت مستعد ربما لبعض الحركة، هل أنت جاهز للسرعة؟".

"لا أعرف".

"أعتقد ذلك".

"أنا جاهز لشيء ما".

قال فاليس: "جئت إلى هنا وفي نيتك العنف".

رفـــع بيلي يديه عن ذراعيّ الكرسي وحدق إلى قفاز اللاتكس، نـــزعه.

"هل هذا غريب بالنسبة إليك بيلي؟".

"تماماً".

"هل تتخيل ماذا سيحصل لاحقاً؟".

"ليس تماماً".

"هل تهتم، بيلي؟".

"ليس بقدر ما كنت أعتقد".

أطلـــق فالـــيس رصاصـــة، دخلت الرصاصة في الظهر العريض للكرسي، على مسافة إنشين فقط من كتف بيلي.

في اللاوعـــي، عرف أن الطلقة آتية صوبه، رأى في عقله الغراب على حافة النافذة، الغراب الساكن والصامت والمراقب، ثم جاء الدوي، ولم يجفل أو يطرف بعينيه، وإنما جلس لامبالياً.

أخفض فاليس المسدس، جلس في الكرسي قبالة بيلي.

أغلق بيلي عينيه، وأرجع رأسه إلى الخلف.

قـــال فالـــيس: "كـــان في وسعي قتلك بطريقتين من دون ترك الغرفة".

هذا صحيح حتماً، لم يسأل بيلي كيف.

قال فاليس: "لا بد أنك متعب جداً".

"جداً".

"كيف حال يدك؟".

"لا بأس، فيسودين".

"وجبينك؟".

"جيد".

تــساءل بيلي إذا كانت عيناه تتحركان تحت جفنيه، مثلما تفعل باربارة أحياناً في أحلامها، شعر أن عينيه ساكنتان.

قال فاليس: "كنت أخطط لجرح ثالث لك".

"ألا تستطيع الانتظار حتى الأسبوع المقبل؟".

"أنت رجل مضحك، بيلي".

"لا أشعر أنني مضحك".

"هل تشعر بالارتياح؟".

"مممممممم".

"هل أنت متفاجئ من ذلك؟".

فتح بيلي عينيه. "نعم، هل *أنت* متفاجئ؟".

قال الفنان: "لا، رأيت الاحتمال لديك".

"متى؟".

"في قصصك القصيرة، قبل أن ألتقي بك". وضع فاليس المسدس جانــباً علــى طاولــة قــرب كرسيه. "ظهرت قدراتك بوضوح في الــصفحات، وعــندما بحــثت في حــياتك، أصبحت القدرات أكثر وضوحاً".

"قتل أهلي".

"ليس إلى هذا الحد، فقدان الثقة".

"فهمت".

"من دون ثقة، لا يمكن أن يستريح العقل".

قال بيلي: "لا راحة، ليس من سلام حقيقي".

"من دون ثقة، لا يوجد اعتقاد راسخ، لا يوجد اعتقاد راسخ في اللطافة، أو الكمال، أو أي شيء".

"يبدو أنك تعرف عني أكثر مما أعرف".

قال فاليس: "حسناً، أنا أكبر سناً، وأكثر خبرة".

قال بيلي: "أكثر خبرة بكثير، منذ متى خططت لهذا الأداء؟ أليس يوم الاثنين في المشرب؟".

قال فاليس: "قبل أسابيع وأسابيع، الفن العظيم يتطلب التحضير".

"هل التزمت مشروع اللوحة الجدارية لأنني هنا، أم جاء الالتزام بالمشروع قبلاً؟".

أجاب فاليس: "الاثنان معاً، كان الأمر مصادفة، غالباً ما تكون الأشياء هكذا".

"مذهل، وها نحن الآن".

"نعم، ها نحن الآن".

قال بيلي، وهو يستعيد كلمات فاليس حول أسلوب هذا الإنتاج: "حركة، سرعة، تأثير".

"حسب ما وصل إليه الأداء الآن، أظن أنه يجدر بنا القول "حركة، سرعة، حرية".

"مثل السمك".

"نعم، مثل السمك، هل تريد الحرية، بيلي؟".

"نعم".

"أنا حر تماماً".

قال بيلي: "كم مضى وقت على...؟".

"اثنان وثلاثون عاماً، منذ أن كان عمري ستة عشر عاماً، التجارب الأولى كانت محرجة؛ عمل فظ، لا سيطرة، لا تقنية، لا *أسلوب*".

"لكن الآن...".

"الآن، أصبحت ما أنا عليه، هل تعرف اسمي؟".

نظر بيلي إلى تلك العينين الرماديتين اللامعتين.

أجابه فاليس: "نعم، أرى ذلك، أنت تعرف اسمي".

خطــرت فكـــرة لبيلي، وانحنى إلى الأمام في كرسيه، وهو يشعر ببعض الفضول. "هل بقية العاملين في مشروعك...؟".

"ما بهم؟".

"هل هم... نجاحات سابقة لك؟".

ابتـــسم فالـــيس قال: "أوه لا، لم يرَ أي منهم مجموعتي، الرجال مثلك ومثلي... نحن صنف نادر، بيلي".

"أفترض ذلك".

"لديك ربما الكثير من الأسئلة حول كل ذلك".

"عندما أحصل على بعض النوم ربما".

"ذهبت إلى منـــزل الشرطي أولسن قبل قليل، تركته نظيفاً تماماً".

كشّر بيلي. "لم تزرع أي دليل هناك، أليس كذلك؟".

"لا، لا، عـــرفت أنـــنا نقتـــرب من هذه اللحظة، فلا حاجة إلى تعذيـــبك أكثـــر، تجـــولت فقط في منـــزلك، متأملاً بإعجاب طريقة تفكيرك، وكم أنت *حريص*".

تثاءب بيلي. "الأدلة الظرفية، أخاف منها".

"لا بد أنك متعب جداً".

"أنا مرهق".

"لدي غرفة نوم واحدة فقط، لكنك تستطيع النوم على الأريكة".

هزّ بيلي رأسه. "هذا يذهلني".

"إنني مضياف؟".

"لا، أنني موجود *هنا*".

"الفن يحول، بيلي".

"هل سأشعر بشيء مختلف عندما أستيقظ؟".

قال فاليس: "لا، لقد اتخذت خيارك".

"كانت شيئاً تلك الخيارات".

"منحتك فرصة لفهم إمكاناتك".

"تبدو هذه الأرائك نظيفة جداً، وأنا متسخ".

قال فاليس: "أنت جيد، إنها مغلفة بمادة واقية".

فيما نهضا في الوقت نفسه عن الكرسيين، سحب بيلي قنينة رذاذ مايس من تحت قميصه القطني.

تفاجأ فاليس على ما يبدو، وحاول برم وجهه بعيداً.

كانا على مسافة عشر أقدام فقط، فرش بيلي الرذاذ على عينيه.

أصيب فاليس بالعمى، وبحث عن المسدس الذي على الطاولة لكنه أوقعه أرضاً.

مرّ بيلي أمامه، ورفع المسدس، فيما تشبث فاليس في الهواء محاولاً العثور عليه.

استدار بيلي حول القاتل، وضرب الجهة الخلفية لجمجمته بعقب المسدس، ثم ضربه مجدداً.

على عكس رشاقته المعهودة، انهار فاليس على الأرض على وجهه، ركع بيلي على ركبتيه للتأكد من عجز القاتل، كان عاجزاً.

كان فاليس يضع قميصه تحت سرواله، أرخاها بيلي ورفعها فوق رأس الرجل بحيث تحولت إلى قلنسوة بعد ربط طرفيها ببعضهما.

الهدف ليس عصب عينيّ فاليس وإنما تكوين ضمادة في حال بدأت فروة رأسه تنزف حيث ضربه بالمسدس، أراد بيلي تفادي بقع الدم على السجادة.

الفصل 72

أدخل بيلي يديه في قفاز من اللاتكس، باشر بالعمل.

كانت حجرة النوم أكثر فخامة من بقية المنــزل المتحرك، وكان الحمــام نظــيفاً ولامعــاً، مــثل جوهرة من الرخام والزجاج والمرايا والأكسسوارات المطلية بالذهب.

في أعلــى المكتب في حجرة النوم، ثمة شاشة حساسة للمس توفر تحكماً بالأنظمة الإلكترونية من الموسيقى إلى جهاز الأمان.

يبدو أنه تبرز الحاجة إلى رمز سري للنفاذ إلى أوامر التحكم هذه، لكــن فالــيس ترك لحسن الحظ النظام مفتوحاً بعد استعماله لإسدال الستائر فوق النوافذ.

كشفت كل أوامر التحكم عن لصائق واقية، فتح بيلي قفل الباب الأمامي.

في غــرفة الجلــوس، لا يزال فاليس فاقد الوعي، ورأسه مغطى بقميصه.

قــام بيلــي بجرّ فاليس خارج حجرة الجلوس، عبر حجرة الطعام والمطبخ، وصولاً إلى الردهة الأمامية. نــزل الدرج وخرج من المنــزل المتحرك.

بقــيت أقــل من ساعة واحدة من الظلمة، كشف الهلال الصغير الآن عن نجوم وراء الأفق الغربــي.

ركن سيارة الإكسبلورر بين الخيمة والمنــزل المتحرك، بعيداً عن الطريق السريع، ما من سيارات مارّة.

جرّ فاليس إلى السيارة الرباعية الدفع.

لا يعيش أحد في الجوار، سيبقى المشرب قبالة الطريق العام خالياً لساعات طويلة.

عـــندما أطلـــق فالـــيس النار على الكرسي، لم يكن هناك أحد لسماعه.

فتح بيلي الباب الخلفي للسيارة، أخرج إحدى البطانيات المضربة الـــتي اســـتخدمها لإخفاء جثة رالف كوتل المسكين، بسط البطانية في أرضية صندوق السيارة.

على الأرض، تحرك فاليس، بدأ يصدر صوت أنين.

شـــعر بيلـــي فجأة بالضعف، بإرهاق في العقل والقلب أكثر من التعب الجسدي.

العالم يدور والعالم يتغير، لكن شيئاً واحداً لا يتغير، مهما حاولت إخفاءه، لا يتغير هذا الشيء: إنه الصراع الدائم بين الخير والشر.

مع بطانية أخرى، ركع بيلي قرب الفنان المشهور، أقحم مسدسه في إحدى الطيات المضربة للبطانية، وجعلها بمثابة كاتم للصوت، وأطلق الرصاصات الخمس الباقية في صدر القاتل.

لم يجرؤ على الانتظار لمعرفة إذا تم سماع صوت المسدس هذه المرة، فتح فوراً البطانية المطوية ولفها حول الرجل الميت.

تبين أن وضع الجثة في سيارة الإكسبلورر أكثر صعوبة مما توقع، كان فاليس أثقل من رالف كوتل.

إذا كان هناك شخص يصوّر بيلي، لصورّ بالكاميرا فيلماً كوميدياً كلاسيكياً.

بعـــد لـــف فاليس بالبطانية ووضعه في السيارة، أغلق بيلي باب الصندوق وعاد إلى المنـــزل المتحرك.

الرصاصة التي أطلقها فاليس اخترقت الكرسي المبطن وخرجت من ظهره، أحدثت ضرراً في الجدار الذي خلفها. حاول بيلي البحث عنها هناك.

بما أنه تم قتل والده ووالدته بمسدس من عيار 0.38 ملم. توجد ملفات جنائية للمسدس، لا يظن أنه يوجد احتمال كبير لإجراء تطابق، لكنه لا يريد أن يجازف على الإطلاق.

خلال دقائق قليلة، عثر على الرصاصة المعدنية تحت طاولة القهوة، وضعها في جيبه.

ستعرف الشرطة أن الثقب في متن الكرسي ناجم عن سلاح ناري، ستعرف الشرطة أنه تم استعمال سلاح، ولن يكون في وسعها فعل أي شيء حيال ذلك.

إلا أن الشرطة لن تعرف ما إذا كان فاليس أو هو من أطلق النار، من دون دم، لن تتمكن الشرطة من معرفة من هو الشخص الذي لحق به الضرر.

استدار بيلي ببطء في دائرة كاملة، واسترجع ذاكرته، وحاول أن يتذكر ما إذا كان قد لمس أي سطح وترك عليه بصماته خلال الوقت القصير الذي نزع فيه القفاز من يديه، لا، المكان نظيف.

ترك الستائر الفولاذية مسدلة، ترك ألواح الطارة مرفوعة للكشف عن مجموعة الوجوه والأيدي، لم يغلق الباب عندما خرج من المنزل المتحرك، تركه مفتوحاً كما لو أنه يدعو إلى دخوله.

يا لها من مفاجأة بالنسبة إلى فريق الفنانين والحرفيين.

لم تكن هناك أي سيارات على الطريق العام في الوقت الذي ابتعد فيه عن المنزل المتحرك، خارج المرج الأخضر، وصولاً إلى الزفت.

ستختفي الآثار التي تركتها إطارات سيارته في الغبار، إذا تركت أصلاً أي آثار، عندما يصل فريق العمل بعد ساعات قليلة.

الفصل 73

عـــاد مـــرة جديدة إلى أنبوب الحمم، هذه المرة من طريق مختلف لتفادي ترك الآثار نفسها في الشجيرات كما حدث قبلاً.

فـــيما رفع بيلي الغطاء الأحمر الخشبـــي، ظهرت أولى علامات الفجر حول أطراف الجبال في الشرق.

من غير الملائم تلاوة دعاء.

كمـــا لـــو أن جاذبيـــته الخاصة أكبر من جاذبية الجثث الثلاث الـــسابقة، ســـقط فاليس في الأنبوب الجائع بسرعة أكبر مما فعل الموتى الآخرون قبله.

عـــندما اخـــتفت أصوات انحدار الجثة وساد الصمت، قال بيلي: "أكبر وأكثر خبرة، أيها الحقير". ثم تذكر رمي محفظة لاني في الأنبوب، وأعاد الغطاء إلى مكانه.

فـــيما قـــاوم اللـــيل عبثاً الضوء الأول للفجر، ركن بيلي سيارة الإكسبلورر في الفناء وراء مرأب لاني، ودخل المنـــزل.

إنه يوم الخميس، اليوم الثاني في إجازة لاني الممتدة على يومين، لا يحتمل أن يسأل عنه أحد أو يأتي أحد للبحث عنه قبل يوم الجمعة.

بالـــرغم من أن فاليس أنكر ترك أي دليل إضافي بعد زيارة بيلي الليلة الماضية، قرر بيلي تفتيش المنـــزل مرة جديدة. لا يمكنك ببساطة الوثوق ببعض الأشخاص.

بـــدأ في الطابـــق العلوي، وتحرك بتعب فائق، وعندما وصل إلى المطبخ، لم يعثر على أي شيء يدينه.

شـــعر بالعطش فأخذ كوباً من خزانة وملأه بالماء البارد، لا يزال يضع القفاز في يديه، فلم يقلق بشأن ترك بصمات.

روى عطـــشه، فشطف الكوب الزجاجي وجففه بفوطة مطبخ، وأعاده إلى الخزانة التي أخرجه منها.

ثمة شيء غير صحيح.

شكّ في أنه فوّت تفصيلاً يحتمل أن يدينه، كان منهكاً من الإرهاق، فحرك نظره مرة جديدة بحثاً عن أدلة مُدينة من دون الكشف عن أهمية.

عـــاد إلى غـــرفة الجلوس مرة جديدة، فتحرك حول الأريكة التي وضـــع عليها فاليس جثة رالف كوتل، ما من بقع تلطخ المفروشات أو السجادة المحيطة.

رفـــع بيلي الوسادات لرؤية ما إذا كان قد وقع شيء من جيوب كوتل بينها، عندما لم يعثر على أي شيء، أعاد الوسادات إلى مكانها.

بقـــي بيلـــي مغموراً بإحساس الريبة في أنه أهمل شيئاً ما، فجلس للـــتأمل. بما أنه كان متسخاً، لم يجازف في تلويث كرسي وإنما جلس على الأرض وشبك ساقيه مع تنهيدة تعب.

لقد قتل للتو رجلاً، أو شيئاً أشبه برجل، لكنه لا يزال يخشى من تلويث المفروشات، بقي شاباً مهذباً، متوحشاً مرتباً.

اعتبر هذا التناقض مضحكاً، فضحك بصوت عال، كلما ضحك أكثـــر، وجـــد مراعاته للمفروشات أكثر هزلية، ثم راح يضحك على ضحكته، مستمتعاً باستهتاره غير الملائم.

عرف أنها ضحكة خطيرة، يمكن أن تسلب منه توازنه، تمدد على السجادة، مستلقياً على ظهره، وتنفس بعمق لتهدئة نفسه.

خفّت الضحكة، وتنفس بعمق أقل، وسمح لنفسه نوعاً ما بالخلود إلى النوم.

الفصل 74

استيقظ بيلي مرتبكاً، نظر لبرهة إلى قوائم الكراسي والأرائك حوله، وظن أنه نام في ردهة فندق، وتساءل كم أن إدارة الفندق راعته بعدم إزعاجه.

ثم أيقظته الذاكرة تماماً.

نهض على قدميه، وأمسك بذراع الأريكة بيده اليسرى، هذا خطأ، كان جرح المسمار ملتهباً، بكى وكاد يقع، لكنه لم يقع.

بدا النهار خلف الستائر المسدلة ساطعاً ومتقدماً في ساعاته.

عندما نظر إلى ساعة يده، رأى أنها الساعة 5:02 بعد الظهر، لقد نام تقريباً عشر ساعات، أصيب بالهلع، وخفق قلبه مثل أجنحة مسعورة، ظن أن غيابه غير المبرر سيجعله مشتبهاً رئيساً في اختفاء فاليس.

ثم تذكر أنه اتصل زاعماً المرض لليوم التالي، لا يتوقعه أحد في أي مكان، ولا يعرف أحد أن هناك رابطاً يجمعه بالفنان الميت.

إذا أرادت الشرطة البحث عن أحد، ستبحث عن فاليس نفسه، لسؤاله أسئلة محددة بشأن محتويات الأوعية في غرفة جلوسه.

في المطبخ، أخرج بيلي كوباً من الخزانة، ملأه بماء من الصنبور.

فتش في جيوب سروال الجينز خاصته، فعثر على حبتي أناسين فتناولهما مع الماء، وابتلع أيضاً قرص سايبرو وقرص فيسودين.

شعر لبرهة بالغثيان، لكن الإحساس اختفى، ستتفاعل ربما كل الأدوية مع بعضها بطريقة مميتة وتطرحه أرضاً بين خطوة وأخرى، لكنه لن يتقيأ على الأقل.

لم يعـــد مكترثاً للإحساس أنه ترك دليلاً جرمياً في هذا المنـــزل، ذلـــك الخوف كان عارض إرهاق، بعد أن ارتاح الآن، وراجع تدابيره الوقائية، عرف أنه لم يفوّت أي شيء.

بعـــد إقفال المنـــزل، أعاد المفتاح الاحتياطي إلى الفتحة في جذع الشجرة.

مـــستفيداً من ضوء النهار، فتح الباب الخلفي لسيارة الإكسبلورر وتحقق من أرضية مساحة الصندوق بحثاً عن دم فاليس، لم يتسرب أي دم عبر البطانيات، وذهبت البطانيات مع الجثة إلى أنبوب الحمم.

ابـــتعد عن منـــزل أولسن بارتياح، بتفاؤل حذر، وإحساس كبير بالنصر.

بدا موقع مشروع فاليس مثل معرض لبيع السيارات الخاصة فقط برجال الشرطة.

تحـــركت الكـــثير مـــن البذلات حول المنـــزل المتحرك والخيمة واللـــوحة الجدارية، لا شك في أن الشريف جون بالمر بينهم لأنه توجد أيضاً عربات تلفاز مركونة على جانب الطريق الرئيس.

أدرك بيلي أنه لا يزال يضع قفاز اللاتكس، حسناً، لا مشكلة، لن يراه أحد ويتساءل لماذا، لم تبقَ مساحة واحدة فارغة في مرأب سيارات المشرب، أخبار فاليس ومجموعته المروعة ستحضر كل الزبائن الدائمين إضـــافة إلى زبائن جدد، مع شيء للتحدث عنه غير الحيوانات المقززة ذات الأدمغة البشرية، لحسن حظ جاكي.

عندما رأى بيلي منـــزله، أحس بالارتياح، المنـــزل، بعد موت الفنان لا حاجة إلى تغيير مفاتيح الأقفال، لقد عاد الأمان مجدداً، والخصوصية.

في المـــرأب، نظف سيارة الإكسبلورر ووضع النفايات في كيس، ورتب مفك البراغي والأدوات الأخرى.

في مكان ما من هذا المنــزل، توجد تذكارات جرمية، ولا بد من إجراء بعض التنظيفات الأخيرة.

عندما اجتاز عتبة المطبخ، ترك فطرته ترشده، لا يحتمل أن يكون فاليس أحضر يد جيزيل وينسلو إلى هنا في وعاء زجاجي مليء بالفورمالديهايد، فمثل هذا الوعاء سيبدو غريباً ولا يتيح العمل السريع، أوحت له فطرته بالحل الأكثر بساطة.

ذهب إلى البراد وفتح دُرج الثلاجة في الأسفل، بين أوعية البوظة ورزم بقايا الطعام، وجد شيئين ملفوفين بورق الألمنيوم لم يتعرف إليهما.

فتحهما على الأرض: يدان، كل منهما من امرأة مختلفة، تنتمي واحدة منهما على الأرجح إلى المرأة الصهباء.

استخدم فاليس ورق الألمنيوم الجديد غير اللاصق، سيسرّ الصانع حين يعرف أن المنتج نجح مثلما روّج له.

لم يستطع بيلي منع نفسه من الارتجاف فيما أعاد لف اليدين، فكر لبرهة أنه أصبح معتاداً على الرعب، لكن هذا غير صحيح.

قبل أن ينتهي اليوم، عليه رمي كل محتويات الثلاجة، لا يمكن أن يكون قد حصل أي تلوث، لكن *فكرة* التلوث جعلته يشعر بالغثيان، عليه التخلص من البراد نفسه.

أراد اليدين خارج المنــزل، لا يتوقع أن تأتي الشرطة إلى بابه مع إذن بالتفتيش، لكنه أراد اليدين بعيداً على كل حال.

دفنهما في مكان ما في المنــزل هو فكرة سيئة، سيعاني على الأقل من كوابيس يرى فيها اليدين تخرجان من القبور وتدخلان المنــزل ليلاً.

إلى أن يقرر ماذا سيفعل بهما، وضع اليدين المجلدتين في براد صغير.

أخـــرج من محفظته الصورة المطوية لرالف كوتل حين كان شاباً، وبطاقـــة عضوية كوتل في الجمعية الأميركية للمشككين، وصورة المرأة الـــصهباء، لقـــد احتفظ بها ظناً منه أنه سيقلب الطاولة على القاتل من خلال زرع أدلة ضده، إلا أنه رماها الآن في البراد الصغير مع اليدين.

حمل الهاتف الخلوي الخاص بلاني، تردد لبرهة في إضافته إلى البراد الصغير، كما لو أن اليدين ستخرجان من ورق الألمنيوم وتطلبان الرقم 911، وضـــع الهاتـــف الخلوي على طاولة المطبخ، لإخراج اليدين من المنـــزل، أخذ البراد الصغير إلى المرأب ووضعه في سيارة الإكسبلورر، على الأرض أمام المقعد قرب السائق، أقفل المرأب وراءه بعدما خرج.

اختفى حرّ بعد الظهر، السادسة وست وثلاثون دقيقة.

حلق نسر في الأعالي مع آخر أضواء النهار.

وقف بيلي يراقب فيما رسم الطائر أشكالاً دائرية.

ثم دخل المنـــزل، متشوقاً لأخذ حمام ساخن بقدر ما يستطيع التحمل.

التعاطـــي مـــع يـــديّ المـــرأتين قمع شهيته، لا يظن أنه سيشعر بالارتياح لتناول الطعام في المنـــزل.

قد يعود ربما إلى محطة القطارات لتناول العشاء، شعر وكأنه يدين للنادلة، جاسمين، ببقشيش أكبر من ذاك الذي تركه لها البارحة.

في الـــردهة، متوجهاً إلى الحمام، رأى بيلي نوراً في مكتبه، عندما نظر عبر الردهة، رأى الستائر مسدلة، مثلما تركها.

لا يتذكـــر أنه ترك مصباح المكتب مضاء، لكنه كان مستعجلاً للتخلص من جثة كوتل، من دون الذهاب إلى المكتب، أطفأ المصباح.

بالرغم من أن كوتل لم يعد جالساً على كرسي الحمام، استطاع بيلي تذكره بسهولة كيف كان جالساً هنا، إلا أنه الحمام الوحيد الذي لديه، وتبين أن رغبته في الاستحمام أكبر من اشمئزازه.

نجح الماء الساخن في تخفيف آلام عضلاته تدريجياً. فاحت رائحة الصابون الرائعة.

شعر مرتين بخوف شديد وراء ستارة الحمام وأصبح نصف مقتنع أنه أدى دور جانيت لاي في فيلم Psycho.

في النهاية، نجح لحسن الحظ في الاستحمام من دون ترك ستارة المغطس مفتوحة، أنهى الاستحمام من دون التعرض لطعنة سكين.

تساءل كم سيمضي من الوقت قبل أن يتغلب على خوفه، بقية حياته على الأرجح.

بعد تجفيف نفسه بالمنشفة وارتداء الثياب، وضع ضمادة نظيفة على الجروح في جبينه.

ذهب إلى المطبخ، وفتح قنينة شراب شعير دانماركي واستخدمها لتناول حبتيّ موترين، أقلقه قليلاً الالتهاب في يده اليسرى.

جلس أمام الطاولة مع قنينة شراب الشعير، وبعض لوزام الإسعافات الأولية، حاول إدخال اليود في جرح المسمار، ثم وضع طبقة جديدة من الضماد السائل.

وراء النوافذ، اقترب مغيب الشمس.

ينوي الذهاب إلى وايسبرينغ باينز وتمضية بضع ساعات، تدبر تمضية الليل هناك بذريعة التضرع؛ لكن بالرغم من نومه لعشر ساعات، لا يظن أنه قادر على البقاء لهذا الوقت الطويل هناك، فبعد موت فاليس، لم يعد لمنتصف الليل أي معنى.

فيما كان بيلي يعتني بجرح المسمار، وهو جالس على الطاولة يشرب شراب الشعير، وقع نظره على المايكروويف، كاميرا الفيديو.

طوال هذا الوقت، كان يسجل نفسه أمام الطاولة، ثم أدرك أنه صوّر نفسه وهو يخرج اليدين من الثلاجة، تملك الكاميرا عدسة

عريضة، لكنه لا يعتقد أنها سجلت عمله المروع بطريقة جيدة كفاية لتكون دليلاً.

لكن...

أحضر السلم الصغير من غرفة الأكل، تسلقه وفتح الخزانة الموجودة فوق المايكروويف.

باستعمال نمط الإرجاع إلى الخلف، تأمل الشاشة الصغيرة، ورأى نفسه يمشي إلى الخلف في المطبخ، لم تكشف زاوية العدسة اليدين المبتورتين.

تساءل فجأة ما إذا كان فاليس قد زار المنزل لغرض معين بين الوقت الذي تركه فيه بيلي في اليوم السابق ولقائهما في المنزل المتحرك قبل الفجر، فاستمر في إرجاع التسجيل إلى الخلف بعد دخوله المنزل قرابة الساعة السادسة.

لم يضطر إلى مراجعة كل اليوم الفائت، فعند الساعة 3:07 من هذا اليوم، فيما كان بيلي نائماً في منزل أولسن، دخل رجل من غرفة الجلوس، وعبر المطبخ متوجهاً إلى الباب، ثم خرج من المنزل.

لم يكن الزائر فاليس، طبعاً، لأن فاليس مات.

الفصل 75

لم يستطع بيلي تذكر الرقم، استخدم هاتف لاني الخلوي فطلب دليل الهاتف في دنفر، وقاموا بتحويله إلى التحري رامسي أوزغارد.

مشى بيلي بتوتر فيما رنّ الهاتف هناك في ظلال الروكيز.

كان فاليس واثقاً ربما من حديث بيلي لأنه قام قبلاً بإخضاع شخص بدل تدميره، ما من أحد مثله في الفريق المؤلف من ستة عشر شخصاً، لكن هذا لا يعني أن الفنان وحده القاتل.

أجاب رامسي أوزغارد بعد الرنة الخامسة، وعرّف بيلي عن نفسه على أنه لاني أولسن، قال أوزغارد: "أسمع حيوية في صوتك، حضرة الشرطي، قل لي إنك قبضت على رجلك".

قال بيلي: "أظن أنني سأفعل بعد فترة وجيزة، لديّ وضع طارئ هنا، أريد أن أعرف في السنة التي اختفت فيها جوديث كيسلمان، هل كان هناك أستاذ في الجامعة اسمه فاليس؟".

قال أوزغارد: "ليس أستاذاً، كان الفنان المقيم طوال ستة أشهر، وعند انتهاء مدته، فعل ذلك الشيء السخيف الذي أسماه فن الأداء، فقام بلف مبنيين من الجامعة بآلاف الياردات من الحرير الأزرق وربطهما بـ..."

قاطعه بيلي: "امتلك ستيف زيليس عذراً مثالياً".

طمأنه أوزغارد: كان عذراً محكماً تماماً، أستطيع سرده لك إذا كانت لديك عشر دقائق".

"لا أملك الوقت، لكن قل لي هل تذكر ما كان اختصاص زيليس في الجامعة؟".

"كان يدرس الفنون".

"الحقير".

لا عجب أن زيليس لم يشأ التحدث عن العارضات البلاستيكية، لم تكن مجرد تعبير عن الأحلام المريضة لقاتل مجرم؛ وإنما كانت *فنه*.

في تلك المرحلة، لم يكن بيلي قد اكتشف بعد الكلمات الأساسية الـــتي ستكشف هوية القاتل؛ *فن الأداء*، كان يملك فقط *الأداء* و لم يشأ زيلـــيس مـــنحه بقية العبارة، ليس حين كان يؤدي ببراعة لعبة غير مؤذية.

قـــال بيلي: "الحقير يستحق جائزة أوسكار، تركت منـــزله وأنا أشعر بالحقارة بسبب الطريقة التي عاملته بها".

"حضرة الشرطي؟".

"الشهير والمحترم فاليس قام بالشهادة لصالح ستيف زيليس، أليس كـــذلك؟ قـــال إن ستيف كان معه في مكان ما يوم اختفت جوديث كيسلمان".

"أنت محق، لكن لا يمكنك استنتاج ذلك إلا إذا...".

"شـــاهد أخبار المساء حضرة التحري أوزغارد، في الوقت الذي اخـــتفت فيه جودي كيسلمان، كان ستيف وفاليس يعملان معاً، كانا العذر المبرر لبعضهما بعضاً، هل فهمت؟".

تذكر بيلي الضغط على الزر الأحمر لإنهاء المكالمة قبل رمي هاتف لاني.

ما زال يحمل مسدس لاني والتايسر Taser، ثبت قراب ويلسون كومبات على حزامه.

مـــن خزانة الحمام، أخرج معطفاً رياضياً وارتداه لإخفاء المسدس بأفضل طريقة ممكنة.

وضع التايسر في الجيب الداخلي لمعطفه.

مـــاذا كان ستيف يفعل هنا بعد الظهر؟ يفترض أنه عرف حينها باختـــفاء مرشده واكتشاف مجموعته من الوجوه والأيدي، قد يكون شك ربما في موت فاليس.

تذكر بيلي الضوء في المكتب، ذهب إلى هناك، وتوجه إلى المكتب الخـــشبـــي هذه المرة ووجد أن الكمبيوتر غير مطفأ، لم يكن قد شغله شخصياً.

عندما حرّك الفأرة، ظهر مستند.
هل يمكن للتعذيب أن يوقظ النائم في غيبوبة؟
دمها، تشويهها سيكون جرحك الثالث.

ركـــض بيلـــي مسرعاً في المنـــزل، طار فوق درجات المصطبة الخلفـــية، وتعثـــر حين هبط، وركض، لقد حل المساء، زعقت بومة، صفقت بجناحيها تحت النجوم.

الفصل 76

عند الساعة 9:06. احتوى مرأب سيارات الضيوف أمام وايسبرينغ باينز على سيارة واحدة فقط، لقد انتهت مواعيد الزيارات عند الساعة التاسعة.

لم يتم إقفال الباب الأمامي بعد، دفعه بيلي إلى الداخل، وتوجه إلى المكتب الرئيس للممرضات، ثمة ممرضتان وراء المكتب، يعرفهما كلاً منهما، قال: "أخذت الموافقة للبقاء..."

كانت أضواء السقف مطفأة، أضواء مرأب السيارات مطفأة أيضاً، بدت الردهة الأساسية سوداء مثل أنبوب الحمم تقريباً.

ترك الممرضتين في ارتباك، ومشى في الرواق المؤدي إلى الجناح الغربي.

في البداية، استعجل، لكن بعد عشر خطوات تقريباً، في الظلام، ارتطم بكرسي متحرك، فأمسك به وتحسس شكله.

من الكرسي، صرخت امرأة عجوز بخوف: "ماذا يحصل؟ ماذا تفعل؟".

طمأنها "سيكون كل شيء بخير، ستكونين بخير"، وتابع طريقه.

لم يعد يتحرك بسرعة الآن، ومدّ ذراعيه أمامه مثل رجل أعمى يتحسس العوائق أمامه.

أضيئت مصابيح الطوارئ المثبتة في الجدار ثم أطفئت، ثم أضيئت وأطفئت مجدداً.

صدح صوت رجولي هادئ قائلاً: "الرجاء البقاء في غرفكم، سنأتي إليكم، الرجاء البقاء في غرفكم".

حاولـــت مصابيح الطوارئ العمل مجدداً، إلا أنها أضيئت بشكل جزئي ثم انطفأت مجدداً.

كانـــت هذه المصابيح الوامضة على نحو متقطع مسببة للارتباك، لكـــن بيلـــي استطاع رؤية ما يكفي أمامه لتفادي الارتطام بالناس في الممـــرات، ممرضـــة أخرى، حارس، رجل عجوز يرتدي بيجاما ويبدو مذهولاً...

أصـــدر إنذار الحريق صوتاً إلكترونياً، بدأ صوت مسجل يعطي تعليمات الإخلاء.

ثمـــة امـــرأة تمـــشي على عكاز أوقفت بيلي فيما اقترب منها، وأمـــسكت بكمه، طلباً للمعلومات، طمأنها فيما تابع طريقه مسرعاً: "أصبح كل شيء تحت السيطرة".

انعطف نحو الجناح الغربـــي، إلى الأمام، إلى اليمين، كان الباب مفتوحاً.

الغـــرفة مظلمة، ما من مصباح جداري آخر هنا، حجب جسمه الضوء الخافت النابض من الردهة الغربية.

سمع صرير أبواب، سلسلة من صرير الأبواب، لكنها لم تكن أبواباً وإنما صوت قلبه.

تحـــسس طـــريقه نحو السرير، يفترض أن يكون وصل إليه، تقدم خطوتين إضافيتين، السرير ليس هنا.

اســـتدار حـــول نفسه، محركاً ذراعيه في الهواء، لم يعثر إلا على الكرسي الصغير.

سريرها مزود بعجلات، قام أحد بنقلها.

عاد إلى الرواق مجدداً، ونظر إلى اليسار، إلى اليمين، خرج بعض المرضى من غرفهم، ثمة ممرضة ترشدهم إلى المخرج.

عبر رقصة الضوء والظل، رأى بيلي رجلاً يدفع سريراً في الطرف البعيد للرواق، ويتحرك بسرعة نحو لافتة حمراء وامضة كتب عليها مخرج.

ركض بيلي، وارتطم بالمرضى والممرضات وأشباح الظل.

كان الباب في نهاية الرواق مفتوحاً فيما مرر الرجل السرير عبره.

أمسكت ممرضة بذراع بيلي، وأوقفته، حاول إفلات نفسه، لكن قبضتها كانت قوية.

قالت: "ساعدني على إخراج بعض المرضى العالقين في أسرّتهم من هنا".

"لا يوجد حريق".

"لا بد من وجود واحد، علينا إخلاؤهم".

قال: "زوجتي، تحتاج زوجتي إلى المساعدة"، بالرغم من أنه لم يتزوج أبداً من باربارة.

أفلت من الممرضة، وكاد يوقعها أرضاً، وأسرع نحو اللافتة التي كتب عليها مخرج.

خرج عبر الباب، ووصل إلى الظلمة، ثمة سيارات وعربات في مرأب سيارات الموظفين.

لبرهة، لم يرَ الرجل ولا السرير.

هناك، ثمة سيارة إسعاف تنتظر على مسافة ثلاثين قدماً، إلى اليسار، ومحركها قيد العمل، كان بابها الخلفي مفتوحاً، كاد الرجل الذي يجرّ السرير أن يصل إليه.

سحب بيلي مسدس عيار 9 ملم، لكنه لم يجرؤ على استعماله، قد يصيب باربارة، اجتاز العتبة، وأعاد المسدس إلى قرابه ثم أخرج التايسر من الجيب الداخلي لمعطفه.

في اللحظة الأخيرة، سمع ستيف وصول بيلي، يملك القاتل مسدساً، أطلق النار مرتين فيما استدار.

كان بيلي قد أصبح تحت ذراع ستيف، حلّق الرصاص فوق رأسه.

وضع طرف مسدس التايسر في بطن ستيف، وضغط على الزناد، عرف أن المسدس سيخترق القميص الرقيق، لكنه لم يتأكد أبداً من احتواء المسدس على بطاريات جديدة.

تشنج زيليس فيما أحدثت الصدمة الكهربائية فوضى في جهازه العصبي، لم يوقع مسدسه أرضاً، وإنما رماه بعيداً، انحنت ركبتاه، ارتطم رأسه بسيارة الإسعاف فيما وقع أرضاً.

ركله بيلي، حاول ركله في رأسه، ركله مجدداً.

سيأتي رجال الإطفاء، الشرطة، الشريف جون بالمر، عاجلاً أو آجلاً.

وضع يده على وجه باربارة، أحس بنفسها على راحة يده، تبدو بخير، أحس أن عينيها تتحركان تحت جفنيها، وهي تحلم بديكنز.

نظر مجدداً إلى وايسبرينغ باينز، فرأى أن أحداً لم يخرج بعد من المخرج الغربي.

وضع سرير باربارة جانباً.

على الأرض، كان ستيف يتقلب ويقول: "أوننن، أوننن، أوننن" في محاولة فاشلة لمحاكاة نوبة صرع.

ضربه بيلي مجدداً بمسدس التايسر، ثم وضع المسدس في جيبه.

أمسك بالقاتل بحزامه، بياقة قميصه ورفعه عن الزفت الأسود، لم يظن أنه يملك القوة الكافية لرفع زيليس ورميه في الجهة الخلفية لسيارة الإسعاف، لكن يبدو أن الذعر ملأه بشحنة قوية من الأدرينالين.

ارتطمت أصابع اليد اليمنى للقاتل بباب سيارة الإسعاف، وكذلك فعلت الجهة الخلفية لجمجمته.

أغلق بيلي الباب، وأمسك بدرابزون سرير باربارة ودفعه نحو وايسبرينغ باينز.

عندما أصبح على مسافة أقل من عشر أقدام من الباب، فُتح الباب وظهر حارس يساعد مريضاً يمشي على عكاز.

قال بيلي: "إنها زوجتي، أخرجتها، هلا اعتنيت بها فيما أساعد أشخاصاً آخرين؟".

طمأنه الحارس: "لا تقلق، من الأفضل أن أبقيها على مسافة بعيدة إذا كان هناك حريق".

حثّ الحارس الرجل الذي يمشي على العكاز للحاق به، ودفع باربارة بعيداً عن المبنى وإنما بعيداً أيضاً عن سيارة الإسعاف المنتظرة.

عندما جلس بيلي وراء المقود، وأغلق باب السائق، سمع القاتل يضرب بقدميه على شيء ما ويصدر أصواتاً مخنوقة يبدو أنها شتائم.

لا يعرف بيلي كم سيدوم تأثير التايسر، من غير الملائم ربما تمني حصول نوبات تشنج، لكن هذا ما فعله.

عثر على دواسة المكبح، على علبة تغيير السرعة وتوجه بسيارة الإسعاف إلى الجهة الأمامية للمبنى، حيث ركنها قرب سيارة الإكسبلورر خاصته.

ثمة أناس يخرجون من المبنى نحو مرأب السيارات، كانوا مشغولين جداً للانتباه إليه.

نقل البراد الصغير المشتمل على اليدين المبتورتين إلى سيارة الإسعاف ثم ابتعد من هناك، سار مسافة مبنيين قبل أن يتعرف إلى زر صفارة الإنذار.

عـــندما مـــرّ أمام شاحنات الإطفاء، الآتية في اتجاه فينيارد هيلز، كانـــت ســـيارة الإسعاف في أقصى سرعتها، وتدوي صفاراتها بأعلى صوت.

تـــصور أنه كلما لفت الانتباه أكثر إلى نفسه، تضاءل الشك فيه، تخطى السرعة المسموح بها وهو متوجه إلى شمال شرق البلدة، ثم استدار شرقاً نحو الطريق المؤدي إلى منـــزل أولسن.

حـــين ابـــتعد مسافة ميلين عن البلدة، وباتت كروم العنب على جانبيّ الطريق، سمع القاتل يدندن بتناسق أكبر ويركل الأشياء حوله في الخلف، وكان يحاول النهوض بلا ريب.

أزاح بيلـــي الـــسيارة إلى حافة الطريق، وركنها، وترك صفارة الإنذار قيد العمل، تسلق بين المقاعد للتوجه إلى الخلف.

كان زيليس راكعاً على ركبتيه، متشبثاً بأسطوانة الأوكسيجين، ســـعى جاهـــداً للوقوف على قدميه، كانت عيناه ساطعتين، مثل عينيّ ذئب في الليل.

ضـــربه بيلـــي مجدداً، فانقلب زيليس وسقط، لكن التايسر ليس سلاحاً قاتلاً.

إذا أطلـــق الـــنار على المجرم، قد يتناثر الدم فوق كل المعدات في سيارة الإسعاف ويسبب فوضى عارمة، وأدلة.

ثمة وسادتان رقيقتان على محمل بعجلات، أمسكهما بيلي معاً.

كان زيليس مسطحاً على ظهره، يحرك رأسه من جانب إلى آخر، من دون أي قدرة للسيطرة على عضلاته.

ركع بيلي فوق صدره بكلتا ركبتيه، وأخرج منه النَفَس، وضربه أكثر من مرة على ضلوعه، ووضع الوسادتين فوق رأسه.

حاول المجرم المكافحة للعيش، لكن جهوده باءت بالفشل.

لم يستطع بيلي الانتهاء من ذلك، جعل نفسه يفكر في جوديث كيسلمان، في عينيها الحيويتين، في ابتسامتها الفاتنة، وتساءل إذا كان زيليس قد أدخل قضيباً حديدياً فيها، ما إذا كان قطع أعلى جمجمتها فيما كانت لا تزال حية وأعطاه إليها بمثابة كوب للشرب.

ثم انتهى.

بكى ولكن ليس على زيليس، ثم عاد مرة جديدة إلى عجلة القيادة، انطلق على الطريق السريع، قبل مسافة ميلين من المنعطف المؤدي إلى منزل أولسن، أطفأ بيلي صفارات الإنذار، أبطأ سرعة السيارة.

بما أن الإنذار في وايسبرينغ باينز كان زائفاً، لن يبقى رجال الإطفاء لوقت طويل هناك، وفي الوقت الذي سيعيد فيه سيارة الإسعاف مجدداً، سيكون مرأب سيارات الموظفين فارغاً مجدداً.

لقد ترك مفك البراغي في المنزل، لكنه واثق من أن لاني يملك واحداً، يستطيع استعارته، لن يمانع لاني.

فيما وصل إلى المنزل، رأى الهلال الصغير، الذي كان أكثر سماكة قليلاً من الليلة الفائتة، ولمعانه الفضي أقوى قليلاً ربما.

الفصل 77

طوال السنة، يكون الوادي موطناً لطيور الحمام، لعصافير الدوري ولعصافير الجنك المزقزقة.

مكـــثت هـــذه الـــسنة أيضاً طيور الباز الأميركية ذات الأجنحة الطـــويلة والذيول الطويلة، كان ريشها المميز ساطعاً ومرحاً، أطلقت صـــرخات عالية شبيهة بعبارة *كيلي كيلي كيلي كيلي* التي يفترض ألا تكون لطيفة على السمع، لكنها كانت.

اشترى بيلي براداً جديداً، ومايكرووايف.

هدم جداراً، وجمع غرفة الجلوس مع المكتب لأنه ينوي استعمال المساحة بطريقة مختلفة عما كان يفعل قبلاً.

بعد اختيار لون أصفر مرح، أعاد طلاء كل غرفة.

رمى السجادات والمفروشات، واشترى كل شيء من جديد لأنه لا يعرف أين كانت تجلس أو تستلقي المرأة الصهباء عندما تم خنقها أو قتلها.

فكّـــر في هـــدم المنـــزل وإعادة بنائه من جديد، لكنه أدرك أن المـــنازل غير مسكونة، نحن المسكونين، وبغض النظر عن الهندسة التي نحيط بها أنفسنا، تبقى أشباحنا معنا إلى أن نصبح أشباحاً.

حـــين لا يعمـــل في المنـــزل أو وراء طاولة الشراب في المشرب، كـــان يجلس في الغرفة في وايسبرينغ باينـــز أو على مصطبته الأمامية، يقرأ قصص تشارلز ديكنـــز، للاطلاع أكثر أين تعيش باربارة.

مع حلول الخريف، انتقلت طيور نقار الخشب من الوادي، و لم يعد يسمع صوتها إلا عند حلول الربيع، هاجرت أيضاً معظم الطيور

الـــصائدة للـــذباب، بالـــرغم من أن بعضاً منها بقيت وتكيفت مع الجو.

بحلـــول الخريف، بقي فاليس مادة دسمة في الأخبار، خصوصاً في الـــصحافة الـــصفراء والـــبرامج التلفازية التي تحدثت عن عمليات قتل متجولة دفعت الصحافة إلى التحقيق، ستتابع الصحافة هذه المسألة لمدة سنة على الأقل، مثلما تقتات طيور النقار من اليرقانات بصوت مزعج، بالرغم من أن الطبيعة الأم لم تعطها السلطة التي أعطتها لطيور النقار.

تم ربـــط ســـتيف زيليس بفاليس، قيل إن الرجلين شوهدا معاً، متنكـــرين وإنما بطريقة يمكن التعرف إليهما فيها، في أميركا الجنوبية، وآسيا، وفي بعض مناطق الاتحاد السوفياتي السابق.

تم الافتـــراض أن لاني أولـــسن مـــات وإنما جرى اعتباره بطلاً بطريقة غامضة، لم يكن تحرياً، بل مجرد شرطي، ولم يكن قبلاً شرطياً صاحب حافز، إلا أن اتصالاته برامسي أوزغارد، بقسم شرطة دنفر، أشـــارت إلى أنه امتلك سبباً للشك في زيليس، وفي النهاية، في فاليس أيضاً.

لم يـــستطع أحد أن يفسر سبب عدم قيام لاني بنقل شكوكه إلى المـــسؤول عنه، قال الشريف بالمر: "لطالما كان ذئباً وحيداً أنجز بعض أفـــضل أعماله خارج القنوات العادية"، ولسبب ما لم يضحك أحد أو يسأل الشريف عما يتحدث فعلاً.

ثمة نظرية - شاعت في المشرب - أفادت أن لاني أطلق النار على فاليس وجرحه، ولكن ستيف زيليس وصل وقتل لاني، ثم هرب ستيف بجثة لاني للتخلص منها، وبرفقة الفنان المصاب أيضاً، للاهتمام به حتى يـــتعافى في مخـــبأ ما، لأن كل الأطباء القانونيين يجدر بهم الإبلاغ عن جروح الطلقات النارية.

لا يعـــرف أحد في أي سيارة هرب ستيف، لأن سيارته الخاصة كانـــت في المـــرأب في منـــــزله، إلا أنه سرق بلا شك سيارة من شـــخص مـــا، لم يأخذ المنـــزل المتحرك لأنه لم يقده أبداً من قبل، وخشي بلا شك أن يجذب الكثير من الانتباه عند الإبلاغ عن غياب فاليس.

قـــال علماء النفس والاختصاصيون في علم الجرائم المطلعون على ســـلوك المرضى الاجتماعيين إنه من المستبعد أن يقوم مريض اجتماعي مهـــووس بالقـــتل بالاهـــتمام بمريض اجتماعي آخر مهووس بالقتل لمـــساعدته على التعافي، إلا أن الصحافة، وعامة الشعب، أحبوا على ما يـــبدو فكـــرة تعاطي وحشين مع بعضهما بقلق واهتمام وحنان تجاه بعضهما بعضاً، إذا استطاع الكونت دراكولا والوحش فرانكنشتاين أن يكونا صديقين جيدين، مثلما كانا في عدد من الأفلام القديمة، سيكون زيليس متحمساً للاهتمام بمرشده الفني المصاب.

لم يلاحظ أحد اختفاء رالف كوتل.

تم بلا شك الانتباه إلى غياب المرأة الصهباء، لكنها جاءت ربما من مكـــان بعيد من البلاد وجرى خطفها على الطريق فيما كانت مارّة في منطقة كروم العنب، إذ جرى الحديث عن اختفائها في ولاية أخرى، لم يتم ربطها أبداً بقضية فاليس، ولم يعرف بيلي أبداً اسمها.

يختفـــي الناس كل يوم، لا تملك الأخبار الوطنية مساحة أو وقتاً كافياً للتحدث عن كل اختفاء.

بالرغم من أن طيور النقار ومعظم الطيور الصائدة للذباب تغادر مـــع فـــصل الصيف، يظهر طائر الشنقب الشائع عندما ينتهي الخريف ويـــبدأ الـــشتاء، تمامـــاً مثلما يفعل طير المليك الذي يملك زقزقة عالية وواضحة وحيوية.

في تلــك الدوائر النقية حيث تكون أبسط الأفكار عميقة وحيث يكـــشف اللون الرمادي عن ظلال رمادية، برزت حركة لإنهاء اللوحة الجداريـــة غير المنجزة، وحرقها مثلما كان مخططاً، قيل إن فاليس كان مجنوناً ربما، لكن الفن فن، ويجب احترامه.

جـــذب الحـــريق الكـــثير مـــن الحشود المتحمسة من هيلز أنجيلز، والمعـــتقدين بالفوضوية والعديد من المعتقدين بالعدمية بحيث أغلق جاكي أوهارا أبوابه في عطلة نهاية الأسبوع، لم يشأ استقبالهم في مشرب عائلي.

في أواخـــر الخريف، ترك بيلي عمله كنادل في المشرب، وأحضر باربـــارة إلى المنـــــزل، ثمة طرف من غرفة الجلوس الكبيرة كان بمثابة غرفة نومها ومكتبه، برفقتها الهادئة، وجد أنه يستطيع التأليف مجدداً.

بالرغم من أن باربارة لم تكن بحاجة إلى آلات داعمة للحياة، وإنما فقـــط إلى مضخة لتزويد دفق مستمر من الطعام عبر أنبوب إلى معدتها، أصـــرّ بيلي في البداية على الحصول على مساعدة مستمرة من ممرضات قانونيات، إلا أنه تعلم كيف يعتني بها، وبعد أسابيع عدة، نادراً ما بات يحتاج إلى ممرضة سوى في أثناء الليل، حين يكون نائماً.

أفرغ كيس قسطرتها، وغيّر لها حفاضاتها، ونظفها، وحممها، ولم يمـــتعض أبداً، شعر أنه من الأفضل أن يفعل لها هذه الأشياء بنفسه بدل أن يفعلها أناس غرباء، في الواقع، لم يتوقع أن الاهتمام بها بهذه الطريقة سيجعلها تبدو أكثر جمالاً بالنسبة إليه، لكن هذا ما حصل.

لقـــد أنقذتـــه ذات مرة، قبل أن يتم سلبها منه، وها هي الآن تنقذه مجـــدداً، بعد الرعب، والعنف القاسي، والقتل، أعطته الفرصة ليعتاد مجدداً على الحنان وليكتشف في نفسه رقة كان ليضيعها إلى الأبد لولا ذلك.

غـــريب كـــيف بدأ الأصدقاء بالزيارة؛ جاكي، آيفي، الطاهيان رامـــون وبين، وشيرلي تروبلاد، كما جاء هاري أفاكيان غالباً من نابا،

أحضروا معهم أحياناً أفراداً من عائلاتهم، وكذلك أصدقاء لهم أصبحوا بدورهم أصدقاء بيلي. بدا أن الناس يستمتعون أكثر فأكثر بالتواجد في منـــزل بيلي، اجتمعوا كلهم يوم الميلاد.

بحلـــول الربيع، حين عادت طيور النقار والطيور الصائدة للذباب بأعداد كبيرة، كان بيلي قد وسّع الباب الأمامي وكسر العتبة للسماح بإخراج سرير باربارة إلى المصطبة، زاد طول الحبل لإبقاء مضخة الطعام قـــيد العمـــل وللـــسماح بتعديل الفراش حسب اللازم، فاستطاعت الاســـتلقاء في وضـــعية منتصبة بحيث كان وجهها أمام نسمات الربيع الدافئة.

علـــى المـــصطبة، قـــرأ، أحياناً بصوت عالٍ، وأصغى إلى زقزقة الطيور، وراقبها تحلم *بأغنية الميلاد*.

كـــان ربيعاً جيداً، وصيفاً أفضل، وخريفاً دافئاً، وشتاء رائعاً، في تلك السنة، بدأ الناس ينادونه بيل بدل بيلي، ولم يلاحظ ذلك نوعاً ما إلا حين أصبح الاسم الجديد قيد التداول.

في ربـــيع الـــسنة التالـــية، ذات يوم فيما كان وباربارة معاً على المصطبة، كان بيلي يقرأ لنفسه عندما قالت: "طيور سنونو".

لم يعد يحتفظ بدفتر لتدوين الكلمات التي تقولها، لأنه لم يعد قلقاً من أن تكون خائفة وتائهة ومتألمة، لم تكن تائهة.

عندما رفع عينيه عن كتابه، اكتشف أن مجموعة من تلك الطيور تحديـــداً، تتحـــرك مع بعضها، وترسم أشكالاً جميلة فوق الفناء وراء المصطبة.

نظـــر إلـــيها ورأى أن عينـــيها مفتوحتان وكانت تراقب طيور السنونو.

قال: "إنها أكثر رشاقة من طيور السنونو الأخرى".

قالت: "أحبها".

كانـــت الطيور أنيقة بأجنحتها الطويلة والنحيلة وذيولها الطويلة والمستدقة، كانت ظهورها باللون الأزرق الداكن فيما صدورها باللون البرتقالي.

قالت: "أحبها كثيراً" وأغمضت عينيها.

بعدما حبس نفسه لبرهة، قال: "باربارة؟".

لم تجب.

قلـــت لروحي، ابقي ساكنة، وانتظري من دون أمل، لأن الأمل سيكون أملاً بالشيء الخطأ.

الأمـــل والحـــب والإيمان كلها قيد الانتظار، القوة ليست حقيقة الحياة؛ حب القوة هو حب الموت.

طارت طيور السنونو إلى مكان آخر، عاد بيلي إلى الكتاب الذي كان يقرأه.

مــــا سيحـــصل سيحصل، ثمة وقت للعجائب إلى ألا يبقى هناك وقت، لكن الوقت لا نهاية له.

أروع قصة يمكن أن تقرأها

www.alexandra.ahlamontada.com منتدى مكتبة الاسكندرية

دين كونتز

موعد مع الجريمة

«إذا لم تأخذ هذه الورقة إلى الشرطة... سـأقتل مدرّسةً شقراء جميلة... وإذا نفّـذتَ تعليماتي... سـأقتل بدل عنهـا امرأة عجوز ناشـطة في العمل الخيري. أمامك ست ساعات لتقرر. الخيار خيارك».

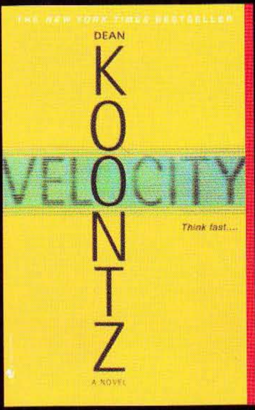

هذه الورقة المطبوعة على الآلة الكاتبة والموضـوعة تحت حاجب الريح في سيارته تبدو وكأنها نكتة سمجة. لكن في أقل من أربع وعشرين سـاعة، سـيجد بيلي وايلز، وهو رجـل عادي يعمـل بكدّ، أن حياته قـد تحولت بسرعة إلى كابوس، لأن مدرّسـةً شـقراء قد قتلت بالفعـل، وها هو الآن يتلقى رسالة أخرى، وأمامه موعد نهائي آخر.

هذه المرة يعرف أن المسألة ليست مزحة. إنه يتسابق مع قاتل أسرع من الشر نفسه. ويتوجب على بيلي قبول تحديه المروّع: ... «الخيار خيارك».

علي مولا

ISBN 978-614-01-0069-5
9 786140 100695

nwf.com
نيل وفرات.كوم
جميع كتبنا متوفرة على الإنترنت
في مكتبة نيل وفرات.كوم
www.nwf.com

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
www.asp.com.lb - www.aspbooks.com

تصميم الغلاف: سامح خلف